وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كلية التربية

أثر القرآن الكريم في بناء المعجم العربي

دراسة في معجم لسان العرب لآبن منظور (ت ٧١١هـ)

أطروحة دكتوراه قدّمها

(قاسم محمد أسود الحميري)

إلى مجلس كلية التربية في الجامعة المستنصرية . وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة في العربية وآدابها

بإشراف

أ . م . د. محمّد صنكور جبارة

جمادى الأولى ١٤٢٩هـ — أيّار ٢٠٠٨م

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
- المقدمة .	أ – ز
– التمهيد / أثر القرآن الكريم في اللغة العربية وعلومها .	١ – ٦
القسم الأول : الأثر العام للقرآن الكريم في فقه اللغة العربية :	٦ – ١٣
١- بقاء اللغة العربية .	٦
٢- توحد لهجاتها وزوال تناكرها .	٨
٣- جعل اللغة العربية واسعة الانتشار .	١٠
٤- جعل اللغة العربية لسان الدولة الإسلامية .	١١
٥- تحول اللغة العربية من ملكة فردية إلى لغة تعليمية .	١٢ – ١٣
القسم الثاني : الأثر الخاص للقرآن الكريم في اللغة :	١٣ – ١٤
١- ألفاظ اللغة العربية .	١٤ – ١٦
٢- المعاني .	١٦ – ١٩
٣- أغراض اللغة .	١٩ – ٢٢
٤- أسلوب اللغة .	٢٢ –

	٢٤
الفصل الأول: أثر القرآن الكريم في طرائق التفسير الدلالي للألفاظ:	٢٥ – ٦٣
١. التفسير بالترجمة .	٢٥ – ٣٠
٢. التفسير بتبيان الفروق الدلالية .	٣٠ – ٤٢
٣. التفسير بالضد أو (المغايرة) .	٤٢ – ٤٥
٤. تفسير القرآن بالقرآن .	٤٥ – ٤٧
٥. القرآن الكريم مصدرٌ للتفسير والتأويل .	٤٧ – ٤٩
٦. التفسير بأسباب النزول .	٤٩ – ٥١
٧. التفسير بالحديث النبوي أو الأثر .	٥١ – ٥٦
٨. التفسير باعتماد المؤلفات السابقة وآراء العلماء .	٥٦ –

الموضوع	الصفحة
٤. تفسير القرآن بالقرآن .	٤٥ – ٤٧
٥. القرآن الكريم مصدرٌ للتفسير والتأويل .	٤٧ – ٤٩
٦. التفسير بأسباب النزول .	٤٩ – ٥١
٧. التفسير بالحديث النبوي أو الأثر .	٥١ – ٥٦
٨. التفسير باعتماد المؤلفات السابقة وآراء العلماء .	٥٦ –

	٥٨
٩. التفسير بالمجاز .	٥٨ – ٥٩
١٠. تفسير القرآن الكريم بكلام العرب .	٦١
١١. التفسير بأكثر من معنى .	٦١ – ٦٢
١٢. تفسير اللفظ القرآني بالشعر الجاهلي .	٦٢ – ٦٣
الفصل الثاني : أثر القرآن الكريم في تحقيق الألفاظ اللغوية وضبطها وبيان حجيتها :	٦٤ – ٩١
– توطئة .	٦٤ – ٦٦
١. تحقيق اللفظ اللغوي .	٦٦ – ٧٤
٢. ضبط اللفظ اللغوي .	٧٤ – ٧٨
٣. القرآن الكريم مصدرٌ سماعياً .	٧٨ – ٨٣
٤. القرآن الكريم مصدرٌ للقياس .	٨٣ –

	٨٧
٥. القرآن الكريم مصدرٌ للتعليل .	٨٧ – ٩١

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث : أثر السياقات اللغوية القرآنية في صياغة الدلالة في المعجم :	٩٢ – ١٠٩
– توطئة .	٩٢ – ٩٧
– السياق اللفظي .	٩٧ – ١٠٥
– سياق الحال .	١٠٥ – ١٠٩
الفصل الرابع : أثر القرآن الكريم في إغناء الثروة اللغوية :	١١٠ – ١٥٠
– توطئة .	١١٠ – ١١١
– مجال الألفاظ المفردة .	١١١ – ١٣٨
– مستوى التركيب والبيان .	١٣٨ – ١٥٠

الفصل الخامس : أثر القرآن الكريم في الظواهر اللغوية والدلالية في المعجم :	**١٥١ – ١٩٠**
– توطئة .	**١٥١ – ١٥٤**
١. الترادف .	**١٥٤ – ١٦٠**
٢. المشترك اللفظي .	**١٦٠ – ١٦٧**
٣. الأضداد .	**١٦٨ – ١٧٤**
٤. الحقيقة والمجاز .	**١٧٤ – ١٧٦**
– أنواع الدلالة :	**١٧٦**
أ– الدلالة الحقيقية :	**١٧٦**

الموضوع	الصفحة
١– الدلالة اللغوية .	**١٧٦ – ١٧٨**
٢– الدلالة الشرعية .	**١٧٨ –**

	١٨٢
٣- الدلالة العرفية .	١٨٢ – ١٨٤
ب- الدلالة المجازية .	١٨٥ – ١٩٠
الفصل السادس : أثر القرآن الكريم في القضايا النحوية والصرفية والصوتية في المعجم وبيان دلالتها :	١٩١ – ٢٥٥
- توطئة .	١٩١ – ١٩٤
- أثر القرآن الكريم في القضايا النحوية .	١٩٤ – ٢١٧
- أثر القرآن الكريم في القضايا الصرفية والصوتية .	٢١٨ – ٢٥٥
- الخاتمة .	٢٥٦ – ٢٥٩
- جريدة المظان	٢٦٠ – ٢٩٣
- ملخص الأطروحة باللغة الإنكليزية .	A - B

التمهيد

التمهيد :

- أثر القرآن الكريم في اللغة العربية وعلومها :

كانت العرب قبل ظهور الإسلام وبعثة النبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ، متفرقة إلى قبائل وشعوب ، ومنقسمة إلى معاشر وضروب ، ولكل قبيلة من تلك القبائل المتنوعة والفصائل المتفرعة لهجة مخصوصة في التلفظ بالكلمات ، وكانت تجتمع العرب كل عام في مواسم عامة ، يحضرها الجمُّ الغفير من الناس ، يتناشدون فيها الأشعار ، فضلاً عن اجتماعهم في مواقف الحروب ، فكانت تتجدد لهم كلمات متعددة ، فإذا سمع الواحد منهم لغات الآخرين ، قيدها في فكره ليستعمل منها في عباراته ما يستحسنه ، وبهذه المثابة صارت تلك اللغات محطاً للزيادة والنقصان وعرضة للتغيير ، إلى أن بزغ فجر الإسلام ، وأنزل الله كتابه باللسان العربي المبين ، فتسابق العرب وتنافسوا في إتباع طريقته الفصيحة ، في الوقت الذي ((كان العرب على حال يتوهم فيها كل قبيل منهم أنه أسلم فطرة في اللغة ، وأبين مذهباً في البيان ، لأنهم لا يجدون من ذلك إلا أمثلة ترجع إلى الفطرة وتختلف باختلافها ولا يجدون المثال الفطري الكامل الذي تقاس إليه القدرة ... ومن أعضل الأمور وأشدها إلتباساً أن يكون امرؤ من الناس قادراً على أن يقيس ببيانه ... لأن قياس مثل ذلك من الفطرة لا يتهيأ إلا بعمل يحتوي كل دقائقها ... ومثل هذا لا يكون ألبتة من إنسان ينزل على حكم الفطرة نفسها ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ... فيلزم من ذلك أن يكون القياس ... فوق الطبيعة ، وليس فوقها إلا أمر الله))[١] .

من المعلوم أن اللغة العربية بعد نزول القرآن الكريم أخذت تتوحد ، فقد توقفت اللهجات عن التباعد ، وكوّنت وحدة لغوية ارتبطت بها عواطف القوم ارتباطاً وثيقاً ، ثم لما قويت شوكة الإسلام ، واختلط العرب بالأعاجم ، وخشي العلماء على اللغة أن

---

(١) تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي : ٢/٧٨-٧٩ .

يفسد أمرها ، جمعوها وضبطوها حسب ما تقرره قواعد لغة القرآن الكريم ، لتأخذها القبائل العربية مقياساً وأساساً لها .

ومن ثم اعتاد لسان الناس على نطق الجمل الصحيحة والكلمات الفصيحة ، وإن كان قليل من الضعف مشوباً باللغة العرفية الكلامية ، فليس الأمر كذلك بالنسبة لما يكتب باللغة العربية الحقيقية .

لقد ((اتصل الدين باللغة اتصالاً وثيقاً في العصور الإسلامية كلها ، وكان الباعث على اهتمام علماء اللغة ، بجمع الشواهد اللغوية ، وتقعيد اللغة ، باعثاً دينياً، هو ضبط نصوص القرآن الكريم ، وجرت مناهج التعليم منذ أقدم العصور الإسلامية على المزج بين المعارف الدينية واللغوية في الكتاتيب والمساجد والمجتمعات ، ثم في المدارس المنظمة فيما بعد ، ومن ثم كان اللغوي غالباً رجل دين ، ولا ترى عالماً من علماء اللغة القدامى إلا كان مقرئاً أو مفسراً أو محدثاً أو متكلماً أو فقيهاً))[١] .

إن العديد من العلوم التي تتعلق بالعربية سواء أكان ذلك مباشراً أم لا ، كان القرآن الكريم من أبرز الدواعي لنشوئِها أو تطويرها ، فعندما لجأ العامة إلى كبار الصحابة ليسألوهم عما استشكل عليهم وما غمض معناه ، كان الصحابة ﴿رضي الله عنهم﴾ يجيبونهم بما يشفي الصدور ويريح البال ، فالصحابي عبد الله بن عباس (ت٦٨هـ) كان يجيب سائليه ، ويستشهد بما يقوله بأبيات من الشعر العربي[٢] ، وكان ذلك جامعاً لتفسير خاص بعبد الله بن عباس للقرآن الكريم .

---

(١) كلام عبد المجيد عابدين في كتابه : المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية كما نقله صاحب كتاب فصول في فقه العربية ، رمضان عبد التواب : ص١٠٨ .

(٢) وقد جمعت بعض سؤالات نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس في الكامل ، للمبرد : ٣/ص١١٤٤-١١٥٢، تحقيق : محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٧ ، وكتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزل وجل ، محمد بن القاسم بن بشار الأنباري : ١/ص٧٦-٩٩ ، تحقيق : محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، دمشق ، ١٩٧١م .

وبذلك يمكن عدُّ تفسير عبد الله بن عباس للقرآن الكريم على هذا الشكل ، مرحلة أولى من مراحل تكوين المعاجم العربية التي تعنى بالبحث عن معاني الألفاظ الغريبة[١] .

والغيرة على القرآن الكريم ، ومخافة تحريفه واللحن فيه أدت إلى نشوء علم النحو العربي ، فكانت الدافع الأول لوضع قواعده ، فقد خشي أهل العلوم ((أن تفسد تلك المَلَكَة رأساً ، ويطول العهد ، فينغلق القرآن والحديث على الفهوم ، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة المطردة ، شبه الكليات والقواعد ، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام)) [٢] ؛ فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتابة والتدوين خشية الدُّرُوس ، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث ، فشمّر كثير من أئمة اللسان بذلك ، وأملوا فيه الدواوين[٣] .

أما علم البلاغة فقد كان من أوائل المؤلفين فيه أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ) بغرض توضيح الأساليب القرآنية[٤] . وخدمة القرآن الكريم ، فظهرت

---

(١) ينظر : فصول في فقه العربية ، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي : ص١١٠ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن ابن خلدون ، تحقيق : عبد الله درويش : ٣٦٨/٢ ، ط١ ، ٢٠٠٤م .

(٣) المصدر السابق : ٣٧٠/٢ .

(٤) أرسل الفضل بن الربيع بطلب إلى أبي عبيدة ليحضر إليه في بغداد ، فلما وصل أبو عبيدة دخل إلى الفضل ، وكان في المجلس رجل ، فسأل الفضل أبا عبيدة إذا كان يعرف ذلك الرجل ، فأجاب أبو عبيدة بالنفي فأخبره الفضل أن ذلك الرجل علامة أهل البصرة ، حضر ليستفاد من علمه ، فتوجه الرجل إلى أبي عبيدة بالسؤال عن قوله تعالى : ﴿ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ (الصافات : ٦٥) أن الوعد والإيعاد إنما يقع بما عرف مثله وهذا لم يعرف! فأجاب أبو عبيدة بأنه عز وجل كلم العرب على قدر كلامهم ، فامرؤ القيس يقول :

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زُرق كأنياب أغوال

فالعرب لم يروا الغول في حياتهم ، لكن لما كان يرعبهم أوعدوا به ، فعزم أبو عبيدة من ذلك اليوم أن يضع كتاباً في القرآن يشابه هذه المسائل ، وما يحتاج إليه من علمه ، فرجع إلى البصرة وألف كتاباً سماه (المجاز) . ينظر : معجم الأدباء ، ياقوت الحموي : ١١٦/٧-١١٧ .

دراسات كثيرة من أهمها الدراسات البلاغية التي اتجهت إلى إعجاز القرآن ، وتفسير آياته ، وإيضاح أساليبه ، وكشف فنونه البلاغية .

وقد كان الهدف الأول من التأليف في البلاغة غرضاً دينياً أوضحه أبو هلال العسكري (ت بعد ٤٠٦هـ) بقوله : ((اعلم – علمك الله الخير ودلك عليه وقيضه لك وجعلك من أهله– أن أحق العلوم بالتعلم ، وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله – جل ثناؤه – علم البلاغة ومعرفة الفصاحة ، الذي به يُعرف إعجاز كتاب الله تعالى الناطق بالحق ، الهادي إلى سبيل الرشد ، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة التي رفعت أعلام الحق ، وأقامت منار الدين ، وأزالت شبه الكفر ببراهينها ، وهتكت حُجُب الشك بيقينها .

وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة ، وأخلَّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب ، وما شحنه به من الإيجاز البديع والاختصار اللطيف ، وضمنه من الحلاوة ، وجلله من رونق الطلاوة مع سهولة كلمه وجزالتها وعذوبتها وسلاستها ، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها ، وتحيرت عقولهم فيها . وإنما يعرف إعجازه من جهة عجز العرب عنه ، وقصورهم عن بلوغ غايته في حسنه ، وبراعته ، وسلاسته، ونصاعته ، وكمال معانيه ، وصفاء ألفاظه . وقبيح لعمري بالفقيه المؤتم به ، والقارئ المهتدي بهديه ، والمتكلم المشار إليه في حسن مناظرته وتمام آلته في مجادلته وشدة شكيمته في حجاجه ، وبالعربي الصليب ، والقرشي الصريح أن لا يعرف إعجاز كتاب الله – تعالى – ألا من الجهة التي يعرفه منها الزنجي والنبطي ، أو أن يستدل عليه بما أستدل به الجاهل الغبي . فينبغي من هذه الجهة أن يقدم اقتباس هذا العلم على

سائر العلوم بعد توحيد الله – تعالى – ومعرفة عدله ، والتصديق بوعده ووعيده على ما ذكره ، إذ كانت المعرفة بصحة النبوة تتلو المعرفة بالله جل أسمه)) [١] .

أن مسألة إعجاز كتاب الله كانت من القضايا الأولى التي شغلت بال المسلمين، وقد دفعهم ذلك إلى الخوض في دراسة البلاغة ليستطيعوا الوصول إلى فهم أسرار الإعجاز ، وظهر العديد من الكتب والرسائل البلاغية التي تضمّن جانبٌ منها دراسات تتصل بالعقيدة والتوحيد . وقد انتهى ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) إلى أن ثمرة علم البلاغة ((إنّما هي فهم الإعجاز من القرآن ؛ لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة ، وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالألفاظ في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها ، وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الأفهام عن إدراكه)) [٢] .

وظل القرآن الكريم يرفد البلاغة العربية ويدفع إلى التأليف فيها ، وكانت مئات الكتب التي ظهرت استجابة لخدمة كتاب الله ، ولا يكاد يخلو كتاب من الإشارة إلى هذا الدافع وقد تمثل في الكتب التي تحدثت عن معاني القرآن ومجازه ، وفي الدراسات التي تحدثت عن وجوه الإعجاز ، وهي دراسات بلاغية لأنها عنيت بفنون البلاغة ، وحددتها ، وقسمتها ، وشرحت وسائل التعبير بها . واتضح في كتب التفسير والأصول ، وهي كتب كانت تدعو مقدماتها وفي أثناء فصولها إلى تعلم البلاغة ودراستها ؛ لأنها السبيل الموصل إلى فهم القرآن واستنباط الأحكام منه . هذا من جانب ، ومن جانب آخر فأن كلام الله كان المثال الأعلى عند البلاغيين وغيرهم، وقد اتضح ذلك في وضع الشاهد القرآني على قمة الشواهد ، وفي تحليل الآيات القرآنية واستخراج الفنون البلاغية منها .

---

(١) كتاب الصناعتين : ص١-٢ .

(٢) مقدمة ابن خلدون : ص٥٥٢ .

ولا يقف أثر القرآن عند هذه الجوانب بل هناك جوانب أخرى كان للقرآن دور في ظهورها وكشفها فنشأت العديد من العلوم ، كعلم التجويد والحديث وأصول الفقه وعلم الفرائض والكلام ، وكل ذلك أفاد اللغة العربية .

وبذلك يتبين أن القرآن الكريم كان – وسيبقى – أساساً ينطلق منه للبحث في العديد من الدراسات العربية ، ومن بينها الدراسات اللغوية .

ولا يمكن الإكتفاء بهذا القدر من فضل القرآن الكريم على اللغة العربية ، فهو كفل لها حفظها ، وانتشارها وضبطها ، والعناية بتراثها ، وهذه حقائق شهد بها غير أهل العربية(١) .

وما ذلك إلا دلالة واضحة على عمق تأثير القرآن في نفوس العرب ، وفي لغتهم العربية ، وقد ظل القرآن – وسيبقى – منهل الأدباء ، وقدوة البلاغيين ، ومعين المسلمين في حياتهم وزادهم في آخرتهم إلى ما شاء الله ؛ لأنه الكتاب الأعظم والدستور الأوحد لكل من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر .

وإذا كان الحديث عن لغة القرآن الكريم وأثرها في العربية الفصحى متعدد الوجوه متشعب النواحي ، فإن الاهتمام في هذا المبحث يتركز على إبراز أثر القرآن الكريم على اللغة العربية عامة ، وفي ألفاظها ومعانيها وأغراضها وأساليبها خاصة.

القسم الأول : الأثر العام للقرآن الكريم على اللغة العربية :

يبرز فضل القرآن الكريم على اللغة العربية عموماً في أمور ، أهمها :

أولاً : بقاء اللغة العربية :

أي لغة من اللغات تبقى ملازمة لأهلها ، ترقى بقوتهم وتضعف بضعفهم ، فهي مظهر اجتماعي خاضع لقانون النشوء والارتقاء . والتاريخ يحدّث عن حياة العديد

---

(١) ينظر : فقه اللغات السامية ، كارل بروكلمان : ص٣٠ ، ترجمة رمضان عبد التواب ، مطبوعات جامعة الرياض ، ١٩٧٧ ، وتاريخ اللغات السامية ، ا. ولفنسون ، ص٢١٥ ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٨٠م .

من الأمم التي مرّت بها أيام عزّ ، وأمم أخرى ذاقت لوعة الذل والهوان ، وفي جميع الحالات كانت اللغة هي المرآة التي تنعكس عليها الصور والألوان .

صحيح أن اللغات تتعرض للتغيير والتبديل بنسب متفاوتة ، ولكن اللغة العربية خلال مراحل طويلة من الزمن ، كانت أقوى اللغات في مواجهة المصاعب والتحديات ، عند اختلاط العرب مع غيرهم ، أو في ضمن المجتمعات العربية ، سجّلت في تاريخها أنها أكثر اللغات غنى في مقاومة العجز ، ولا يمكن الاكتفاء بعزو سبب ذلك إلى أنها لغة مدنية ، تحتوي جميع ما يحتاج إليه الناس من ألفاظ ومعانٍ وأخيلة للتعبير عن أغراضهم ، ولا يمكن كذلك الاكتفاء بالقول إنها لغة قوم أصحاب قوة وسلطان ، فالتاريخ يروي تراجع نفوذ العرب في منتصف القرن الثاني من الهجرة ، كل ذلك يدل على أن بقاء اللغة العربية حية نابضة ما هو إلا أثر من آثار القرآن الكريم[١] .

فالإنسانية لم تعرف طوال تاريخها لغة خلّدها كتاب إلا اللغة العربية ، وتلك إحدى مصادر إعجاز القرآن الكريم ، فقد أعطى اللغة العربية ((إكسير الحياة وسرَّ البقاء ، واستمدت من كلماته روح الثبات ، وشجاعة المواجهة ، فكان القرآن الروح التي جعلت العربية الفصحى لغة كل العصور ، وكل ما جاءنا من تراث هذه اللغة إنّما مردّه إلى القرآن ، الذي فجّر علومها ، وأطلق عبقرية أبنائها ، فبقيت العربية كما كانت راسخة القدم مبنىً ومعنىً ، قادرة على مواكبة الحضارة، تأخذ من غيرها ما يلزمها ، وتعطي لغيرها ما يلزمه))[٢] .

إن الحفظ الذي تعهد به الله سبحانه وتعالى للقرآن الكريم من عوادي الزمن، قد أمتد للغة العربية التي نزل بها ، وإلا لاستعجم القرآن الكريم على أهله، وما حصلت

---

(١) ينظر : أثر القرآن في اللغة العربية ، أحمد حسن الباقوري : ص٢٨-٣٢ ، دار المعارف ، مصر .

(٢) العربية لغة العلوم والتقنية ، عبد الصبور شاهين : ص٤٤ ، دار الاعتصام ، القاهرة .

الفائدة من نزوله ، ولا يبقى معنىً للتحدي ، حيث يتعذر ذلك في لغة تندثر مع الأيام[١] .

ثانياً : توحد لهجاتها وزوال تناكرها :

كانت اللهجات العربية متباينة ، فيها الفصيح ، وفيها الضعيف أيضاً[٢] . ومع أن عوامل التقريب بين هذه اللهجات كانت متوافرة ، والفرص لتوحيدها كانت متاحة، من خلال المحافل الأدبية والمناسبات العامة ، إلا أن هذه اللغة لم تكن يوماً لغة الشارع والمحادثة بين الجميع ، فالكل يعود إلى لهجته بعد الانتهاء من الاجتماعات ، وسبب ذلك إنَّ العربيَّ يعتاد لغة بني قومه وقبيلته فتصبح لغته طبعاً فيه ولا يطاوعه لسانه على التحول عنها إلى شكل آخر من أشكال الأداء للألفاظ أو أشكال البناء اللفظي التركيبي[٣] .

ولكن بعد نزول القرآن الكريم ، وبعد أن استجلى العرب مظاهر الأدب الرفيع المعجز في عباراته وأمثاله واستعاراته ومجازاته وكناياته ، وتشبيهه وتمثيله، وهم أهل الإرهاف في الذوق ، والنضج في الموهبة ، والسمو في الحاسة الفنية ، فهم بعد نزوله ، بعث فيهم الميل الشديد إلى محاكاة أساليبه واقتباس ألفاظه ، ودربوا ألسنتهم على الانطباع بألفاظ القرآن الكريم ، فهم أدركوا أن ألفاظه تزيد ألسنتهم حسناً ، ويفيضها عذوبة ((والعربي بطبعه يطرب لحسن النظم ويرتاح لجميل البيان، فيدفعه ذلك – وهو حريص على أن يحرز ما يعجبه أو شيئاً منه – إلى التأسي به ومحاولة السير على نهجه ، فيروّض لسانه حتى يستقيم له ما يريد))[٤] .

---

(١) ينظر : لغة القرآن الكريم ، عبد الجليل عبد الرحيم : ص٥٨٩-٥٩٠ .

(٢) ينظر : لهجات العرب في القرآن الكريم ، عبد الله عبد الناصر جبري : ص٢١١ .

(٣) ينظر : لغة القرآن الكريم : ص٥٨٧-٥٨٨ .

(٤) أثر القرآن الكريم في اللغة العربية : ص٤١ .

يضاف إلى ذلك أن القرآن الكريم كوّن للعرب جامعة دينية لمّت شملهم في المساجد والحروب والفتوحات الإسلامية ، فتحققت حلقات الوحدة الإسلامية ، وذاب قسم كبير من تناكر اللغات واختلاف اللهجات ، وبخاصة بعد التوسع خارج الجزيرة العربية وخضوع العديد من الأمم تحت حكم الإسلام ، فتعلموا اللغة العربية بأسلوب قرآني ، مما أدى إلى زوال الاختلاف ، وجعل اللهجات الضعيفة المستكرهة أثاراً تروى للأجيال على سبيل الشاهد ، إلى أن جاء عصر التدوين[١] . ((فدُونت اللغة غير منظور إليها إلا على أنها لغة أمة من الناس سوّدها الإسلام ، ووحدها لغة وديناً وغاية ، وبذلك التأم صدع اللغة العربية، واجتمع شتاتها في لغة العبادة والقراءة والكتابة ، وأصبح من الممكن أن يتفاهم العرب وغير العرب بلغة واحدة فصيحة ، ولهجة واحدة عذبة)) [٢] . يتكلم بها خطباء السياسة والدين ، ينهلون من معاني القرآن الكريم ، فأصبحت الأساس للتعبير عن ضرورات الحياة بين مختلف المستويات وبذلك حقَّ للغة القرآن الكريم أن تكون لغة دين ودنيا .

فلولا ((القرآن وأسراره البيانية ما اجتمع العرب على لغته ، ولو لم يجتمعوا لتبدلت لغاتهم بالاختلاط الذي وقع ولم يكن منه بد ، حتى تنتقض الفطرة وتختبل[*] الطباع ، ثم يكون مصير هذه اللغات إلى العفاء لا محالة إذ لا يخلفهم عليها إلا من هو أشد منهم اختلاطاً وأكثر فساداً ، وهكذا يتسلسل الأمر حتى تستبهم العربية فلا تبين – وهي أفصح اللغات – إلا بضرب من إشارة الآثار))[٣].

---

(١) أثر القرآن الكريم في اللغة العربية : ص٤١-٤٢ .

(٢) المصدر السابق : ٤٢ .

(*) بمعنى : تفسد الطباع . لسان العرب : (خبل) : ٩٩/١١ ، مجمل اللغة : (خبل) : ٣١١ .

(٣) تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي : ٨٠/٢ .

ثالثاً : جعل اللغة العربية واسعة الانتشار :

لم يثر فضول كثير من الأمم أن يتجهوا نحو العرب ليتعرفوا على تاريخهم قبل ظهور الإسلام ، حتى إن العرب أنفسهم لم يكن لديهم المركز السياسي أو الديني أو الاجتماعي المهم على الصعيد العالمي آنذاك ، ليجذبوا الآخرين نحوهم، واللغة العربية لم تكن لغة علم ومعرفة لينكبّ الغرباء على دراستها وقتها ، يزاد على ذلك أن العرب كانت تحاصرهم فكرة النظر إلى الآخرين بازدراء إذا لم يكونوا من أعراقهم ، حتى إنهم يطلقون لفظ ((الهجين)) على من لم تكن أُمُّهُ عربية ، ولفظ ((مقرف)) على من لم يكن عربي الأب ، وسواء كان هجينا أو مقرفاً ، فإنه من المستنكر مصاهرته للعرب ، وبقيت هذه النزعة عندهم إلى مجيء الإسلام ، فتفقهوه وفهموه على الوجه الصحيح – إلا ما ندر منهم – كل هذه الأسباب وغيرها أدت إلى حجز اللغة العربية داخل الجزيرة ، مع أن رحلتي التجارة في الشتاء والصيف كانتا لا تنقطعان ، لكن الاختلاط والتعاطي مع الآخرين – كالفرس والروم – كان محدوداً ضمن النطاق الاقتصادي[١] .

لكن بعد ظهور الإسلام ، شُدَّ أقوام غير عرب إلى لغة العرب ، ونشرت اللغة العربية في بلاد لم يكن لها فيها نصير .

لقد خرجت العربية من جزيرة العرب مع الفتح الإسلامي ، فإذا هي لغة الشام والعراق ومصر وفارس وغيرها ، وإذا هي تتعدى من كونها لغة دين إلى كونها لغة شعب ودولة .

فكان انتشارها ((عن طريق القرآن الكريم انتشاراً واسعاً ، كما لم تنشر أية لغة أخرى من لغات العالم ، فهي لكل المسلمين اللغة الوحيدة الجائزة في العبادة ، ولهذا السبب تفوقت العربية تفوقاً كبيراً على كل اللغات التي كان يتكلمها المسلمون)) [٢] .

---

(١) ينظر : أثر القرآن الكريم في اللغة العربية : ص٤٢-٤٤ ، والعربية لغة العلوم والتقنية : ص٥٩ .

(٢) فقه اللغات السامية ، كارل بروكلمان : ص٣٠ .

إن كون العربية لغة القرآن الكريم وشريعته هو الذي جعل مئات العلماء من غير العرب يعكفون على خدمة علوم العربية دراسة وتأليفاً ، وهو الذي جعل العربية تنتقل من لغة قوم لتصبح لغة أقوام ، وأمم ... فقد استهوى الإسلام أقواماً فحبب إليهم لغته ، بل لقد كان للإسلام فضل عظيم في ظهور عدد لا يحصى من العلماء غير العرب ، نبغوا في النحو والصرف والبلاغة ، فسيبويه (ت ١٨٠هـ) مضرب للمثل لمن أريد مدحه من علماء العرب بعلمه في النحو ، وها هو الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ينطق بحب العربية فيقول : ((الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية)) [١] .

وما ظهور أولئك الأعلام الذين خدموا العربية في علومها كافة إلا دليلاً على إخلاصهم للإسلام وغيرتهم على الدين ، كما أنهم أدركوا الارتباط المتين بين القرآن الكريم واللغة العربية .

رابعاً : جعل اللغة العربية لسان الدولة الإسلامية :

بعد أن توسعت المساحة الجغرافية لانتشار اللغة العربية ، ونالت سيادتها بعيداً عن القوة والضعف والإرغام – فالناس انساقوا إليها إمّا برغبة دينية أو عروض دنيوية أو بهما معاً ، فهم أدركوا أنهم لن يستطيعوا إتمام تعاليم دينهم إلا إذا أقبلوا على هذه اللغة ، وأطلعوا على مكنوناتها وتعلموا أسرارها – أدرك الناس أن التفاهم مع الولاة ، والطاعة للخليفة ، لن يتّما إلا بتعلم العربية ، بل تشجعوا على ما يعدُّ أرقى من تعلم العربية ، وهو نظم الشعر – خاصة وأن الخلفاء قد أجزلوا العطاء لمن ينظم شعراً ويجود به ، بل ويصبح مقرباً من الحاكم ، وقد يمنحه الحظ تولي منصب في الدولة[٢] .

---

(١) المفصل في علم اللغة : ص١١ .

(٢) ينظر : أثر القرآن في اللغة العربية : ص٤٥-٤٦ .

لقد جعل القرآن الكريم من اللغة العربية لغة عامة رسمية لجميع الممالك الكثيرة التي افتتحها المسلمون ، لأن جمهرتهم أسلموا واندمجوا مع العرب ، فهجر الكثيرون لغتهم الأصلية ، وتعلموا العربية للتفاهم مع أبناء العرب ، ولفهم القرآن الكريم والسُنّة ولتلقّف أحكام دينهم ومعاملتهم بها في الخصومات وغيرها . فقد انتزع القرآن الكريم اللغة العربية من أحضان الصحراء ، وأتاح لها ملكاً فسيح الأرجاء ، وأعطاها ما لم تتمكن أخذه من حياتها البدوية ، فأصبح لفظ القرآن الكريم أشد ارتباطاً لا بعقائد المسلم وعباداته وحسبُ ، بل بتشريعه واقتصاده وعلمه وفلسفته وحروبه وجهاده ، فلا يكاد يوجد شيء في حياة الإنسان المسلم ، إلا وله في القرآن الكريم هدى هو نص أو استنباط ، ولا في خاص أمره ولا في عام أمر المسلمين ، ولا في علاقة المسلمين بالأفراد من غير أهل ملتهم ، أو الأمم التي لا تدين بدينهم ، إلا ويستنبط من النص الواقع الحادثة التي تجدُ في حياة الناس ، وكل تلك الأحكام المستنبطة خاضعة لما تفيده مفردات اللغة العربية .

خامساً : تحول اللغة العربية من ملكة فردية إلى لغة تعليمية :

من عادة العرب أن يرسلوا أبناءهم إلى الصحراء منذ صغر سنّهم ليتمكنوا من اللغة العربية ، فأهل البادية هم أهل العربية الصرف الأنقياء ، ومن لم يغترف من الينبوع العربي الصحراوي ، فإنه معرّض لعجمة اللسان ، وتزاحم اللكنات ، أما الذين نالت الصحراء نصيباً وافراً من حياتهم ، فإن الملكة اللغوية استحكمت ألسنتهم إلى الوقت الذي صار فيه قسم عظيم من العرب يفضلون البقاء في حواضرهم محتفظين بملكاتهم ، زاهدين بما تقوّمه الصحراء من لغتهم ، عندئذٍ كان لابُدَّ للألسن مرغمة أن تنحرف وللملكة أن تضعف[١] .

---

(١) ينظر : أثر القرآن الكريم في اللغة العربية : ص٥٣-٥٤ .

إلى أن جاء الإسلام وظهرت شدة حرص المسلمين على تفهم القرآن الكريم من حيث معرفة ألفاظه ، والوقوف على معانيها الوضعية والمجازية ، وأساليبه المختلفة ، وكناياته الدقيقة ، كل ذلك حملهم بل فرض عليهم تتبع ألفاظ اللغة العربية الفصيحة من العرب الموثوق بخلوص عربيتهم فكان من ذلك أن تجرد ألوف من الرواة يجمعون اللغة وشعرها وحكمها وأمثالها ووصاياها ، وخطبها ، فجمعوا من ذلك مئات الكتب والرسائل .

وجملة القول إنَّ أنوار الهداية الربانية التي جاءت بالإسلام دفعت بالأمم غير العربية إلى الدخول في الإسلام والاستنارة بشرعه القويم ؛ وكان ذلك يعني أن يتعلم هؤلاء العربية بعد أن دخل بعضهم الجزيرة فأصبحوا عرباً بالولاء ، أو استظلوا بالحضارة الإسلامية وقيامها عليهم ، وكلاهما أمران يفرضان أن تكون العربية لغة الدين والدولة لغة مطلوبة التعلم ، وسبيل الاختلاط والتلاقح الحضاري والفكري واللغوي وما يتبعه من تأثير وتأثر يؤدي في نهاية المطاف إلى أن لا تكون العربية سليقة لكل العرب .

القسم الثاني : الأثر الخاص للقرآن الكريم على اللغة :

((لقد منح القرآن الكريم اللغة العربية بما وهبها إياه من المعاني الفياضة ، والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة والأساليب العالية الرفيعة ، ثم بما أحدثه من أغراض الكلام المتنوعة وبتخليصه لها من كل الشوائب ، ولفظ كل ما لا يصلح للبقاء ، قوة ورقياً ما كانت لتصل إليه بغير القرآن الكريم))[١] . فقد ردّد المسلمون آياته على ألسنتهم في عباداتهم ، وداموا على دراسته ، وتفهموه ، واستنبطوا أحكام دينهم وشريعته منه ، فنشأ من ذلك استبعاد لكثير من الألفاظ الحوشية واستبدل بها ألفاظ القرآن الكريم

---

(١) لغة القرآن الكريم ، عبد الجليل عبد الرحيم : ٥٨٥ .

العذبة السائغة ، وعمد العرب إلى اختيار أساليب القرآن السهلة الممتنعة المؤثرة بعالي بيانها المعجز .

إن آثار القرآن الكريم على اللغة العربية في ألفاظها ومعانيها وأغراضها وأساليبها يتجلى في تغييرات عدة أصابت كل واحدة منها ، وسأعرض لذلك بإجمال حتى أبيّن مكنونات هذا المبحث :

أولاً : ألفاظ اللغة العربية :

إن اللغة هي المرآة التي تعكس أحوال ناطقيها ، وأذواقهم ، فإما أن تكون عذبة سلسة أو فظة غليظة ، يعتمد ذلك على شعور وحسّ أصحابها بين الرقة والرهافة أو الخشونة والجفاف .

أما العرب على وجه التحديد فهم أمة يتوزع أغلب أفرادها في الصحراء ، يصارعون الطبيعة القاسية ، فلا غرابة في وجود ما يصعب تلفظه ، أو يستقبح سماعه ، وما تنفر منه الطباع .

ولما نزل القرآن الكريم حاملاً ما جَمُلَ من الألفاظ ، وما خفَّ من النطق ، وما تطرب له الآذان ، تحيّر العرب واندهشوا ، فهم أهل هذه الصنعة وهم الجهابذة في اختيار ما جاد من اللغة وما فسد ، لكنّ أمام القرآن العظيم ما كان عليهم إلا أن يعكفوا عليه ، ليسمعوه ويتدبروه ، فمنهم من هداه الله ، ومنهم من بقي على ضلالته، غير أنه ينتظر جنوح الليل وغموض العيون ليغافل قومه ، ويستمع إلى النبي ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ وهو يردد القرآن الكريم خلال تهجده ! وما حملهم على ذلك إلا تجهمهم للغاتهم ، ومحاولة طبع ألسنتهم بلغة القرآن الكريم ، لما فيها من سهولة وعذوبة لفظية .

بقي العرب يدربون ألسنتهم على النطق بألفاظ القرآن الكريم ، إلى أن تأثرت ألفاظ اللغة العربية أبلغ تأثير ، وذلك لأن نطق الكلمات رافقه إنصات وتدبر ، وبذلك تذوقوا جمال طعم الحياة الحضرية(١) .

ومن جهة أخرى اكتسبت العربية مفردات جديدة ومبتكرة أضيفت إلى قاموس اللغة العربية .

١. فمنها ألفاظ إسلامية تطلق على المعاني التي توسع فيها الإسلام ، كبعض المفردات التي تنطوي تحت العبادات ، ومفردات أخرى تنطوي تحت مبادئ وتعاليم لم تكن بالوضع الذي أصبحت عليه بعد مجيء الإسلام ، فمن ذلك لفظ المؤمن والكافر والفاسق(٢) .

جاء الإسلام وأصبحت لهذه الألفاظ مدلولات خاصة ، تختلف عما كانت تطلق عليه في زمن الجاهلية(٣) .

٢. ومنها ألفاظ اصطلاحية خرجت عما كانت تدل عليه في الجاهلية إلى دلالة أخرى اصطلح عليها بعد مجيء الإسلام .

فالخليفة كان يطلق على الشخص يقوم مقام غيره ، ثم أصبح يطلق على خليفة النبي ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ فتشرفت الكلمة بذلك المقام ، كما أن لفظ ((الحاجب)) كانت تطلق على كل ما هو ساتر ، ثم اصطلح على إطلاقها على كل من يلزم باب الخليفة ليستقبل الزائرين ويودعهم ، وغيرها كثير من الكلمات التي تلمس فيها أنامل الرقي والحضارة العلمية ، سواء أكانت شرعية ، كالفقه والعقيدة ، أم لغوية ، كالنحو والصرف والبلاغة ، أم غيرها مما تقتضيه ضرورات الحياة الجديدة .

---

(١) ينظر : أثر القرآن الكريم في اللغة العربية : ص٥٥-٥٩ .

(٢) ينظر : تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، شوقي ضيف : ٣٢/٢ .

(٣) أثر القرآن الكريم في اللغة العربية : ص٦٠-٦٢ .

والمدقق للألفاظ اللغوية في حياة الجاهلية وتغير مدلولاتها في الحياة الإسلامية ، يرى الفرق العظيم ويلمس التقدم والتطور اللذين أمدَّ العصر الإسلامي بهما الألفاظ العربية[١] .

والحق أن لفظ الخليفة في العهد الإسلامي أصبح له دلالة مهمة أخرى جعلها في سياق التسامي الدلالي ؛ وما ذلك إلاّ بأثّر القرآن ، ذلك أن القرآن يعبر عن أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض .

وهذا معنى يرتفع بدلالة اللفظة إلى مقامات دلالية ذات مغزى عميق . فأين الخليفة : الشخص يقوم مقام غيره من البشر . وأين الخليفة : بمعنى خليفة الله في الأرض وما ينطوي عليه ذلك من دلالات .

ثانياً : المعاني :

إن العلاقة بين المعاني التي تلج صدر الإنسان والمظاهر التي تستجيد للحس هي علاقة متينة بتأثير أحدهما بالآخر .

فالأمة التي لامست الحضارة ، واعتادت أناملها على الراحة ، وتغنّت بالنعيم، وذاقت طعم الحرية والطلاقة ، لها أدب يظلل حياتها ، وبالعكس تماماً ، فحياة قاحلة ذابت في صحراء مجدبةً ، تملأ أيامها الحيرة والكبت والحرمان ، أيضاً لها الأدب الذي يعكس صورها وألوانها فلكل حياة معنى خاص ، كما أن للتجار معاني ، وللسياسيين معاني ، وللمزارعين معاني ، يتفاوت كل منها عن الآخر .

كل ذلك يؤكد أن البيئة التي تحيط بالفرد تؤثر عليه في جميع جوانب حياته، وبخاصة في الطريقة التي يقصدها لتوضيح المعنى الذي ينوي إيصاله للآخرين[٢].

---

(١) المصدر السابق : ص٦٢-٦٦ .

(٢) ينظر : أثر القرآن في اللغة العربية : ص٧٨ .

كانت حياة العرب في الجاهلية بعيدة عن التكلف ، ملازمة للبساطة في أغلب مظاهرها ، من مأكل ومشرب ومسكن وملبس وقد رافقتهم هذه البساطة فيما يحيط بهم من نباتات وحيوانات ، وكلأ وسلاح حتى في النظام الذي يحتكمون إليه في أثناء منازعاتهم ، فقد تواضع عليه أشرافهم دون حزم يقيد حرية الآخرين ، يستثنى من ذلك النظام الخاص بكل قبيلة ، فهو ما لا يمكن لأحد تجاوزه .

في إطار هذه الحياة ، لا يمكن أن يكون العقل إلا في راحة علمية ، فهو مستبعد عن البحث والتنقيب عن حقائق الأشياء ، أغلب الأمور في هذه الحياة يؤخذ ببساطة ، حتى الشعر – الذي كان يشغل الكثير من العرب – لم يكن ليستنزف الذهن في التفكير والتخيل ، إنها الفطرة – الخالية من تأنق الحاضرين وتكلفهم – التي كانت تملأ أبيات شعرهم لكن بعد أن استقرَّ الإسلام في الجزيرة انحلت عقدة لسانهم وارتقوا بمعاني أشعارهم وتعابيرهم[١] ، وليس المقصود من ذلك كله الانتقاص من أذهان الجاهليين أو القدح بفطرتهم ، لكن نمط حياتهم قد أبعدهم كل البعد عن إزعاج الفكر وحثه على استخراج المعاني ، وإلا فإن المقومات العقلية الشخصية التي كان يتمتع بها العديدون من رجالات ذلك العصر لا يستطيع منافستها أحد ، فلو سنحت لها الفرص ، وكانت الظروف تسمح ، لاستجابت المعاني والأخيلة بما لا يقبل المقارنة مع الآخرين[٢] .

وقد لوحظ أن المعاني في الجاهلية قد سُجلت عليها المآخذ الآتية[٣] :

أ– ضيقة محدودة تتوافق مع ما يحيط بها من مشاهد حياتية .

ب– إنها معانٍ سطحية قريبة التناول ، بعيدة عن العمق في البحث ، وقفت إلى جانب العاطفة أكثر من وقوفها إلى جانب العقل ويمكن القول بأن شعرهم ((ذاتي يصور

---

(١) ينظر : تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، شوقي ضيف : ٤٢/٢ .

(٢) ينظر : أثر القرآن الكريم في اللغة العربية : ص٨٢–٨٦ .

(٣) ينظر : المصدر السابق : ص٨٨–٨٩ .

نفسية الفرد وما يختلجه من عواطف وأحاسيس سواء حين يتحمس الفرد ويفخر أو حين يمدح ويهجو أو حين يتغزل أو يرثي أو حين يعتذر ويعاتب أو حين يصف أي شيء مما ينبثّ حوله في الجزيرة)) [١] .

وهم غالباً ما يفتتحون قصائدهم ((بوصف الأطلال ، وبكاء آثار الديار ، ثم يصفون رحلاتهم في الصحراء ، وما يركبونه من إبل وخيل)) [٢] .

ج- لم تراعِ التناسب والتوافق ، فهي غالباً ما تخرج بداهة ومن دون روية ، فالانتقال من فكرة إلى أخرى من أسهل ما يكون – ولو كان الفرق بين الفكرتين شاسعاً – ولو لم يكن بينهما مناسبة ، وانعدام ما يجمع بينهما ، يضاف إلى ذلك أن العقل العربي ، آنذاك لم يكن ينظر إلى الأمور نظرة شاملة .

د- تتبع المعاني حياة أهلها ، فهي فطرية ، بعيدة عن الغلو والتكلف والتأنق ويُجمل كارل بروكلمان (ت ١٩٥٦م) صاحب كتاب ((تاريخ الأدب العربي)) الخصائص المعنوية لأشعار العرب الجاهليين فيقول إنها ((معانٍ واضحة بسيطة ليس فيها تكلف ولا بعد ولا إغراق في الخيال سواء حين يتحدث عن أحاسيسه أو حين يصور ما حوله في الطبيعة ، فهو لا يعرف الغلو ولا المغالاة ، ولا المبالغة التي قد تخرج به عن الحدود المعقولة . وهذه النزعة في الشاعر الجاهلي جعلته لا يحلل خواطره ولا عواطفه إزاء ما يتحدث فيه من حب أو غير حب فهو لا يعرف التغلغل في خفايا النفس الإنسانية ولا في أعماق الأشياء الحسية)) [٣] . ثم يكمل قائلاً : ((وهذه الحسية فيهم جعلتهم لا يتَسعون بمعانيهم ، بل جعلتهم يدورون حول معانٍ تكاد تكون واحدة)) [٤] .

---

(١) تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي : ١٩٠/١ .

(٢) المصدر نفسه : ١٨٣/١ .

(٣) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي : ٢١٩/١-٢٢٠ .

(٤) المصدر السابق : ٢٢١/١ .

لكن ببزوغ فجر الإسلام ، ارتقى مستوى المعاني التي أصبح يستعملها العرب إلى درجة سامية ، وصار بإمكان القاصي والداني أن يعرف بين معنى كل من العصرين .

فقد تميزت المعاني في عصر الإسلام بأنها معانٍ عقلية ، لا يدركها أيٌّ كان، إلا صاحب البصيرة النافذة ، مع أن الجميع آمنوا بها[١] .

لقد ((تجرد كثير من الألفاظ العربية من معانيها العامة القديمة ، وأصبحت تدل على معانٍ خاصة تتصل بالعبادات والشعائر أو شؤون السياسة والإدارة والحرب ، أو مصطلحات العلوم والفنون)) [٢] .

فالقرآن الكريم فتح أمام اللغة العربية آفاقاً جديدة ، ونقلها إلى ميادين واسعة من عمق الإحساس والتفكير ، بعد أن كانت تدور في فلك المشاعر والعواطف البسيطة من خلال البادية وطبيعة نظام القبيلة .

ثالثاً : أغراض اللغة :

إن الأغراض اللغوية لأدب أمة من الأمم لابُدَّ من أن تتضمنها إحدى البيئتين:

أ- بيئة الطبيعة التي تحيط به ، من جبال ووديان وسهول وطقس ونبات وحيوان...

ب- بيئته الاجتماعية وما يفرض عليه من قوانين وأحكام ومعارف وإدراكات[٣] .

وبالجملة فإن الأغراض اللغوية عامة قد تكون للتعبير عن عاطفة إنسانية أو مظاهر الجمال والذوق ... والغرض من كل ذلك التأثير في النفوس ، واعتماد ذلك إنما يكون على أهمية القضية التي يتم طرحها .

---

(١) ينظر : أثر القرآن الكريم في اللغة العربية : ٨٩-٩٠ .

(٢) فقه اللغة ، علي عبد الواحد وافي : ص١١٩ .

(٣) ينظر : أثر القرآن الكريم في اللغة العربية : ص١٠٨ .

أما الأغراض التي كان يرمي إليها العرب قبل الإسلام فهي غالباً في تقديم نذور أو من أجل المعاملات – سواء أكان ذلك في البيع والشراء أم تحديد حدود – أو في قوانين وأوامر ، ولم تُسجل أغراض أدبية صرف[١] .

لكن لما كانت مبادئ الإسلام تحث على توطيد العلاقة بين أفراد المجتمع ، وتقوية الصلة بين العبد وربه ، انعكس ذلك على الأغراض اللغوية التي سادت في الجاهلية ، وما ذلك إلا بالتغيّر الذي حدث في نفوس العرب ، ونظام حياتهم الذي آنقلب رأساً على عقب ، فهناك أغراض انتفت لتعارضها مع مبادئ الإسلام ، وما فيه من آثار عصبية الجاهلية وإثارة للنعرات العرقية وكل ما قام على أنقاض ضعف الرابطة الاجتماعية ، قد زال من الأغراض التي كان يقصدها العرب في فنونهم اللغوية ، شعرية كانت أم نثرية[٢] .

أصبح الحديث عن الدين من أبرز الأغراض التي يرمي إليها العرب بعد مجيء الإسلام وبخاصة بعدما تحددت معالم الدين الجديد ، وبانت مقاصده ، وبدأوا بقطف ثماره .

وبما أن العقيدة هي الأساس الذي يبنى عليه هذا الدين ، فنالت حظاً وافراً من أغراضهم ، وكذلك عدم التفرغ لمتاع الدنيا والانصراف عما سواها ، أضيف للأغراض اللغوية ، وهو أمر لم يكن ليفكر فيه أحد .

وأبرز ما تلتمس منه الحضارة والتقدم اللذان زود الإسلام به العرب ولغتهم، جعل اللغة العربية أهم وسيلة وغرض للدخول إلى علوم جديدة ، لم يكن العرب يدركون

---

(١) ينظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، ج٨ : ص٧٣٤ .

(٢) ينظر : في أدب الإسلام ، محمد عثمان علي : ص٢٣١-٢٣٢ .

يوماً من الأيام أن يقرؤوها أو حتى يعرفوها ، لولا فضل القرآن الكريم عليهم فيها ، سواء في ترجمة علوم أقوام أخرى إلى العربية[١] .

أو كون اللغة غرضاً للعلوم الإسلامية والعربية الناتجة في صدر الإسلام أما الوصف فيعد من الأغراض التي كانت في الجاهلية ، لكن الإسلام وسع من مدارك العرب وتصورهم للأشياء ، فأصبح وصفهم أكثر دقة وأصدق تعبيراً وأبلغ في نقل الصور للآخرين ، يضاف إلى ذلك التنوع في الموصوفات ، والانتقال من وصف السيف والقوس والرمح ، إلى ما هو أرقى ، فوصفوا القلاع والحصون ، وعمليات الحصار ، وعناصر التحضّر في الطعام ومجالس الشراب.

وبرز التغيّر في أغراض القصص أيضاً ، فبعد ما كان الهدف منها تسلية الناس وإضحاكهم أو تخويفهم تليت عليهم قصص الأنبياء السابقين في القرآن الكريم، ولا يخفى سمو غرض ذلك من تعليم واقتداء وتحذير .

ووسع الإسلام من دائرة الشعور بالفخر والتباهي بالقوة ، فقد كانوا يتغنون بانتصار بعضهم على بعض ، ضمن قبيلة واحدة أو قبائل متعددة ، لكن تحول ذلك إلى الفخر والتباهي بالنصر على أعداء الأمة ، والتفاخر بشجاعة المسلمين[٢] .

أما الخطابة فقد رفع الإسلام من شأنها لاعتماد قسم كبير من تعاليمه عليها ، فهي أبرز وسائل إيصال المعلومات للناس ، سواء يوم الجمعة أو في المناسبات المتعددة .

---

(١) بدأت حركة الترجمة منذ عصر الخلفاء الأوائل ، بعد أن أصبحت العربية اللغة الرسمية للدولة ، فعبد الملك ابن مراون (حكم من ٦٨٥-٧٠٥م) كان نشيطاً على هذا الصعيد ، إلا أن حركة الترجمة توسعت إلى علوم عديدة في القرن التاسع الميلادي لتهتم بداية بعلوم الطب والفلك ثم بالفلسفة وغيرها ، سواء ترجمت من السريانية أو اليونانية أو الفارسية أو غيرها .

ينظر : الترجمة في العصر العباسي ، مريم سلامة ، ص١٢٠٧ ، ترجمة نجيب غزاوي ، منشورات وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، ١٩٩٨ .

(٢) ينظر : أثر القرآن الكريم في اللغة العربية : ص١١١-١١٦ .

ولأن الإسلام جاء مخاطباً العقل ، وهو ما يتماشى مع الخطب أكثر من الشعر ، فقد تقدمت الخطابة على الشعر ، فهي أيضاً الصلة بين النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – والخلفاء الراشدين من بعده وبين عامة الناس .

ولا يمكن إغفال دور القدرة التي تمتع بها العرب في تفعيل دور الخطابة ، والأغراض التي تقصد منها ، فهم أهل تصريف وجوه الكلام ، بطرائق تثير الإعجاب ، وتشد السامعين[١] .

وخلاصة القول : إن الإسلام بمجيئه ألغى بعض الأغراض اللغوية التي تتنافى مع ما يسمو إليه ، كالمفاخرات التي تثر الحقد والضغائن ، وأبقى على بعض الأغراض التي رأى فيها الخير لأمته كالكرم ومكارم الأخلاق والمؤازرة والنجدة والضيافة ، واستحدث أغراضاً جديدة متسقة مع ما تفرضه حيثيات هذا الدين ، وبذلك اتسعت أغراض اللغة إيما اتساع بفضل القرآن الكريم ، بما يعود بالنفع والخير على العرب ولغتهم .

رابعاً : أسلوب اللغة :

إذا أطلقت كلمة أسلوب يفهم السامع ما يقصده المتكلم ، لكن إذا سئل المتكلم عن المراد ، فإنه قد يشعر بالارتباك ، ولأكون دقيقاً في توضيح أثر القرآن الكريم في أسلوب لغة العرب ، أنقل ما أورده صاحب ((لسان العرب)) [٢] في تحديد كلمة الأسلوب فقال : ((والأسلوب الطريق والوجه والمذهب)) .

فالأسلوب هو الطريقة التي يسلكها المتكلم قصده إيصال المعلومة إلى السامع، وهذا يشير إلى أن الأسلوب عادة ما يكون مصحوباً بالحجج المنطقية والبراهين العقلية لإقناع الآخرين ، وقد مرّ آنفاً أن العرب عامة كانوا يعانون من هذه المشكلة، وهي

---

(١) ينظر : في أدب الإسلام ، محمد عثمان علي ، ص٢٣٦ – ٢٣٨ .

(٢) ابن منظور ، (سلب) ، ج١ : ص٤٧٣ .

الضعف في استخدام العقل – من جهة عدم الاستعانة بالمنطق الصحيح لتحليل الكثير من الأمور التي تحيط بهم – وذلك بحكم طبيعة الحياة التي كانوا يعيشونها . فهم كانوا يقتلون أولادهم خشية الإملاق ، وما أكثر الإناث اللاتي وئدن وكُنَّ ضحية لخوف آبائهن من العار ! .

وبما أن اللغة تعد من المظاهر التي تعكس المستوى الفكري والعقلي لمتكلميها ، فلا شك في أن الأسلوب العلمي المنطقي للغة الجاهليين كان أشبه بالمفقود ، لأنه من المحال أن يظهر أسلوب عقلي مقنع مخالف لأسلوب الحياة المعاش . فقد نزل القرآن الكريم على عرف العرب ومناهجهم في البناء والعبارات، وظهر الإقناع بالعقل والمنطق المرتب ، وكان القرآن الكريم في جميع الحالات مناسباً لمقتضى حال المخاطبين ، شديداً عليهم حيناً ، ولينا حيناً ، وتاركاً لهم فرص الإنقياد لدينهم الجديد في حالات أخرى ، وكل هذه الأساليب لا تخلو من المجازات والكنايات والتشبيهات[١] .

فقد ((كانت المعاني في الجاهلية قصراً على الحقيقة ، وإذا جاوزتها إلى غيرها فإلى المجاز ذي العلاقة البارزة التي لم يلبث معها طويلاً حتى صار حقيقة في كثير من الألفاظ أو إلى الكناية القليلة الوسائط مع قرب المنال ، وكانوا إذا تخيّلوا لا يخرجون في ذلك عن الخيال المنتزع الصورة من الحس الظاهر)) [٢] .

وخلاصة ما تقدم : يتبين من خلال القول بأن تقدير العزيز العليم أزلاً أن ينزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين ، اقتضى أن تكون في اللغة العربية خصائص ذاتية تجعلها لا تموت ، ولا تفنى وتتأبى على عوامل الضعف والفناء وتكتسب الخلود .

---

(١) ينظر : أثر القرآن الكريم في اللغة العربية : ص١١٧-١٢٩ .

(٢) تاريخ الأدب العربي ، السباعي بيومي ، ص١٨٥ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

وقد أكسب الذكر الحكيم اللغة كل أسباب العزة والقوة والمتعة والتفنن ، ووسع آفاقها ، ونمّى معارفها ، وقد ظهرت علوم القرآن الكريم ، وبهذه العلوم صارت اللغة لغة علم وأدب وذوق وفنون ، وفوق كل ذلك أداة لعلوم عديدة ومتنوعة .

ولا يمكن حصر أثر القرآن الكريم وفضله على اللغة العربية ، ولكن من باب التجاوز سأقتصر في ذلك على ذكر بعض النقاط وهي :

- أضفى على اللغة جمالاً وجلالاً ووقاراً بعدما حُجر اللفظ الوحشي والنافر ، وصقلها وقوّم أساليبها ، وطبع ألسنة قومها بطابع جديد ، وأضفى على اللغة زيادة أتمّت ثروتها ، وأنارت صفحتها ، وأضفت عليها الحسن والبهاء.
- جمع العرب حول لغتهم ، بعد طول فرقة من اللهجات ، وكان كلما تفرقوا في لهجاتهم ، جمعهم تحت لواء واحد ، فوحدت رايته فطرتهم اللغوية .
- أكسب القرآن الكريم الشعراء والخطباء والكتاب أساليب جديدة وضروباً من القول ، فنهجوا نهجه ، ونسجوا على منواله .

ولا يقصد من ذلك الانتقاص من قيمة اللغة العربية ، وأنها لم تكن قبل نزول القرآن الكريم شيئاً مذكوراً ، فلا يجوز الإجحاف في حقها ، فهي أصابت في الأسواق الأدبية والندوات الفكرية التي كانت تعقد قبل مجيء الإسلام نصيباً من الرقي والكمال ، ولكن القصد أن القرآن الكريم لما نزل نالت اللغة العربية ذروة الكمال الفني اللغوي ، ووصف أسلوبها بالإعجاز ، وبلغت ببركة القرآن الكريم الحد الأقصى في الثبات والتوحد واتساع الرقعة ومدَّ السلطان[١] .

---

(١) ينظر : نحو وعي لغوي ، مازن المبارك : ص١٢٦-١٢٧ ، دمشق ، ١٩٧٠ .

الفصـــــل الأول

﴿ أثر القرآن الكريم في التفسير الدلالي للألفاظ ﴾

- أثر القرآن الكريم في التفسير الدلالي للألفاظ :

سار ابن منظور في معجمه – لسان العرب – على وفق منهج واضح في أثناء تفسيره دلالة الألفاظ . إذ نجد من خلال الإطلاع على معجم لسان العرب أنه اعتمد على طرائق معينة لتأدية الدلالة وتفسيرها ، وهو في أثناء تفسيره لدلالة الألفاظ لم يشر إلى هذه الطرائق صراحةً ، إلا أَنَّ تفسيراته لدلالة الألفاظ الواردة في سياق النص القرآني الذي استشهد به لم تخرج عن الأساليب الآتية :

أولاً : التفسير بالترجمة :

وأعني بالترجمة هنا ((أن تُفَسَّر الكلمة بكلمة أخرى من اللغة نفسها ، أو بأكثر من كلمة أخرى من اللغة نفسها كذلك))[١] .

أي أن التفسير بالترجمة يشمل نوعين من التفسير وهما :

- *النوع الأول* : التفسير بالكلمة الواحدة ، أي تفسير اللفظ بلفظ آخر يرادفه أو يقاربه. ومن أمثلة ذلك ما جاء في اللسان ما يخصّ الألفاظ الآتية : ((جَبَخَ : تكبَّر))[٢] و((التـرُّبخ : الاسـترخاء))[٣] ، (الشُّـكْدُ : العطـاء))[٤] ، و((الشُّـح : البخـل)[٥] ، و((المُسَّـومة : المعلمـة))[٦] ، و((العَـذافَرة : الضـخمة))[٧] ، و((الأَوْبُ : الرجـوع))[٨] وغير ذلك كثير .

---

(١) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، د. محمد أحمد أبو الفرج ، دار النهضة العربية ، بيروت – ١٩٦٦م .

(٢) لسان العرب : ١١/٣ .

(٣) المصدر نفسه : ١٧/٣ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٣٨/٣ .

(٥) المصدر نفسه : ٤٩٥/٢ .

(٦) المصدر نفسه : ٣١٢/١٢ .

(٧) المصدر نفسه : ٥٥٥/٤ .

(٨) المصدر نفسه : ٢١٧/١ .

النوع الثاني : التفسير بأكثر من كلمة واحدة :

تعمد معاجمنا القديمة إلى تفسير الكلمة بعبارة أو أكثر ، وغالباً ما تكون هذه العبارة المفسِّرة مصدَّرة بأحد المفاتيح التفسيرية الآتية : (إذا – الذي – هو – ما – أي) [١] .

وقد استعمل لسان العرب كونه معجماً سار على منهج سابقيه من المعجمات العربية هذه الطريقة في التفسير ومن ذلك ما جاء فيه من قوله : ((اللَّحْدُ : الشق الذي يكون في جانب القبر موضِع الميت لأنه قد أُمِيلَ عن وسط إلى جانبه ... والإلحاد : الميل عن القصد))[٢] ، و((تزايد أهل السوق على السلعة إذا بيعت فيمن يزيد)) [٣] .

ويلاحظ هنا أن استعمال (إذا) كثيراً ما يرافق الشرح المحدد الوجهة ، والتفسير في حال التقييد لا الإطلاق ، وجاء استعمال (الذي) فيما يشبه استعمال (إذا)، ومن ذلك ما أورده بشأن تبيان دلالة لفظة (عجم) ، إذ قال : ((... قال أبو اسحق الزجاج الأعجم الذي لا يُفْصح ولا يُبِّينُ كلامه وإن كان عربي النسب كزياد الأعجم ... ، فأما العجميُّ فالذي من جنس العجم ، أَفْصَحَ أو لم يفصح)) [٤].

ومن أمثلة ما جاء بشأن استعمال (هو) قول صاحب اللسان : ((الأعراف في اللغة : جمع عُرْف وهو كل عالٍ مرتفع)) [٥] .

وقد فسَّر اللسان الكثير من الألفاظ اللغوية الواردة في متنّه عن طريق الآيات القرآنية المستشهد بها بهاتين الطريقتين وعلى وفق ما تتحمله الآية المباركة من دلالات ومعانٍ ، ومن ذلك مثلاً ما جاء في اللسان فيما يخصُّ الطريقة الأولى من التفسير

---

(١) المعجم العربي ، بحوث في المادة والمنهج والتطبيق ، رياض زكي قاسم : ٢٤٨ .

(٢) لسان العرب (لحد) : ٣٨٨/٣ .

(٣) المصدر نفسه (زيد) : ١٩٨/٣-١٩٩ .

(٤) لسان العرب (عجم) : ٣٨٦/١٢ .

(٥) لسان العرب (عرف) : ٢٤١/٩ ، وللمزيد ينظر : لسان العرب (فرش) : ٣٢٩/٦ ، (تقن) : ٧٣/١٣ ، (أول) : ٣٣/١١ ، (أمن) ٢٣/١٣ . وغير ذلك كثير .

بالترجمة – أعني التفسير بكلمة واحدة – ما أورده ابن منظور نقلاً عن الفراء في معنى (اللفت) ، إذ قال ((... ولَفَتَهُ عن الشيء يَلْفِتُه لَفْتاً: صَرَفَهُ ، .... اللفت : الصرف))[١] ، مستدلاً في ذلك بقوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس– ٧٨)، ومعنى تلفتنا في هذه الآية المباركة هو : ((تصرفنا))[٢] .

وقد جاء تحديد المعجم لدلالة هذه اللفظة الواردة في القرآن الكريم بكلمة واحدة مراداً بها (الصرف) على وفق ما مرَّ آنفاً .

والتفسير بهذه الكلمة كافٍ لتوضيح دلالة لفظة (اللفت) وهي الحركة السريعة المفاجئة التي أُريد بها تغيير وجهتهم عن عبادة أصنامهم ، وعبَّر عن هذا التحويل بحركة اللفت ؛ كأنهم كانوا يخشون أن تؤثر فيهم دعوة موسى وهارون ﴿عليهما السلام ﴾ تأثيراً مفاجئاً من حيث لا يشعرون ، فتنصرف قلوبهم عن عبادة أوثانهم .

ومن ذلك ما جاء في لسان العرب بصدد دلالة لفظة (عائل) في قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ (الضحى – ٨) ، قال ابن منظور : ((العائل : الفقير))[٣] ، أي وجدك يا محمد ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ فقيراً فأغناك .

أمّا الطريقة الثانية أي : التفسير بأكثر من كلمة واحدة ، فمما جاء في لسان العرب من أمثلتها قول ابن منظور في معاني (المَنُوع) و(المَنّاع) الواردتين في قوله

---

(١) لسان العرب (لفت) : ٨٤/٢ ، وينظر : معاني القرآن للفراء : ٤٧٥/١ .

(٢) لسان العرب (لفت) : ٨٤/٢ ، وينظر : مجمع البيان للطبرسي : ١٨٩/٥ .

(٣) لسان العرب (عول) : ٤٨٨/١١ .

تعالى : ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴾ (قّ – ٢٥) ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ (المعارج–٢١) ، ((... ورجل منوعٌ ومانعٌ ومنّاعٌ :ضنينٌ مُمسِكٌ))[١] .

ومنه أيضاً ما ذكره ابن منظور بشأن مادة (نكس) الواردة في الآية الكريمة : ﴿ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (السجدة – ١٢) ، إذ قال : ((... والناكِسُ: المُطأْطئ رأسه . وَنَكَسَ رأْسَه إذا طأْطأَه من ذُلّ))[٢] .

ومما جاء في لسان العرب في تفسير الألفاظ القرآنية الواردة في الآيات المباركات بهذه الطريقة ، قال تعالى : ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ (المؤمنون – ١٠٤) .

إذ ذكر ابن منظور في ضمن إيراده كلام الزجاج (ت ٣١١هـ) قوله : ((...الكالح : الذي قَلَصَت شفته عن أسنانه)) [٣] .

ومنه أيضاً ما أورده ابن منظور في تفسيره للآية الكريمة : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ (الفجر – ٧) في ضمن كلامه على مادة (عمد) قوله : ((معناه : أي ذات الطول ، وقيل : أي ذات البناء الرفيع ، وقيل : أي ذات البناء المُعَمِد)) [٤] .

ومما ذكره في هذا الباب أيضاً قوله في مادة (تقن) في ضمن تفسيره للآية المباركة : ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (النمل – ٨٨) ، ((ورجل تِقنٌ : وهو الحاضرُ المَنْطِق والجواب))[١] .

---

(١) المصدر نفسه (منع) : ٣٤٣/٨ .

(٢) لسان العرب (نكس) : ٢٤١/٦ . وللمزيد ينظر : لسان العرب (خطم) : ١٨٨/١٢ ، (بكر) : ٧٩/٤ ، (صبغ) : ٤٣٧/٨ ، وغير ذلك كثير .

(٣) لسان العرب (كلح) : ٥٧٤/٢ ، وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٢٠/٤ .

(٤) لسان العرب (عمد) : ٣٠٣/٣ .

ومـن أمثلتـه أيضـاً مـا أورده ابـن منظـور بشـأن تفسـير قولـه تعـالى : ﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ (آل عمران – ١٥٢) ، فـي ضـمن مـادة (حسس) إذ قـال : ((... أي تقتلونهم قتلاً شديداً ، والاسم الحُساسُ ؛ عن ابن الأعرابي ؛ وقال أبو اسحق : معناه: تستأصلونهم قتلاً)) [٢] .

ووجدت ابن منظور أحياناً لا يكتفي بتفسير الألفاظ وتبيان دلالتها بأحدِ هذين النمطين ، إذ كـان يمـزج بينهمـا حينمـا يسـتدعي السـياق الإبانـة ويتطلـب المقـام زيـادة توضيح ومن أمثلـة ذلك مـا أورده من معانٍ ودلالات بشأن لفظـة (الهلوع) الواردة فـي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ (المعارج – ١٩) .

إذ ذكـر أن معناهـا (الشـره) ، ومـن ثـمَّ نقـل عـن الفـراء قولـه : ((الهلـوع : الضجور)) [٣] .

وكما هو مستبان ممّا مرّ أن ابن منظور أورد دلالتين للفظة (الهلع) تتلخصان في كلمة واحدة وإن تباينتا وهما : الشره والضجر .

ولـم يكتـف ابـن منظـور بهـاتين الـدلالتين وإنمـا لجـأ إلـى توسـيع دلالـة اللفظـة والتفصيل في معناها باستخدام الطريقة الثانية من التفسير بالترجمة ، إذ قال : ((الهلوع : الذي يفزع ويجزع من الشر)) [٤] .

ولا يخفـى مـا لهـذا الأمـر مـن أثـر فـي إغنـاء الثـروة اللغويـة فـي المعجـم العربـي وتوسيع آفاق تداول الألفاظ ودلالاتها والتعامل مع الألفاظ العربية والقرآنية بوجهٍ خاص ، وتقليب تلك الدلالات ، وطرح وجوه المعاني التي تحتملها بطريقتي الإيجاز والتفصيل

---

(١) المصدر نفسه (تقن) : ٧٣/١٣ .

(٢) لسان العرب (حسس) : ٥٢/٦ ، وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٤٠١/١ .

(٣) لسان العرب (هلع) : ٣٧٥/٨ ، وينظر : معاني القرآن للفرّاء : ١٨٥/٣ .

(٤) المصدر والصفحة نفسها .

(التفسير بكلمة والتفسير بأكثر من كلمة) وصولاً إلى توضيح الدلالة الأقرب من الآية الكريمة ومعناها .

ثانياً : التفسير بتبيان الفروق الدلالية :

إن العربية لغة ثرية من حيث الألفاظ غنية من حيث تعدد معانيها ودلالتها وتتدرج في ضمن هذه الجمهرة من الألفاظِ ألفاظٌ قد تتشابه في أداءِ المعنى ، أو تتقارب دلالاتها اللغوية . وقد كان هذا التشابه ملحوظاً من لدن العرب الأقدمين ، بسبب صفاء سلائقهم اللغوية وفصاحتهم التي عرفوا بها ، بيد أنَّ تلك الفروق الدقيقة بين تلك الألفاظ المتباينة تضاءلت بمرور الزمن فتداخلت معاني تلك المفردات ، فحصل اقترابها ، ومن ثَمَّ ترادفها[١] .

فالاستخدام الحديث لعلم اللغة يقرر أن ((في ظل مبدأ نسبية الدلالة يندر أن تكون هناك كلمات تتفق في ظلال معانيها اتفاقاً كاملاً ومن الممكن أن تتقارب الدلالات))[٢] .

وقد دأب المعجم العربي على إذكاء جذوة الحياة في تلك الفروق الدلالية بين المفردات بدافع التنقير في دلالات المفردات ، وسبر غورها ، وتقليب معانيها . ومن ذلك ما جاء بشأن دلالة لفظتي (المستَقر والمستودَع) التي وردتا في قوله تعالى : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ (الأنعام – ٩٨) .

وعلى هذا الأساس فأننا نجد ابن منظور التمس الفرق الدقيق بين دلالة اللفظتين ، إذ قال : ((ومَقَرُّ الرحم : آخِرُها ، ومُسْتَقَرُّ الحَمْل منه . وقوله تعالى :

---

(١) الترادف في اللغة : ٢٢٢ ، وينظر : أبو هلال العسكري وآثاره في اللغة : ١٥١ . والبحث اللغوي عند فخر الدين الرازي : ٣٠٠ .

(٢) مدخل إلى علم اللغة : ٧٩ .

﴿فمستقرٌّ ومستودع﴾ ؛ أي فلكم في الأرحام مستقر ولكم في الأصلاب مستودع ... وقيل : مستقرٌ في الدنيا موجود ، ومستودَع في الأصلاب لم يخلق بَعْدٌ)) [١] .

فقد أدرك ابن منظور الفرق الدلالي الدقيق بين لفظتي (المستقر والمستودع) ، وهذا الإدراك يَنمُّ عن فهم ثاقب للقدرة الدلالية التي تنطوي عليها تلك الألفاظ التي تكاد معانيها تتقارب وتمتزج وهذا الأمر ما كان ليحصل لولا القرآن الكريم الذي أمدَّ اللغة العربية بالكثير من الألفاظ اللغوية مما ساعد على إغناء الثروة اللغوية للمعجم العربي .

ومما تجدر الإشارة إليه ، إن العديد من العلماء أدركوا هذا الفرق الدقيق بين دلالة اللفظتين ، فقد أشار فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) إلى الفرق بينهما من حيث إنّ المستقر الموضع الذي يحصل فيه الشيء ، ولا يكون على شرف الزوال ، وأما المستودع فهو الموضع الذي يحصل فيه الشيء ويكون على شرف الزوال ، لأنه في معرض الاسترداد في كل حين وأوان[٢] .

وقد لاحظت ابن منظور أحياناً يفسر اللفظة بمرادفها ، ومن أمثلة ذلك لفظتي (الأثم والذنب) ، إذ قال : ((الإثم : الذنب ، وقيل : هو أن يعمل مالا يحل له)) [٣] .

إلا أن الاستعمال القرآني لهاتين اللفظتين يقرر بأن هناك فرقاً في المعنى يؤدي إلى اختلاف في الاستعمال . خاصة إذا ما علمنا أن كلاً منهما قد ذكر في القرآن الكريم .

---

(١) لسان العرب (قرر) : ٨٧/٥ .

(٢) التفسير الكبير : ١٠٣/١٣ ، وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣٠١/٢ .

(٣) لسان العرب (أثم) : ٥/١٢ .

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ (الفرقان : ٦٨-٦٩) .

ولا شك أن الشرك بالله وقتل النفس والزنا من أشد المنكرات وأكبر الكبائر، وفي خطأ من يكتم شهادة الحق قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ (البقرة-٢٨٣) .

وكتمان شهادة الحق هو في الحقيقة شهادة زور ، لأن عدم التصريح بالحق هو نشر للباطل والكذب . كل تلك الآيات تبين إلى أي حد يسبب الإثم ضرراً في الحياة الإنسانية .

أما الآيات القرآنية التي ذكر فيها الذنب فهي غالباً تتحدث عن خطأ الإنسان، وقلما يرد فيه ذكر الكبائر . قال تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ (الرحمن-٣٩) .

والآيات القليلة التي ربطت بين الذنب والكبائر معدودة ومحددة ، منها قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران-١٣٥) .

والملاحظ أن آيات القرآن الكريم تبين أن الأثم بهذا المعنى أوسع من الذنب . فالذنب هو الفعل الخاطئ الذي يقترفه الإنسان ، وهو غالباً ما يندم عليه ويتمنى الاّ يعود إليه وهو ليس في خطورة الأثم وفي تأثيره على المجتمع ككل .

وقد أهتم العلماء السابقون بشرح معنى الإثم أكثر من اهتمامهم بكلمة الذنب، وربما يدل هذا على شعورهم بأن الإثم شيء أكبر من الذنب وأخطر . قال صاحب الأشباه والنظائر : ((ورد تفسير الإثم على خمسة وجوه : فوجه منها الأثم يعني الشرك . والوجه الثاني يعني المعصية ، والوجه الثالث يعني الذَنبِ . والوجه الرابع الإثم يعني الزنا والوجه الخامس الإثم يعني الخطأ)) [١] .

ومن هذا النص يظهر أن الذنب هو بعض الإثم . وأن دائرة الإثم تتسع لتشمل الكبائر . والواقع أن آيات القرآن الكريم قد ربطت بين الإثم والكبائر مما يدل على أنه عمل منكر وتصرف بعيد عن الصواب . وهذا يدل على أن دائرة الذنب أضيق في الإسلام من دائرة الإثم . وأن الذنب والإثم ليسا مترادفين كما قال ابن منظور ، خاصة عندما تؤكد أن كلمة الإثم تحمل في ثناياها أيضاً مفهوم الجزاء. فكلمة الإثم تدل على كبر الذنب وشناعة الجزاء الذي ينتظر الإثم .

وهكذا يكون القرآن الكريم قد فرق بين دلالة اللفظتين (الإثم والذنب) من خلال ورود كل منهما في سياق قرآني خاص .

ومن أمثلة هذا الباب أيضاً ما أورده ابن منظور بشأن لفظتي (الريب والشك)، فقد فُسر أحدهما بالآخر ، إذ قال : ((الرَّيْبُ : صَرْفُ الدَّهْرِ . والرَّيْبُ والرِّيبةُ : الشَّكُّ ، والظِّنَّةُ ، والتُّهمَةُ)) [٢] .

وقد يبدو تفسير الريب بالشك قريباً ، لولا أن البيان القرآني أتى بالريب وصفاً لشكٍّ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾ (سبأ-٥٤) ، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ (فصلت-٤٥) .

---

(١) الأشباه والنظائر ، السيوطي : ص٣١١ .

(٢) لسان العرب (ريب) : ٤٤٢/١ .

فلفت ذلك إلى وجود فرق دقيق بين دلالة اللفظتين ، لأن الشيء لا يوصف بنفسه ، وذكر الراغب الأصفهاني (ت في حدود ٤٢٥هـ) في الريب معنى التوهم كما ذكر التشكك . قال : ((فالريب أن تتوهم بالشيء أمراً فينكشف عما تتوهمه ، ولذا قال تعالى : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (البقرة–٢) ، والإرابة أن تتوهم : ﴿ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ ﴾ (الحج–٥)، وقوله : ﴿ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ (الطور–٣٠) لأنه مشكك في كونه ، بل من حيث تشكك في وقت حصوله . فالإنسان أبداً في ريب المنون من جهة وقته لا من جهة كونه . والارتياب يجري مجرى الإرابة . وريب الدهر صروفه ، لما يُتوهم فيه من المكر، والريبة اسم من الريب ، أي تدل على دغل وقلة يقين))[١] .

قال فخر الدين الرازي : ((الريب قريب من الشك ، وفيه زيادة ، كأنه ظن سوء ، تقول: رابني أمرُ فلان ، إذا ظننت به سوءًا)) [٢] .

وفي ضوء ما تقدم امسى الفرق واضحاً بين دلالة اللفظتين ، وبناءاً عليه فهما ليسا مترادفين ، وهذا الأمر ما كان ليتم لولا تَدَبُّر علماءنا الأجلاء لآيات القرآن الكريم المباركات والنظر فيها الأمر الذي كشف لنا فضل القرآن الكريم على اللغة العربية لكونه من أهم وسائل إثراء اللغة بالألفاظ والدلالات المتنوعة .

ولم يكن غريباً أن يسهم القرآن الكريم في توسيع دائرة تناول هذه الظاهرة الدلالية في المعجم العربي وإثرائها لتفسير هذه الألفاظ مما يفضي على بنائه إطلالات مشرقة ، ولمحاتٍ تعبيرية ودلالية بيِّنة .

إذ إنَّ الفروق الدلالية تفتح باباً للتحليل الدلالي وهي أيضاً تنور طبيعة الجهود الدلالية العربية القديمة خاصة ؛ إذ إننا نلمس توظيفاً للبحوث الدلالية التطبيقية على نحو واسع في حياتنا العلمية[١] .

---

(١) **مفردات ألفاظ القرآن الكريم : للراغب الأصفهاني : ٣٦٨ .**

(٢) **التفسير الكبير : ١٨/٢ .**

والمجال الأعلى الذي ينبئنا عن هذا التحليل والتنوير هو القرآن الكريم إذ نجد أن اختياره ((للألفاظ في دلالتها إنَّما جاء متناسقاً مع مقتضيات الحال وطبيعة المناسبة ، وقد يكون ذلك التناسق صادراً لجهات متعددة تؤخذ بعين الاعتبار لدى تجديد القرآن لمراد الاستعمال في الحالات الوصفية والتشبيهية والتمثيلية والتقريرية...)) [٢] .

ومن أمثلة تقصي الفروق الدلالية في تبيان تغير الألفاظ القرآنية ما أورده ابن منظور بشأن لفظتي (الخشوع والخضوع) ، الواردتين في قوله تعالى : ﴿ **ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ** ﴾ (المؤمنون-٢) ، وقوله تعالى : ﴿ **فَظَلَّتۡ أَعۡنَاقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ** ﴾ (الشعراء-٤) ، إذ قال : ((الخُشُوع : رمى ببصره نحو الأرض وغَضَّه وخفض صوته ... والخشوع قريب من الخُضوع إلا أنَّ الخضوع في البدن ، وهو الإقرار بالاستخذاء ، والخشوع في البَدن والصوت والبصر ؛ كقوله تعالى : ﴿ **خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ** ﴾ (المعارج - ٤٤) ، ﴿ **وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ** ﴾ (طه - ١٠٨) أي سكنت)) [٣] .

فالخاشعون في الصلاة هم الذين تستشعر قلوبهم رهبة الموقف وجلاله بين يدي الخالق عزَّ وجلَّ فتهدأ وتسكن ، ويعمَّ الخشوع ملامحهم وحركاتهم ، وهذا معنىً جديد للخشوع لا شك في أنّه ديني .

---

(١) علم الدلالة العربي ، فائز الداية : ٢٦ ، وينظر : البحث الدلالي في تفسير الميزان ، مشكور كاظم العوادي : ٣٢٦ .

(٢) تطور البحث الدلالي ، محمد حسين الصغير : ٦٢ ، وينظر : مفهوم النظم عند عبد القاهر (بحث) نصر حامد أبو زيد : ١٥-١٦ . والبحث الدلالي في تفسير الميزان : ٣٢٧ .

(٣) لسان العرب (خشع) : ٧١/٨ .

وبذلك كان للقرآن الكريم بما تضمن من آيات مباركة تحوي ألفاظاً تتقارب دلالاتها وتضمن في الوقت نفسه الاستعمال اللغوي الدقيق للمعاني والدلالات والفروق التي تنطوي عليها .

ويزاد على هذا ما جاء في بيان الفرق الدلالي بين لفظتي (الأخرس والأبكم) الواردة في قوله تعالى: ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ ﴾ (البقرة – ١٨) ، فيما نقله ابن منظور عن الازهري إذ قال : ((بين الأخرسِ والأبكمَ فرقٌ في كلام العربَ : فالأخرسُ الذي خُلِقَ ولا نَطَقَ له كالبهيمة العَجْماء ، والأبكَم الّذي للسانه نُطْقٌ وهو لا يعْقِل الجوابَ ولا يُحسِن وَجْه الكلام)) [١] .

ويبدو تأثير النص القرآني في بيان الفرق الدلالي لهاتين اللفظتين واضحاً بيناً ولم يكن الفرق في المعنى ليظهر لولا الاستشهاد بالآية المباركة لأنَّ ما جاء في اللسان من تفسير لمعنى لفظة الأبكم هو الأخرس[٢] .

فجعل القرآن الكريم العلماء يعملون فكرهم لإيجاد الفرق الدلالي الدقيق الذي ينطوي عليه معناهما وفي ضوء كلام الله العزيز .

وقد يورد ابن منظور الفروق الدلالية ليعطي بياناً عن بعض ((صيغ الأفعال المركبة)) وأريد بها تلك الأفعال التي تختلف دلالتها عندما يلحق بها حرف من حروف الجر ، أو عبارات مع حروف الجر ، كالفعل (قضى) فإذا ألحق به حرف الجر (اللام) : (قضى له) صار بمعنى حكم له ، أو لصالحه . وإذا ألحقنا به حرف الجر (على) صارت دلالته عكس تلك الدلالة ، أي (قضى عليه) ، وإذا ألحقنا به الظرف (بين) صارت بمعنى : (حكم عليه) ، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ ﴾ (صّ – ٢٢) . قال ابن منظور : ((والقضاء : الحَتم والأمْرُ . وقضى أي: حَكَمَ ، ومنه

---

(١) **لسان العرب (بكم) : ٥٣/١٢ .**

(٢) **المصدر والصفحة نفسها .**

القضاء والقدر . وقوله تعالى :﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ (الاسراء-٢٣) ؛ أي أمر ربك وحَتم ، وهو أمر قاطع حَتْمٌ . وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ ﴾ (سبأ – ١٤) ؛ وقد يكون بمعنى الفراغ ، تقول : قَضيت حاجتي . وقضى عليه عَهْداً : أوصاه وأنفذه ، ومعناه الوصية ، وبه يفسر قوله عزَّ وجل : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (الإسراء – ٤) ؛ أي عَهِدنا وهو بمعنى الأداء والإنتهاء . تقول : قَضيتُ ديني ، وهو أيضاً من قوله تعالى : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ ، وقوله : وقضينا إليه ذلك الأمر ؛ أي أنْهَيناه إليه وأبلغَناه ذلك، وقضى أي حكم . وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ (طه – ١١٤) ؛ أي من قبل أن يُبَيَّن لك بيانه))[١] . ونقل عن الليث أن قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ ؛ أي أتمَمنا عليه الموت[٢] .

ومثله الفعل (رغب) . فإذا ألحقنا به حرف الجر (في) صار دالاً على إرادة الشيء وطلبه . وإذا ألحق به حرف الجرِّ (عن) صار دالاً على النفور من الشيء، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ (البقرة-٣٠) ، يقول ابن منظور في معرض تبيان الفرق الدلالي الوارد في الآية المباركة : ((ورَغِبَ في الشيء رَغباً ورَغبةً ورَغْبَى ، على قياس سكرى ، ورَغَباً بالتحريك : أراده ، فهو راغِبٌ ؛ وارتَغبَ فيه مثلهُ .... ورَغِبَ عن الشيء : تَركَه مُتَعَمَداً ، وزَهِدَ فيه ولم

---

(١) لسان العرب (قضي) : ١٨٦/١٥-١٨٩ ، وينظر : القرآن الكريم وتفاعل المعاني ، د. محمد أحمد داود : ٣٠٤/٢-٣٠٥ .

(٢) لسان العرب (قضي) : ١٨٩/١٥ .

يُرِدُه . ورغب بنفسهِ عنه ... يقال : رَغِبْتُ بفلانٍ عن هذا الأمر إذا كرِهتَه له ، وزَهِدتَ له فيه)) [١] .

ومما جاء في هذا الباب أيضاً ما ورد في لسان العرب بصدد لفظتي (الحمد والشكر) الواردتين في قوله تعالى : ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (يونس-١٠) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ (النمل-٤٠) .

يقول ابن منظور : ((الحمدُ : نقيض الذَم ... وقد حَمِدَه حمداً ومَحْمَدا ومَحْمَدَة وَمَحمِداً ومَحْمِدَةً ، نادرٌ ، فهو محمود وحميد والأنثى حميدة ... ورجلٌ حَمادٌ مثله . ويقال : فلان يتحمد الناس بجوده أي يريهم أنه محمود ... وأحمده استبان أنه مستحق للحمد . وعن ابن الأعرابي : رجل حَمْدٌ وامرأة حَمْدَةٌ محمودان)) [٢] .

والحمد في العصر الجاهلي كان للناس من الناس . أي أنهم كانوا يحمد بعضهم بعضاً . ودليل ذلك تلك الصيغ التي وردت في مشتقات هذه الكلمة ، في أشعارهم وأمثالهم . فمن أقوالهم في الأمثال : من أنفق ماله على نفسه فلا يتحمد به إلى الناس . وهناك المثل المشهور : العود أحمد[٣] .

قال طرفة[٤] : **والمجد نُنْميه ونَتلِدُهُ والحمد في الأكفاءِ نَدَّخِرُه**

وقال النابغة[٥] : **علون معداً نائلاً ونكاية فأنت لغيث الحمد أول رائد**

---

(١) لسان العرب (رغب) : ٤٢٢/١-٤٢٣ ، وينظر : القرآن الكريم وتفاعل المعاني : ٦٣/٢ .

(٢) لسان العرب (حمد) : ١٥٥/٣-١٥٦ .

(٣) لسان العرب (حمد) : ١٥٦/٣ . وينظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : ٣٠٥ .

(٤) ديوان طرفة : ٩٩ .

(٥) ديوان النابغة : ١٧١ .

ومن الأدلة القاطعة على ذلك أنهم عرفوا أسم (محمد) في العصر الجاهلي. فقد روي أنه تسمى به سبعة من الرجال هم : محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي . ومحمد بن عتوارة الليثي ومحمد بن أُحيْحَة بن الجلاح الأوسي . ومحمد بن جمران بن مالك الجعفي المعروف بالشويعر . ومحمد بن مسلمة الانصاري أخو بني حارثة ومحمد بن خزاعي بن علقمة . ومحمد بن حرماز بن مالك التميمي العمري[١] .

أما في القرآن الكريم فقد ذكر الحمد بصيغ مختلفة مشتقة من الصيغة السابقة، وإذا تلونا آيات الله عز وجل نجد أن الحمد لم يرد في القرآن إلا لله . قال تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الفاتحة –١) ، وقال تعالى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ (قّ – ٣٩) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (البروج – ٨) .

وهكذا يكون معنى الحمد في القرآن هو معنى الحمد نفسه في الشعر الجاهلي. ولكن القرآن خصص الحمد لله عز وجل . وبذلك صار مصطلحاً خاصاً معروفاً في حياة المسلمين لا يتوجه به المسلم إلا لله عزّ وجلّ . ومن هنا كان اسم الله عز وجل (الحميد) أي هو عزّ ذاته المحمود على كل حال[٢] .

وقال ابن منظور في مادة (شكر) في معرض إيراده قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (الإسراء–٣) : ((والشُّكرَ : مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية ، فيثني على المنعم بلسانه ويذيب نفسه في طاعته ويعتقد أنه مُولِيها))[٣] .

---

(١) لسان العرب (حمد) : ١٥٧/٣ .

(٢) ينظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : ٣٠٧ .

(٣) لسان العرب (شكر) : ٤٢٤/٤ .

وفي القرآن الكريم ورد الشكر ومشتقاته في آيات كثيرة . وجل هذه الآيات تنسب الشكر لله عزّ وجلّ لأنه تعالى وحده هو ولي النعم . ولكن الناس أيضاً – من خلال نعم الله – ينعم بعضهم على بعض ، ولذلك يشكر بعضهم بعضاً . لذلك وردت آيات قليلة تنسب الشكر للعباد . قال تعالى في قصة الإمام علي بن أبي طالب ﴿ عليه السلام ﴾ عندما أطعم مسكيناً ويتيماً وأسيراً : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (الانسان – ٩) ، وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ (لقمان–١٤) .

وهكذا يكون الشكر في القرآن قد استعمل بمعناه الذي عرف به قبل الإسلام وهو الثناء على المحسن . ولكن القرآن الكريم لم يجعل الحمد مرادفاً للشكر كما فعل الشعر الجاهلي بل فصل بينهما بأن خصص الحمد لله وجعل الشكر لله وللعباد . وهذا ما استثمره ابن منظور في معجمه إذ قال : ((الشُّكْرُ : مثل الحمد إلا أنَّ الحمد أعم منه ، فأنك تَحمَدُ الإنسانَ على صفاته الجميلة وعلى معروفه ، ولا تشكره إلا على معروفه دون صفاته)) [١] .

وقد تنبَّه بعض العلماء لوجود فرق ما بين الحمد والشكر ، ولكنهم لم يتابعوا الأمر . قال ثعلب : ((الشكر لا يكون إلا عن يدٍ والحمد يكون عن يد وعن غير يد))[٢] .

ولكن أحداً لم ينتبّه لما ذكر آنفاً من فرق بينهما . وهو أن الحمد خاص بالله عزّ وجلّ ، والشكر يكون لله ويكون للعباد . وهذا هو الفرق الذي أكده السياق القرآني

---

(١) **لسان العرب : (شكر) : ٤/٤٢٤ .**

(٢) **المصدر نفسه : ٤/٤٢٣ .**

وأجمعت عليه الآيات القرآنية الكريمة . وهذا ما أغنى المعجم بآراء ومناقشات العلماء في القضايا اللغوية والدلالية .

ومن مظاهر العناية بالفروق الدلالية بين الألفاظ الواردة في سياق الآيات القرآنية المباركة الاهتمام بالمظاهر التعبيرية لقسمات وجه الإنسان مما يعد من الدلالات المهمة التي ينطوي عليها الخطاب اللغوي من ذلك ما جاء في لسان العرب بشأن لفظة (عَبَسَ) يَعبسُ عبوساً فهو عابس الوجه : غضبان . فإن أبدى عن أسنانه في عبوسه ، قلت : (كَلَحَ) . وإنْ اهتم لذلك وفكر فيه ، قلت : بَسَرَ .

قال ابن منظور بعد أن أورد قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾ (المدثر–٢٢) وإن رأيته مع ذلك مغضباً قلت : بسر . وإن رأيته مع ذلك وقد زوي بين عينيه ، قلت : قطب وقطّب أيضاً فهو عابس وقاطب[١] . وقال أيضاً : ((عَبَسَ يَعبِسُ عبساً وعَبَّس: قطب ما بين عينيه ، ورجل عابسٌ من قوم عُبُوس ... وعَبَّسَت تَعبِيساً ، فهو مُعبِّسٌ وعَبَّاسٌ إذا كرَّه وجهه شدد للمبالغة ، فإن كشر عن أسنانه فهو كالحٌ ، وقيل : عبس كلح)) [٢] .

ونقل ابن منظور عن أبي أسحق الزجاج قوله في مادة (بسر) ، الواردة في الآية الكريمة (عَبَسَ وبَسَرَ) : ((قال أبو أسحق : بَسَرَ أي نظر بكراهة شديدة . وقوله : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾ (القيامة – ٢٤) أي مُقَطِّبةٌ وقد أيقنت أن العذاب نازل بها)) [٣] .

لوحظ في هذا المثال والأمثلة المتقدمة آنفاً اهتمام معجم – لسان العرب – وعنايته بإيراد الآيات القرآنية التي تحتوي ألفاظاً عربية تدخل في ضمن الفروق الدلالية

---

(١) لسان العرب : (عبس) : ١٢٨/٦ .

(٢) المصدر والصفحة نفسها .

(٣) لسان العرب (بسر) : ٥٨/٤–٥٩ ، وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ١٩٨/٥ .

ويورد معها آراء العلماء وتفسيراتهم المتعدّدة لهذه الألفاظ مما يكوّن تفسيرات لغوية غنية تثري المعجم وتوسّع مدلولات الألفاظ وتنوع دلالتها . مما يؤثّر من ثَمَّ على الاستعمال اللغوي للمتكلّم بإغناء خزينه اللغوي وتوسيع نطاق اختياره للألفاظ .

ثالثاً : التفسير بالضد أو (المغايرة) :

تستعمل المعاجم العربية في كثير من الأحيان ألفاظاً من مثل (ضد ، وخلاف، ونقيض) في شرح الألفاظ وبيان دلالاتها ، وعلى النحو الآتي :

١- لفظة (الضد) : من ذلك ما أورده ابن منظور بشأن استعمال لفظة (ضد) في معرض تفسيره لفظة (الخفّة) : ((الخَفَّةُ والخِفَّةُ : ضد الثِّقَلِ والرُّجُوحِ يكون في الجسم والعقلِ والعمل)) [١] .

ومنه أيضاً ما ورد في تفسير مادة (عسر) : ((العُسْر والعُسُر : ضد اليُسر، وهو الضيق والشدَّة والصعوبة)) [٢] . وقوله : ((الغدر : ضد الوفاء بالعهد)) [٣] .

٢- لفظة (خلاف) ومن أمثلة استعمال لفظة (خلاف) ما جاء في تفسير (الضَّعْف): يقول ابن منظور : ((والضَّعفُ : خلاف القوة))[٤] ، وقوله : ((المعروف والعارفة : خلاف النّكر)) [٥] . وقوله : ((التزهيد في الشيء وعن الشيء : خلاف الترغيب فيه)) [٦] .

٣- لفظة (نقيض) ، ومن أمثلة استعمال (نقيض) قول ابن منظور في تفسير لفظة (عسقف) : ((العَسْقَفَةُ : نقيض البكاء ، وقيل : هو جمود العين عن البكاء إذا أراده،

---

(١) لسان العرب (خفف) : ٧٩/٩ .
(٢) لسان العرب (عسر) : ٥٦٣/٤ .
(٣) المصدر نفسه (غدر) : ٨/٥ .
(٤) المصدر نفسه (ضعف) : ٢٠٣/٩ .
(٥) المصدر نفسه (عرف) : ٢٣٩/٩ .
(٦) المصدر نفسه (زهد) : ١٩٧/٣ .

أوهَمَّ بـه فلـم يقدر عليـه))[١] . و((الفَتْحُ : نقيض الإغـلاق))[٢] . و((الحَقُّ : نقيض الباطل))[٣] . و((السُّهدُ والسُّهاد : نقيض الرُّقاد))[٤] .

يتبين مما مرَّ عرضه من كلام ابن منظور أنه يعمد إلى تبيان دلالة الألفاظ على وجه المغايرة أي من خلال تبيان المعاني التي تضادها وهو أسلوب مفيد ومجدٍ في تبيان دلالات الألفاظ أو تقريبها في أذهان القَرَأَةِ والدارسين .

وقد شرحت ألفاظ كثيرة وردت في سياق آيات مباركات بهذا الأسلوب من التفسير من ذلك مثلاً ما جاء في لسان العرب بشأن لفظة (الميسور) الواردة في قوله تعالى : ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ (الليل–٧) . قال ابن منظور : ((والميسوُر : ضد المعسور . وقد يَسَّرَه الله لليُسرى أي وفَّقه لها))[٥] .

وفي هذا دليلٌ على أنَّ القرآن الكريم كان يُعنى بالتفسير الدلالي للألفاظ القرآنية وذلك بإيراد اللفظة وضدها وذلك لتظهر زيادة كشفٍ عن دلالتها ومزيد تبيان في ضوء هذه الضدية .

ومن قبيل ذلك ما أورده ابن منظور في مادة (حلل) ، في معرض إيراده قوله تعالى : ﴿ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا ﴾ (التوبة–٣٧) . إذ قال : ((والحِلُّ والحَلال والحَلِيل : نقيض الحرام ، حَلَّ يَحِلُّ حِلاًّ وأحَلَّه الله وحَلَّله))[٦] .

لوحظ من خلال ما تقدَّم أن المعجم العربي استثمر بعض الآيات القرآنية التي تحتوي ألفاظاً متغايرةً في متّنها . ولم يكتفِ بهذا الإيراد حسب وإنَّما وَسَّعَ من هذه

---

(١) المصدر نفسه (عسقف) : ٢٤٦/٩ .
(٢) المصدر نفسه (فتح) : ٥٣٦/٢ .
(٣) المصدر نفسه (حقق) : ٤٩/١٠ .
(٤) المصدر نفسه (سهد) : ٢٢٤/٣ .
(٥) المصدر نفسه (يسر) : ٢٩٧/٥ .
(٦) لسان العرب (حلل) : ١٦٧/١١ . وينظر : مجالس ثعلب : ١٢١/١ .

الألفاظ ودلالاتها باستخدام التفسير بالأسلوب نفسه (المغايرة أو الضد) في معرض شرحه لتلك الألفاظ .

من ذلك مثلاً ما أورده ابن منظور في شرح دلالات الألفاظ المتضادة في ضمن مادة (عمي) ناقلاً قول الزجاج مفسّرًا قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾ (فاطر : ١٩- ٢١) قال : ((قال الزّجاج : هذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ الله للمؤمنين والكافرين ، والمعنى وما يَستَوِي الأعمَى عن الحَق ، وهو الكافِر ، والبَصِير ، وهو المؤمن الذي يُبصِر رُشْدَهُ، ولا الظُّلماتُ ولا النورُ ، الظُّلماتُ الضلالات ، والنورُ الهُدى ، ولا الظلُّ ولا الحَرورُ أي لا يَسْتَوي أصحابُ الحَقِّ الذين هم في ظلٍّ من الحَقّ ، ولا أصحابُ الباطِل الذين هم في حَرٍّ دائمٍ)) [١] .

وهو أمر يسهم من غير شك في توسيع الدلالات وإثراء المعجم وتنوّعِ المعاني وانتقالها بين الحقيقة والمجاز بما يضفي نوعاً من السمات الفنية في صياغة متن المعجم وبنائه .

وزيادة على ما تقدم من طرائق استثمرها المعجم العربي في إبانة دلالات الألفاظ القرآنية التي استجلبها لإغناء مادته اللغوية . فإنَّ ثمّة طرائق أخرى اعتمدها ابن منظور في معجمه لسان العرب في شرح دلالات الألفاظ الواردة في سياق النص القرآني أو الآيات القرآنية ومنها :

١ - تفسير القرآن بالقرآن :

يعدُّ النص القرآني أسمى نص عربي فصاحة وبياناً وأوثق ما عرفته العربية من فنون القول ، ولذلك كان في مقدمة النصوص التي يحتجُّ بها ، وهذه الطريقة – أعني

---

(١) لسان العرب (عمي) : ٩٦/١٥ . وينظر : معاني القرآن للفراء : ٣٦٩/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢/٤ .

تفسير القرآن بالقرآن – هي أن نجعل بعض الألفاظ القرآنية الكريمة شاهدة على بعضٍ في محاولة لإستنطاق وتبيين ما استغلق من تلك الألفاظ، وقد استعان ابن منظور بهذه الطريقة ، وعوَّل عليها كثيراً ، وقدَّمها على غيرها من الطرق .

من ذلك ما أورده ابن منظور في مادة (حكم) إذ قال : ((وأَحكمّتُ الشيء فاستحكَمَ: صار مُحكماً . وأحتكَمَ الأمرُ واستحكَمَ : وثُقَ . وقوله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (هود – ١) ؛ فإنَّ التفسير جاء: أحكِمَت آياته بالأمر والنهي والحلالِ والحرامِ ثم فُصَّلَتْ بالوعد والوعيد ، قال : والمعنى ، والله أعلم ، أنّ آياته أُحكِمَت وفُصِّلَت بجميع ما يحتاج إليه من الدلالة على توحيد الله وتثبيت نبوة الأنبياء وشرائع الإسلام ، والدليل على ذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍ ﴾ (الأنعام – ٣٨)))[١] ، وذكر بعدها قول الله تعالى : ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ (يونس – ١) ؛ ونقل قول بعض العلماء ولم يسمّهم إن فَعيل بمعنى مُفعَلٍ ، واستدل بقوله عزّ وجلّ : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ .

ثم نقل قول الأزهري : ((وهذا إن شاء الله كما قيل ، والقرآنُ يوضح بعضه بعضاً ، قال : وإنَّما جوزنا ذلك وصوبناه ؛ لأن حَكَمت يكون بمعنى : أحكَمت ، فردَّ إلى الأصل ، والله أعلم)) [٢] .

وعلى هذا فإن طريقة تفسير القرآن بالقرآن من الطرق التي اعتمدها أغلب أصحاب المعاجم القديمة – ولاسيما – صاحب لسان العرب في الكشف عن دلالات

---

(١) لسان العرب (حكم) : ١٤٣/١٢ .

(٢) المصدر والصفحة نفسها .

الألفاظ القرآنية الكريمة ، ويمكن أن نقول : هي عملية استنطاق القرآن الكريم نفسه من أجل توضيح وتبيين دلالات الألفاظ اللغوية مستنداً إلى فهم قد يكون عقلياً أو لغوياً لتفسير الألفاظ الواردة في الآية الكريمة دلالياً .

ومن قبيل ذلك ما أورده ابن منظور بشأن (سلل) إذ قال : ((وسُلالةُ الشيء: ما استُلَّ منه ، والنطفة سُلالة الإنسان ... وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ (المؤمنون – ١٢) ؛ قال الفراء : السُّلالة الذي سُلَّ من كل تُرْبة؛ وقال أبو الهيثم : السُّلالة ما سُلَّ من صُلْب الرجل وتَرائب المرأة كما يُسَلُّ الشيءُ سَلاً . والسَّليل : الولد سُمّي سَليلاً لأنه خُلق من السُّلالة . والسَّليلُ : الولد يخرج من بطن أمه ، روي عن عكرمة أنه قال في السُّلالة : إنه الماء يُسَلُّ من الظَّهر سَلاً ؛ وقال الأخفش : السُّلالة الوَلَد ، والنطفة السُّلالة ... قال : والدليل على أنه الماء قوله تعالى : ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ (السجدة – ٧) ، يعني آدم ثم جَعَلَ نَسله من سُلالة ، ثم تَرْجَمَ عنه قال : ﴿ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ (السجدة–٨)؛ فقوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ ﴾ ؛ أراد بالإنسان وَلد آدم ﴿ عليه السلام ﴾ ، جُعل الإنسان اسماً للجنس ، وقوله من طين أراد أن تلك السلالة تَوَلَّدت من طين خُلق منه آدمُ في الأصل ، وقال قتادة : اسْتُلَّ آدم من طين فسُمّي سُلالة،... وإلى هذا ذهب الفراء)) [١] .

وهنا ينبغي لنا أن نقرَّ بأن الشاهد القرآني يعدُّ حاكماً مصداقاً لقول العرب واستعمالاتهم ، وبهذا يكون اساساً مهماً لصحة الاستعمال اللغوي ، وبهذا يتجلى أثره

---

(١) لسان العرب (سلل) : ٢٣٩/١١ ، وينظر : معاني القرآن للفراء : ٢٣١/٢ .

ووظيفته في المجالات الدلالية ؛ لأن القرآن الكريم إنَّما جاء على سمت لغة العرب وسُنَنِهِ .

٢ - القرآن الكريم مصدراً للتفسير والتأويل :

حريٌ بي ، وأنا أذكر مصطلح (التفسير) أن أشير إلى مصطلح مقارب له هو مصطلح (التأويل) ولاسيما أن التأويل يمتُّ إلى التفسير بصلة وثيقة توضح آواصر التقارب بين المصطلحين .

أما (التفسير) في الاصطلاح فهو : ((علم يعرف به فهم كتاب الله تعالى المنزل على نبيّه محمد ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ ، وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه)) [١] .

أما (التأويل) ، فقد ذكر الخليل (رحمه الله تعالى) : ((إنَّ التأول ، والتأويل : تفسير الكلام الذي تختلف معانيه)) [٢] .

وحُكي عن أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) ، وأبي عثمان المازني (ت٢٤٩هـ) التفريق بينهما ، من حيث إنَّ : ((التفسير : إبانة حكم اللفظ ، والتأويل: تحميلهُ ما هو يحتمله من المعنى))[٣].

وقد فرّق الراغب الأصفهاني بينهما ، إذ عّد التفسير أعم من التأويل ، وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ ، والتأويل في المعاني كتأويل الرؤيا . والتأويل يستعمل أكثره في الكتب الآلهية ، والتفسير يستعمل فيها ، وفي غيرها . والتفسير أكثره يستعل في معاني مفردات الألفاظ ، والتأويل أكثره في الجمل[٤] .

---

(١) البرهان في علوم القرآن : ١٤٨/٢ ، وينظر : الكليات : ١٤/٣ ، والتأويل النحوي عند النحاس : ١٨ .

(٢) العين : ١٦٩/٨ مادة (أول) .

(٣) مقدمتان في علوم القرآن : ١٧٢ ، وينظر : التأويل النحوي عند النحاس : ١٨ .

(٤) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن الكريم : ٥٧١-٥٧٢ ، والكليات : ١٦/٢.

نخلص مما تقدّم ذكره أن ثمة فرقاً دقيقاً بين التفسير ، والتأويل يكمن في أن التفسير مقصود به : الكشف ، والإبانة ، ولا يحتمل إلا وجهاً واحداً ، وأمّا التأويل فتوجيه الحكم إلى أحد الأوجه المحتملة[١] .

وبعد أن تعرّفنا على التفسير بمفهومه الاصطلاحي وعرفنا الفرق بينه وبين التأويل ، ينبغي القول إن صاحب معجم لسان العرب كان يعوّلُ على التفسير كثيراً ، ويَعْمَدُ إلى تأكيد دلالة لفظة من ألفاظ العربية بشاهد قرآني . وقد يكون القرآن الكريم هو نفسه مصدراً من مصادر تفسير الألفاظ وبيان دلالاتها في المعجم العربي فيكون بذلك مصدراً مباشراً في استقصاء الدلالة ، وتبيينها ورسم ملامحها وحدودها ، من ذلك مثلاً ما جاء في لسان العرب بشأن معنى لفظة (المطففين) ، الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ (المطففين–١) : ((قال أبو اسحق : المُطفّفون الذين يَنْقُصون المِكيالَ والميزان ، قال : وإنَّما قيل للفاعل مُطَفِّفٌ لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان إلا الشيء الخفيف الطفيف ، وإنّما أُخذ من : طفُّ الشيء ، وهو جانبه . وقد فسَّره عزَّ وجلَّ بقوله : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (المطففين– ٣) ، أي يُخسِرون ، أي يَنْقُصون)) [٢] .

وقد اعتمد ابن منظور على التأويل في أثناء شرحه لبعض الألفاظ القرآنية الواردة في الآيات الكريمة وذلك لتوضيح المعنى الأقرب إلى مراد الآية الكريمة ومن ذلك ما جاء في – لسان العرب – بشأن مادة (نسأ) قال ابن منظور : ((نُسِئَتِ المرأَةُ تُنْسَأ مَنسْأً : تأخر حَيْضُها عن وقته .... النَّسْئُ : التأخيرُ يكون في العُمُرِ والدَّيْنِ ... وقرأ أبو عمرو : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ (البقرة – ١٠٦) ، المعنى: ما

---

(١) ينظر : الكليات : ١٦ ، وأصول التفسير لكتاب الله المنير : ١٣ ، والتأويل النحوي عند النحاس : ١٩ .

(٢) لسان العرب (طفف) : ٢٢٢/٩ . وينظر : معاني القرآن وأعرابه للزجاج : ٢٣٠/٥ .

نَنْسَخ لك من اللَّوحِ المحفوظ ، أو نَنْسَأها : نُؤخِّرُها ولا نُنْزِلها . وقال أبو العباس : التأويل أنه نَسخَها بغيرها وأَقَرَّ خَطَّها ، وهذا عندهم الأكثر الأجودُ))[١] .

لوحظ في ما تقدم لجوء ابن منظور إلى التأويل لغرض الوصول إلى تفسير اللفظ القرآني الوارد في الآية المباركة .

٣- التفسير بأسباب النزول :

لأسباب النزول أثرٌ في شرح وتوضيح دلالات الألفاظ الواردة في الآيات القرآنية المباركة ، وقد يلجأ ابن منظور أحياناً إلى الاعتماد على أسباب نزول السور القرآنية المباركة في الوصول إلى استكناه دلالات الألفاظ الواردة في سياق الآية القرآنية الكريمة ومما جاء في ضمن هذا الأمر ما أورده ابن منظور عازياً إياه إلى الفراء في مادة (قلى) ، التي وردت في قوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (الضحى – ٣) ، : ((قال الفراء : نزلت في احتباس الوحي عن سيدنا رسول الله ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ ، خمس عشرة ليلة ، فقال المشركون : قد وَدَّعَ محمداً ربُّه ، وقَلاه التابعُ الذي يكون معه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ ؛ يريد : وما قَلاك ، فألقيتِ الكاف ، كما تقول : قد أعطَيتُكَ وأحْسَنْتُ ، معناه: أحسنتُ إليكَ ، فيكتفي بالكاف الأولى من إعادة الأخرى . الزجاج : معناه لم يقطع الوحي عنك ولا أبْغَضَكَ)) [٢] .

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما وردَ في لسان العرب في مادة (عوق) إذ قال : ((والتَّعوِيقُ : التَّثبيط . وفي التنزيل : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ ﴾ (الأحزاب–١٨)،

---

(١) لسان العرب (نسأ) : ١٦٧/١ .

(٢) لسان العرب : (قلا) : ١٩٨/١٥ ، وينظر : معاني القرآن للفراء : ٢٧٣/٣ ، وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٢٥٨/٥ .

المُعَوَّقون : قوم من المنافقين كانوا يُثَبِّطون أنصار النبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ، وذلك أنهم قالوا لهم : ما محمدٌ وأصحابه إلا أَكْلَةُ رأسٍ ، ولو كانوا لَحْماً لألتقمهم أبو سفيان وحِزْبُه، فخلُّوهم ، وتعالَوا إلينا ! فهذا تَعويقُهم إياهم عن نُصرة النبي ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾)) [١] .

ولا يخفى ما لهذا الأمر من أهمية بالغة في بناء المعجم ذلك أنه عُدَّ مصدراً رئيساً من المصادر التي يعول عليها في تفسير آيات القرآن الكريم كونه ضمَّ بين دفتيه أسباب نزول الآيات المباركات .

ومنه أيضاً ما ذكره ابن منظور في مادة (شمز) إذ قال : ((والشّمز : نفور النفس من الشيء تكرهه . وقال الزجاج في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ﴾ (الزمر – ٤٥) ؛ معناه : نَفَرَتْ ، وكان المشركون إذا قيل : لا إله إلا الله نَفَروا من هذا . وقال أبن الأعرابي : اشمأزَّت أقشَعَرَت . وقال قتادة : اشمأزت استكبرت وكفرت ونَفَرت)) [٢] .

يتبين من وراء ذلك اهتمام أصحاب المعاجم بأسباب نزول الآيات المباركات وأثرها في توضيح دلالات الألفاظ القرآنية المباركة ، ويمكن القول إنَّها تعدُّ رافداً مهماً من روافد استقاء الدلالة عند أصحاب المعاجم ومصدراً مهماً من مصادر العلماء في إبانة الألفاظ اللغوية والكشف عن مدلولاتها ؛ لأن أسباب النزول تضفي معرفة على المراد من الألفاظ وتعين في الوصول إلى مقاصد الاستعمال اللغوي التي تنطوي عليها الألفاظ الواردة في سياق الآيات القرآنية .

---

(١) لسان العرب : (عوق) : ١٠/٢٨٠ .

(٢) لسان العرب (شمز) : ٥/٥٦٢ . وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٤/٢٦٨ .

٤- التفسير بالحديث النبوي أو الأثر :

المقصود بالحديث هنا ، هو كلام رسول الله ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾، سواء أكان بلغة قبيلته التي ينسب إليها ، أم بلغات القبائل التي تكلم مع وفودها ، أو من خاطبه من أفرادها. وما كان يحكي أقواله أو أفعاله أو أحواله من عبارات ذاكرين بعده ما احتج به النحاة من أقوال أهل البيت ﴿ عليهم السلام ﴾ والصحابة . فهو مثال حقيقي للنثر الفني في تلك الحقبة ، فلا يعرف في تاريخ العربية بعد القرآن كلام ((أعم نفعاً ولا أصدق لفظاً ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح معنىً ، ولا أبين عن فحوى، من كلامه ، ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾)) [١] .

لذا احتج علماء اللغة بالحديث الشريف خلال العصور المختلفة ، وعدُّوه مصدراً من مصادر الاحتجاج في ميدان اللغة ؛ لإثبات صحة قواعدها النحوية والصرفية ، وتوجيه دلالات ألفاظها ، والتدليل عليها[٢] .

وقد يستند ابن منظور في تفسير الألفاظ اللغوية الواردة في معجمه على الحديث النبوي الشريف وعلى آثار الصحابة والتابعين – رضوان الله عليهم – بما يزيدها وضوحاً ، ويساعد على الكشف عن مدلولاتها .

ومن أمثلة سوق الحديث شاهداً تفسيرياً للكلمة ، ما جاء في لسان العرب بشأن مادة (وتر) : ((الوِتْرُ والوَتْرُ : الفرد ... وقيل : الوتر الله الواحد ... وفي حديث النبي ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ : إن الله وِتْرٌ يحب الوِتْرَ فأوْتِرُوا يا أهل القرآن[٣] .)) [٤] .

---

(١) موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث ، د. خديجة الحديثي : ١٣-١٤ .

(٢) ينظر : الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية : ٢٨٣ .

(٣) صحيح مسلم : حديث رقم (٢٦٧٧) ، ٢٠٦٢/٤ .

(٤) لسان العرب (وتر) : ٢٧٣/٥-٢٧٤ .

ومن أمثلة استدلاله بالحديث الشريف في تبيين دلالة الألفاظ التي وردت في الذكر الحكيم ما أورده بشأن لفظة (القرن) الواردة في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾ (الأنعام – ٦) ؛ فقد نقل عن الزجاج قوله : ((القرن ثمانون سنة ، وقيل : سبعون سنة ، وقيل : هو مطلق الزمان ، وهو مصدر قَرَنَ يقرُنُ ؛ قال الأزهري : والذي يقع عندي ؛ والله أعلم أن القَرْنَ أهل كل مدة كان فيها نبيٌّ أو كان فيها طبقة من أهل العلم ، قلَّت السنُون أو كثرت ، والدليل على هذا قول النبي ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ : خَيْرُكم قَرْنِي ، يعني أصحابي ، ثم الذين يَلُونَهم ، يعني التابعين))[١] .

ومما جاء من ذلك أيضاً في لسان العرب في مادة (نفر) ، قال ابن منظور : ((... ويقال : استَنفَرتُ الوحشَ وأنفَرتُها ونَفَّرتها بمعنىً فَنَفَرَت تَنفِرُ واستَنفَرَت تَستَنفِر بمعنى واحد . وفي التنزيل العزيز : ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ (المدثر: ٥٠ – ٥١) ؛ وقرئت : مستنفِرة ، بكسر الفاء ، بمعنى نافرة ، ومن قرأ مستنفَرة[٢] ، بفتح الفاء ، فمعناها مُنَفرَةٌ أي مَذعورَةٌ . وفي الحديث : بَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا[٣] ، أي : لا تلقوهم بما يحملهم على النُّفور))[٤] .

ومما يجدر ذكره ههنا هو أن أبا منصور الأزهري ذكر أن مستنفَرة (بفتح الفاء) معناها منفّرة كأن الصياد نفرها ، ومستنفِرة بكسر الفاء فمعناها نافرة[٥] .

---

(١) لسان العرب : (قرن) : ٣٣٤/١٣ ، وينظر : معاني القرآن وإعرابه : ١٨٤/٢ .

(٢) قرأ نافع وابن عامر والمفضل عن عاصم وأبو جعفر يزيد بن القعقاع (مستنفَرة) بفتح الفاء، وقرأ الباقون (مستنفِرة) بكسر الفاء ، السبعة في القراءات : ٦٦٠ ، والمبسوط في القراءات العشر : ٤٥٢ ، والتيسير في القراءات السبع : ٢١٦ ، والاكتفاء في القراءات السبع المشهورة: ٣٢٣ .

(٣) صحيح البخاري ، حديث رقم (٦٩) ، ٣٨/١ ، وينظر : صحيح مسلم ، حديث رقم (١٧٣٢) ، ١٣٥٨/١.

(٤) لسان العرب (نفر) : ٢٢٤/٥ .

(٥) القراءات وعلل النحويين فيها : ٧٢٦/٢ .

ومن الأمور المهمة التي ينبغي الوقوف عندها ، إنَّ ابن منظور كان غالباً ما يعمد إلى تأكيد لفظة من ألفاظ العربيّة بآية قرآنية مباركة وهو أمرٌ مستفيض في معجمه وكان يعضّدُ هذا الأمر بعد ذلك بقول النبي ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ، ثم بأقوال الصحابة والتابعين (رضوان الله عليهم) ، لبيان المعنى اللغوي للّفظ القرآني ، أو لإضفاء مزيدٍ من التوضيح عليه ، ومثال ذلك ما جاء في لسان العرب في مادة (حرم) ، قال ابن منظور : ((الحُرُماتُ جمع حُرْمَةٍ كظُلمةٍ وظُلُماتٍ ؛ يريد حُرْمَةَ الحَرِمِ ، وحُرْمَةَ الإحرام ، وحُرْمَةَ الشهر الحرام . وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ (الحج–٣٠) ؛ قال الزجاج : هي ما وجب القيامُ به وحَرُمَ التفريط فيه ، وقال مجاهد[١] : الحُرُماتُ مكة والحج والعُمْرَة وما نَهَى الله من معاصيه كلها ، وقال عطاء : حرمات الله معاصي الله))[٢] .

ومن ذلك أيضاً ما أورده ابن منظور بشأن مادة (زيت) بعد إيراده لقوله تعالى : ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ (التين – ١) : ((قال ابن عباس : هو تينُكم هذا ، وزَيتُونكم هذا . قال الفراء : يقال إنهما مسجدان بالشام ، أحدهما الذي كلّم الله تعالى عنده موسى ﴿ عليه السلام ﴾ ؛ وقيل : الزيتون جبال الشامِ)) [٣] .

ومنه أيضاً ما نقله ابن منظور عن مجاهد في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ﴾ (الكهف – ٣٤) ؛ إذ قال : ((ما كان في القرآن من ثُمُرٍ فهو مال وما كان

---

(١) هو مجاهد بن جبر توفي سنة ١٠٣ ، ينظر : غاية النهاية في طبقات القراء : ٤٤/٢ .

(٢) لسان العرب (حرم) : ١٢٢/١٢ . وينظر : معاني القرآن للفرّاء : ٣٥٣/١ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ٣٤٤/٣ .

(٣) لسان العرب (زيت) : ٣٥/٢ ، وينظر : معاني القرآن للفرّاء : ٢٧٦/٣ .

من ثَمَر فهو من الثِّمار . وروى الأزهري بسنده قال : قال سلام أبو المنذر القارئ[١] في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ﴾ ؛ مفتوح جمع ثَمَرة ، ومن قرأ ثُمُر قال: من كل المال)) [٢] .

يظهر من النصوص المذكورة آنفاً كيف استثمر المعجم تفسيرات الصحابة والتابعين في شرح دلالات الألفاظ الواردة في سياق الآيات القرآنية المباركة وهو أمر ينطوي بلا شكّ على أهمية كبيرة تتوضح في الكشف عن معاني هذه الآيات وتوثيق دلالاتها كونها تصدر عن علماء من أهل العلم والدراية والتفقّه بعلم العربية ومعانيها .

ومن مظاهر اهتمام ابن منظور بالحديث النبوي الشريف وأقوال الصحابة والتابعين اعتماده عليها كثيراً في تفسير المفردات اللغوية أو الاستدلال بها في كثير من الأمور التي من شأنها أن تخدم العربية وفي مواضع متعددة من معجمه .

من ذلك ما ذكره بشأن مادة (جدد) ، بعد استشهاده بقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ (الجن – ٣) ، إذ استشهد بقول الرسول الكريم ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ وأقوال الصحابة والتابعين ، إذ قال : ((والجَدُّ : العظمة ... وقيل: جَدُّه عظمته ، وقيل : غناه ، وقال مجاهد : جَدُّ ربنا جلال ربنا ، وقال بعضهم : عظمة ربنا ؛ وهما قريبان من السواء . قال ابن عباس : لو علمت الجن أن في الإنس جَدّاً ما قالت : جَدُّ ربنا ؛ معناه : أن الجن أن لو علمت أن أبا الأب في الإنس يدعى جَدّاً، ما قالت الذي أخبر الله عنه في هذه السورة عنها ؛ وفي حديث الدعاء : تبارك اسمك وتعالى جَدُّك أي علا جلالك وعظمتك . والجَدُّ : الحظ والسعادة والغنى . وفي حديث أنس : أنه

---

(١) سلام أبو المنذر القارئ ، هو أحد قراء الكوفة توفي سنة ١٧١هـ ، ينظر : غاية النهاية في طبقات القراء : ٣٠٩/١ .

(٢) لسان العرب (ثمر) : ١٠٧/٤ ، وينظر : معاني القرآن للفراء : ١٤٤/٢ .

كان الرجل منا إذا حفظ البقرة وآل عمران جَدَّ فينا أي عظم في أعيننا ، وجلَّ قدره فينا ، وصار ذا جَدٍّ)) [١] .

وبعد فأن الأمثلة التي تدخل في ضمن هذه الطريقة من طرق التفسير كثيرة ومتنوعة وأحسب إن ما قدمته قد أعطى صورة واضحة عن أثر طرق التفسير – لاسيما طريقة التفسير بالحديث الشريف أو الأثر – في إغناء الثروة اللغوية في المعجم العربي وتوسيع أفاق التناول مع الألفاظ العربية عامة ، والقرآنية بوجه خاص ، وتقليب دلالاتها وصولاً إلى إعطاء المعنى الأقرب إلى مراد الآية الكريمة ومضمونها .

٥- التفسير بإعتماد المؤلفات السابقة وآراء العلماء :

اعتمد المعجم العربي في تفسير وشرح الألفاظ التي فيها في سياق النص القرآني باللجوء إلى كتب الدراسات القرآنية من مثل كتب معاني القرآن للفراء والأخفش ومجاز القرآن لأبي عبيدة وكتب شرح غريب اللغة وبعض تفاسير القرآن الكريم ولا شك في أن اعتماد هذه المصادر في شرح معاني هذه الألفاظ القرآنية واللجوء إلها في شرح ما غمض منها أو تأكيد دلالاتها أو الإشارة إلى تنوّع معانيها.

وفضلاً عما تثيره من مناقشات وتنوعٍ في اختيار الدلالة الأقرب إلى المعنى المراد . كل عالم بحسب ما يقدّمه بين يدي اختياره للمعنى المراد من حجج تسند ذلك الاختيار الذي يراه صحيحاً أو قريباً من دلالة الآية ، ومتلائماً مع سياقها وجو السورة العام .

ومن أمثلة ذلك ما أورده ابن منظور من آراء العلماء في تفسير لفظة (فوم) الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا ﴾ (البقرة : ٦١) ، إذ نقل بدءاً قول ابن

---

(١) لسان العرب : (جدد) : ١٠٨/٣ .

جني عن بعض أهل التفسير أنه أراد الثُّوم ، فالفاء على هذا عنده بدل من الثاء، قال : والصواب عندنا أنَّ الفُوم : الحِنطة ، وما يُخْبَز من الحبوب ، ومن ثم ذكر قول الفراء إذ قال : الفُوم مما يذكرون لغة قديمة وهي الحنطة والخبز جميعاً . أما الزجاج فذكر أن الفوم الحنطة ، ويقال الحبوب ، لا اختلاف بين أهل اللغة أنَّ الفُوم الحِنطة ، وسائر الحبوب التي تُخْتَبَز يلحقها اسم الفُوم[١] .

ومما يدخل في هذا الباب أيضاً ما ذكره ابن منظور بشأن لفظة (رَقٍّ) الواردة في الآية المباركة ، قال تعالى : ﴿ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾ (الطور – ٣) . إذ قال: ((الرَّقُّ: الصحيفة البيضاء ؛ غيره الرَّقَ ، بالفتح ، ما يكتب فيه وهو جِلدٌ رقيق ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾ ؛ أي في صُحُفٍ . وقال الفراء: الرَّقُّ : الصحائف التي تخرج إلى بني آدم يوم القيامة فأخِذٌ كتابَه بيمينه ، وآخذ كتابه بشماله، قال الأزهري: وما قاله الفراء يدل على أنّ المكتوب يسمى رَقّاً أيضاً ، وقوله : ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴾ ؛ الكتاب ههنا ما أُثبِتَ على بني آدم من أعمالهم. والرَّقَّةُ: كلّ أرض إلى جَنب وادٍ ينبسط عليها الماء أياماً ثم يَنْحَسِرُ عنها الماء فتكون مَكْرُمةً للنبات ، والجمع رِقاقٌ . أبو حاتم : الرَّقَّة الأرض التي نضب عنها الماء ، والرَّقَّة البيضاء معروفة . والرَّقَّة : اسم بلد . والرَّقُّ : العظيم من السَّلاحِف وجمعه رُقُوق ... والرِّقُّ بالكسر المِلك والعُبودِيَّةُ . ورَقَّ صار في رِقٍّ . وفي الحديث عن علي ﴿ عليه السلام ﴾ قال : يُحَطُّ عنه بقدر ما عَتَق ، ويَسْعَى فيما رَقَّ منه))[٢] .

ومن قبيل ذلك أيضاً ما جاء في لسان العرب بشأن مادة (نشر) فيما نقله عن العلماء عند تفسيرهم الآية المباركة وهي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ

---

(١) لسان العرب (فوم) : ١٦٠/١٢ ، وينظر : معاني القرآن للفراء : ٤١/١ . ومعاني القرآن وإعرابه لزجاج : ١٣٠/١ .

(٢) لسان العرب (رقق) : ١٢٣/١٠ . وينظر : معاني القرآن للفراء : ٩١/٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ٤٩/٥.

﴿ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ﴾ (لأعراف – ٥٧) ، قال ابن منظور : ((وقال الزجاج : من قرأ نَشراً[١] فالمعنى : وهو الذي يُرسِل الرياح فَتُنشِره نشراً ، ومن قرأ نُشُراً فهو جمع نشور ، وقال وقرئ بُشُراً[٢] ، بالباء جمع بَشِيرة كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ ﴾ (الروم–٤٦) . وَنَشرت الريحُ : هبت في يوم غَيْمٍ خاصة . وقوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴾ (المرسلات – ٣) ، قال ثعلب هي الملائكة تنشر الرحمة . وقيل: الرياح تأتي بالمطر . ابن الأعرابي : إذا هبت الريح في يوم غيم قيل : قد نَشَرت . ولا يكون إلا في يوم غيم . وَنَشرتِ الأرضُ تنشرُ نُشُوراً : أصابها الربيع فأنبتت))[٣] .

ومنه أيضاً ما أورده ابن منظور في مادة (زلق) قال : ((والزَّلَقُ : المكان المَزْلَقة ... ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ (الكهف – ٤٠) أي أرضاً مَلساء لا نبات فيها ، أو ملساء ليس بها شيء ؛ قال الأخفش : لا يثبت عليها القدمان)) [٤] .

نلحظ من ذلك كله مدى إفادة المعجم العربي من آراء علمائنا المتقدمين في تفسيرهم دلالات الألفاظ اللغوية بصفة عامة ، والقرآنية بصفة خاصة لغرض الوصول إلى المعنى المراد بدقة الأمر الذي أغنى المعجم العربي وأثراه بفضل تعرّضهم لتفسير الآيات القرآنية الكريمة وبحثهم الدؤوب عن مراد الآيات المباركات.

---

(١) قراءة النون هي لمسروق : مختصر شواذ القراءات لابن خالويه : ٤٤ .

(٢) بُشُر بالباء وضم الشين والباء هي قراءة ابن عباس والسلمي وابن أبي عبلة : شواذ القراءات ، لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني (ت ٥٣٥هـ) ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١ ، مؤسسة البلاغ .

(٣) لسان العرب (نشر) : ٢٠٦/٥ . وينظر : معاني القرآن للفراء : ٣٨١/١ ، ومجالس ثعلب : ٥٩١/٢ .

(٤) لسان العرب (زلق) : ١٤٤/١٠ . وينظر : معاني القرآن للفراء : ١٤٥/٢ .

٦ - *التفسير بالأحكام الفقهية :*

وقد يكون الحكم الفقهي مصدراً من مصادر التفسير الدلالي للفظة الواردة في سياق الآية المباركة .

من ذلك ما جاء في شرح دلالة لفظة (اللغو) الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ (الفرقان – ٧٢) ، قال ابن منظور : ((أي مَرُّوا بالباطل. ويقال : ألغَيْتُ هذه الكلمة أي رأيتُها باطلاً أو فضلاً ، كذلك ما يُلغى من الحساب . وألغيتُ الشيءَ: أبطلتُهُ . وكان ابن عباس ، يُلْغِي طَلاقَ المُكْرَهِ ، أي : يُبطِله))[١] .

ومثال ذلك أيضاً ما ذكره ابن منظور بشأن لفظة (ترك) الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾ (الجمعة–١١) ، إذ قال : ((التَرْكُ: وَدْعُك الشيء ، تَرَكَهُ يَتْرُكُهُ تَرْكاً واتِّرَكه . وتَرَكتُ الشيء تَرْكاً : خلّيته ... وفي الحديث : العهد الذي بيننا وبينهم الصلاةُ ، فمن تركها فقد كفر ، قيل: هو لمن تركها مع الإقرار بوجوبها أو حتى يخرج وقتها ، ولذلك ذهب أحمد آبن حنبل إلى أنه يكفر بذلك حملاً على الظاهر ، وقال الشافعي : يقتل بتركها ويصلى عليه ويدفن مع المسلمين)) [٢] .

وعلى هذا يمكن أن نُجوِّز لأنفسنا القول إن كتب المعاجم العربية القديمة هي مصدرٌ مهمٌ من مصادر التفسير القرآني ، الأمر الذي يدعم ما ذكر سابقاً عن أثر القرآن في علوم العربية بشكل عام ، وعن أثره في المعجم العربي بشكل خاص فيما

---

(١) لسان العرب (لغو) : ٢٥١/١٥ .

(٢) لسان العرب (ترك) : ٤٠٥/١٠ .

يتعلق ببناء مادته اللغوية والدلالية بطرائق متعدّدة وأساليب متنوعة تمثلت فيما سبق ذكره وما سيأتي لاحقاً .

٧- التفسير بالمجاز :

يُعَرَّفُ المجاز اصطلاحاً بأنه ((نقل اللفظ من المعنى المألوف الدال عليه على وجه الاصطلاح ، والاتفاق إلى معانٍ جديدة))[١] .

يعتمد هذا الأسلوب من التفسير على تبيين حقيقة الدلالة من مجازها في استعمالات المادة المعجمية وهو تفسير يكثر عموماً في معاجمنا العربية القديمة[٢].

من ذلك ما أوردهُ ابن منظور في شرح دلالة (عمي) الواردة في الآية الكريمة : ﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (طه – ١٢٤) ، قال : ((هو مثْلُ قوله تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (طه – ١٠٢) ، وقيل : أعْمَى من حُجَّته، وتأويلهُ أنَّه لا حُجَّة له يَهْتَدي إليها ؛ لأنه ليس للناس على الله حجةٌ بعد الرسل ، وقد بَشَّر وأنذَر ووَعَد وأوعد . وروي عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾ (طه – ١٢٥) ، قال : أعْمَى عن الحُجَّة وقد كنت بصيراً بها . وقال نَفْطَوَيه : يقال عَمِيَ فلان عن رُشْدِه وعَمِيَ عليه طَريقُه إذا لم يَهْتَدِ لِطَرِيقِه . ورجلٌ عمٍ وقومٌ عَمونَ ، قال : وكلَّما ذكر الله جلَّ وعزَّ العَمَى في كتابه فَذَمَّه يريدُ

---

(١) علم الدلالة دراسةً وتطبيقاً ، د. هدى لوشن : ٦٧ .

(٢) وسأتناول هذا الأمر بأقتضاب لأن ثمة من تناول الموضوع بشكل موسع ولأن الموضوع ليس بيان دلالة المجاز وإنّما كيفية استثماره في بناء المعجم .

(عمى) القَلبِ . قال تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (الحج – ٤٦) .)) [١] .

نلحظ مّما مرَّ أنَّ لفظة (العمى) في الآية الكريمة فسّرت من خلال معناها المجازي أي الاستعانة بالمجاز الذي هو قسيم الحقيقة في الكشف عن دلالاتها المبتغاة من الآية الكريمة .

٨- تفسير القرآن الكريم بكلام العرب :

وقد يكون التطرق إلى تفسير الألفاظ الواردة في الآية القرآنية بلغات العرب مصدراً لاختيار الأفصح من هذه اللغات والأبلغ . ومن أمثلة ذلك ما نقله ابن منظور عن أبي عمرو بن العلاء في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾ (النور–٣٥) ، أنه قال : ((سألت رجلاً مِنْ سعد بن بكر من أهل ذاتِ عِرْقٍ ، فقلت : هذا الكوكبُ الضَّخْمُ ما تسمونه ؟ قال : الدِّرِّيءُ وكان من أفصح الناس))[٢] .

ثم نقل قول الفرّاءِ أيضاً وهو أن ((العرب تسمي الكواكِبَ العِظامَ التي لا تُعرف أسماؤُها : الدَّرارِيّ))[٣] .

---

(١) لسان العرب (عمي) : ٩٧/١٥ .

(٢) لسان العرب (درأ) : ٧٣/١ . وينظر : معاني القرآن للفرّاء : ٢٥٢/٢ .

(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

ومما ورد في لسان العرب من تفسير القرآن بكلام العرب عن ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾ (النجم–٦١) ، إنه قال : ((السُّمود الغناء بلغة حِمْيَر ؛ يقال : اسمدي لنا أي غَنّي لنا)) [١] . ونقل عن ثعلب أنها لغة قليلة[٢] .

٩ - التفسير بأكثر من معنى :

وقد يلجأ ابن منظور عند تفسيره الألفاظ القرآنية الواردة في الآية المباركة إلى تفسير اللفظ بأكثر من معنى معتمداً في ذلك على أقوال العلماء وملاحظاتهم التي تهدف إلى تبيين اللفظ القرآني وإثبات دلالته من ذلك ما نقله ابن منظور عن ابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ) تفسيره قول الله تعالى : ﴿ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴾ (القلم–٢٥) بمعان متعددة منها : القصد والمنع والغضب ، قال : ((الحَرْدُ : القصد ، والحَرْدُ : المنع ، والحَرْدُ : الغيظ والغضب ، قال : ويجوز أن يكون هذا كله معنى قوله : ﴿ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴾)) [٣] .

ومما تجدر الإشارة إليه إن تفسير اللفظة بأكثر من معنى قد يندرج في ضمن ظاهرة لغوية تسمى (الوجوه) ، وقد أُلف فيها مؤلفات ، وهو أمرٌ يعدُّ صورة أو شكلاً من أشكال التطور الدلالي في العربية . وبعد فأن هذه الطريقة – أعني تفسير اللفظ بأكثر من معنى – هي من الطرق التي تسهم في إغناء الثروة اللغوية للمعجم العربي ؛ لأن تعدد الدلالات وتنوعها تسهم في اختيار الدلالة الأقرب والأوثق إلى اللفظ القرآني ومن ثمَّ يفهم المعنى المقصود من الآية المباركة .

---

(١) لسان العرب (سمد) : ٢١٩/٣ ، وينظر : ومجالس ثعلب : ٤٣٩/٢ .

(٢) مجالس ثعلب : ٤٣٩/٢ .

(٣) لسان العرب : (حرد) : ١٤٥/٣ .

١٠ - تفسير اللفظ القرآني بالشعر الجاهلي :

إن الصلة بين الدلالة القرآنية والدلالة الشعرية قوية ، فالشعر ديوان العرب، والقرآن الكريم نزل بلغة العرب ، وقد أدرك العرب هذه الصلة ، وفهموا ما كان بين القرآن وهذه اللغة من علاقة وثيقة ، فاتجهوا إلى الشعر يدرسونه ويكشفون عن خصائصه لكي يعينهم ذلك على فهم النص القرآني وبيان دلالاته[١].

ولعل الصحابي عبد الله بن عباس من أقدم من نهج في تفسير القرآن الكريم هذا النهج اللغوي ، إذ كان يفسر غريبه بالشعر العربي القديم ، وفي إجابته عن سؤالات نافع بن الأزرق من هذا شيء كثير[٢] . وقد ذكر السيوطي قوله : ((إن الشعر ديوان العرب ، فإذا أخفى علينا الحرف من القرآن الذي انزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك منها))[٣] .

ومن أمثلة هذا النوع من تفسير الألفاظ ما جاء في لسان العرب بشأن اعتماد الشاهد الشعري تفسيراً موضحاً ما أورده بشأن لفظة (الهواء) الواردة في قوله تعالى: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ (إبراهيم–٤٣) ، إذ قال: ((يقال فيه: إنه لا عقول لهم...: وأفئِدَتُهم هَواء : كأنهم لا يعقِلون من هول يوم القيامة ، وقال الزجاج : وأفئِدتُهم هَواء أي : مُنْحرِفة لا تعي شيئاً من الخَوفِ ، وقيل : نُزِعَتْ أفئِدتُهم من أجوافِهم ؛ قال حسان :

ألا أبلِغ أبا سفيان عَنيِّ فأنت مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَواء

والهَواء والخواء واحد ... وفي حديث عاتكة :

فَهُنَّ هَواءٌ والحُلُومَ عَوازِبُ

---

(١) ينظر : المدخل إلى البلاغة العربية ، د. سيد أحمد خليل : ١٦ .

(٢) ينظر : سؤالات نافع بن الأزرق ، تحقيق : د. إبراهيم السامرائي ، والتفسير والمفسرون: ٧٤/١ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن : ١٩٩/٢ .

: أي بَعيدةٌ خاليةُ العقول ...)) [١] .

هذه إذن أهم طرائق التفسير الدلالي التي اعتمدها ابن منظور في معجمه لتبيين دلالة الألفاظ وشرح معانيها يظهر فيها بوضوح أثر القرآن الكريم في إيراد الكثير من الألفاظ أو توسيع دلالتها وتنوع معانيها في أثناء الاستشهاد بها مظهراً مرّة الفرق الدلالي ومرّة اللفظة وضدها ومرّة أخرى المعاني المتعددة للفظة مستنداً في ذلك إلى الآيات القرآنية وأحاديث الرسول الكريم ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ والصحابة والشعر وأقوال العرب .

موظفاً كل ذلك في رسم ملامح بارزة في بناء معجمه وتدعيمه بتلك الطرائق المتنوعة التي أغنت المعجم وأثرت في دلالة ألفاظه .

---

(١) لسان العرب (هوا) : ٣٧٠/١٥ ، وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ١٣٦/٣ .

الفصـــــل الثانـي

﴿ أثر القرآن الكريم في تحقيق الألفاظ وضبطها – وبيان حجيتها ﴾

- أثر القرآن الكريم في تحقيق الألفاظ اللغوية وضبطها وبيان حجتها :

توطئة :

لقد أصبح من المعروف أنّ العربية لم تشهد ، ولن تشهد ما يدنو من القرآن فصاحة وبلاغة وقد نشأت الدراسات العربية بفروعها المختلفة ، متعلقة بالقرآن الكريم كتاب الله العزيز ، فكان المحور الذي دارت حوله تلك الدراسات المختلفة سواء منها تلك الدراسات التي تتعلق تعلّقاً مباشراً بتفسير القرآن ، وتوضيح آياته ، وتبيين معناه ، واستنباط أحكام الشريعة منه ، أو تلك التي تخدم هذه الأغراض جميعاً ، بالبحث في دلالة اللفظ واشتقاق الصيغ وتركيب الجمل والأسلوب[١] ، وتحقيق اللفظ اللغوي وضبطه وبيان معانيه . يقول الراغب الاصفهاني : ((فألفاظ القرآن هي لُبُّ كلام العرب وزبدته ، وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم ، وإليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم)) [٢] .

ولأنَّ القرآن الكريم نزل بلغة فصحى تعلو عن مستوى العامة من العرب ؛ ولأنَّه يمثل العربية الفصحى أصدق تمثيل كان لا مناصَ من الاحتجاج به من لدن المعجميين القدامى في توثيق النصوص ، وتحقيق الألفاظ وضبطها واللجوء إليه مصدراً للسماع والقياس والتعليل . فهو عندهم سيد الحجج بلا منازع ، ونصّه في أعلى درجات التوثيق[٣] . وهو مقصد البلغاء حين ينشدون الكلام الجميل في أبهى مجالاته ، والعبارة الصحيحة في أقوى أشكالها[٤] .

---

(١) ينظر : فقه اللغة ، د. رمضان عبد التواب : ١٠٨ .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : ٥٥ ، وينظر : الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، د. محمد ضاري حمادي : ٢٨٤ .

(٣) ينظر : المعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق : ١٧٥ .

(٤) ينظر : مصادر البحث اللغوي ، محمد حسن عبد العزيز : ١٨ .

فلا عجب إذن أن يهرع إليه اللغويون طلباً لدليل سام ، وابتغاءاً لحجّةٍ بالغةٍ لا ترد[١] . قال الفراء : ((والكتاب أعرب ، وأقوى في الحجة من الشعر)) [٢] .

وكيف لا ! وكل لفظة في هذا القرآن وكل حرف من حروفه ، هو في موقعه إعجاز لا يطاول ، وهو في نظر اللغويين مقياس محكم البناء ، تتقطع الألسن دون محاكاته إلا أن تقنع بترديده ، أو ممارسة البيان في ضوئه . فهو ذخيرة هذه اللغة ، وهو سرُّ علومها التي قامت لخدمة نصِّه[٣] .

ولهذا كلِّه لم يكن من الغريب على من أراد أن ينشد اللغة الفصيحة والموثوقة أن ينشد ما في القرآن الكريم لما له من دور في حفظ اللغة وتَحصِينها . فَبِهِ حفظ الله عزَّ وجلَّ لسان العرب وثبته لهم . وثبت بهذا هويتهم ووجودهم[٤] .

ولا ريب في أنَّ هذا الأمر هو : ((أخطر دور يمكن أن يؤدّيه كتابٌ للغةٍ من اللغات . هذا إن وُجد كتاب آخر – سماوي أو وضعي – أدّى قريباً من مثل هذا الدور أو عُشره في لغةٍ من لغات الأرض! وغني عن البيان إن مثل هذا الكتاب – أياً كان مصدره – ليس له وجود)) [٥] .

وإذا ما علمنا أن المعجميين العرب قد حرص أغلبهم على أن لا يُدخل في معجمه إلا الألفاظ العربية الصحيحة التي صحَّ سماعها ندرك لجوءَهُم إلى الاستعانة بالقرآن الكريم مصدراً رئيساً للتوثيق اللغوي للألفاظ ، وتحقيقها أو تأكيدها أو الاحتجاج بها ، والتعويل عليه في تقرير صحة المعاني والاستعمالات الصائبة للألفاظ وتبيان أصولها اللغوية ؛ إذ إنَّ الاستعمال القرآن يضفي على اللفظة صحة ويكسبها استقامة .

---

(١) ينظر : البحث اللغوي عند فخر الدين الرازي ، د. عبد الرسول الزيدي : ١٢٠ .

(٢) معاني القرآن للفراء : ١٤/١ .

(٣) ينظر : الحديث النبوي الشريف : ٢٨٥ .

(٤) ينظر : إعجاز القرآن في ضوء اللسان العربي المبين ، حمزة فاضل يوسف : ٨٣ .

(٥) المدخل إلى تفسير القرآن وعلومه ، عدنان محمد زرزور : ٣٠ .

فها هو الأزهري يقول في مقدمة معجمه تهذيب اللغة : ((ولم أودع كتابي هذا من كلام العرب إلا ما صح لي سماعاً منهم أو رواية عن ثقةٍ أو حكاية عن خط ذي معرفة ثابتة اقترنت إليها معرفتي)) [١] . وكذلك فعل الجوهري (ت ٣٩٨هـ) حين سمى معجمه (الصحاح) ، ليودعه صحيح ألفاظ العرب إذ يقول : ((وقد أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة التي شرف الله منزلتها ...)) [٢] .

ويبدو لي أنَّ هذا الأمر – أعني تقصّي الصحيح من ألفاظ العرب – هو الذي دعا ابن منظور إلى اعتماد هذين المعجمين في ضمن المعجمات التي اعتمدها في بناء معجم (لسان العرب) . فهو يصرّح أن من أهم مميزات معجمه هذا ، الإتقان والصحة يقول : ((... فجاء بحمد الله وفق البغية ووفق المنية ، بديع الإتقان ، صحيح الأركان ، سليماً من لفظة لو كان))[٣] ، وليس ثمّة مصدرٌ كما ذكرنا من قبل أفضل من القرآن الكريم لتوثيق الألفاظ اللغوية وضبط بُناها ، وتحقيق معانيها وتأكيد صحّتها واعتماده مصدراً لإثبات حجّية هذه الألفاظ لكونه منجماً مهماً ومنبعاً رئيساً للسماع والقياس والتعليل .

وسنحاول فيما يأتي أن نبرّز أثر القرآن الكريم في تحقيق الألفاظ اللغوية وضبطها والاحتجاج لها :

أولاً : تحقيق اللفظ اللغوي :

التحقيق : تفعيلٌ من (حَقَّ) وورد في اللغة بمعنى : (الإثبات) ذكر ابن منظور: حقّ الأمرُ ، وأحقّهُ ، أي : أثبته وصار عنده حقّاً لا يشك فيه . وأحققتُهُ : إذ غلبته على الحقِّ ، وأثبتّه عليه ، وتحقّق عنده الخبر ، أي : صحَّ[٤] .

---

(١) تهذيب اللغة : ٤٠/١ .

(٢) الصحاح : للجوهري : ٣٣/١ .

(٣) لسان العرب : ٨/١ .

(٤) لسان العرب (حقق) : ٤٩/١٠-٥٢ .

وهو ههنا : ((رجع الشيء إلى حقيقته بحيث لا يشوبه شبهة ، وهو المبالغة في إثبات حقيقة الشيء بالوقوف عليه))[١] .

والمراد بتحقيق اللفظ اللغوي ههنا محاولة التثبت من صحة المعنى التي تفسّر به اللفظة وتأكيد معناها بالدليل القرآني . مما يكشف أثراً بارزاً للقرآن الكريم دليلاً على إثبات صحة معاني الألفاظ وتأكيد صواب دلالاتها .

وقد اعتمد ابن منظور كثيراً على الآيات القرآنية أدلةً في إثبات صحة معنى لفظة أو تأكيد دلالتها ومن ذلك مثلاً ما جاء في –لسان العرب– بشأن قوله تعالى : ﴿ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾ (طه: ٣١–٣٢) . قال : ((والأَزْرُ : الظهر والقوة... ابن الأعرابي في قوله تعالى : ﴿ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴾ ؛ قال : الإزْرُ، بكسر الهمزة : الأصل . قال : فمن جعل الأَزْرَ القّوة . قال في قوله أشدد به أزري أي أشدد بِه قوّتي ، ومن جعله الظهر قال : شُدَّ به ظهري ، ومن جعله الضَّعف قال: شُدَّ به ضعفي ، وقَوِّ به ضعفي ؛ الجوهري : أشدد به أزري أي ظهري وموضع الإزار من الحَقْوَين .))[٢] .

ومنه أيضاً ما أورده ابن منظور في تفسيره للآية الكريمة في كلامه على مادة (سول) ، قال : ((التسويل : تحسين الشيء وتزيينُه وتَحْبِيبهُ إلى الإنسان ليفعله أو يقوله . وفي التنزيل العزيز : ﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ ﴾ (يوسف–١٨) ؛ هذا قول يعقوب ، ﴿ عليه السلام ﴾ ، لولده حين أخبروه بأكل الذئب يوسف فقال لهم : ما أكلَهُ الذئب بل سَوَّلَتْ لكم أنفسكم في شأنه أمراً أي زَيِّنَت لكم أنفسكم أمراً

---

(١) **الكليات ، لأبي البقاء الكفوي : ٢٩٦ .**

(٢) **لسان العرب**(أزر) : ١٨/٤ .

غير ما تَصِفُون ، وكأنَّ التسويل تَفعيلٌ من سُولِ الإنسان ، وهو أُمنِيتّه أن يَتَمَنَّاها فتُزَيِّن لطالبها الباطلَ وغيرَه من غُرور الدنيا ...)) [١] .

ومن قبيل ذلك أيضاً ما أورده صاحب اللسان في مادة (شرذم) ، إذ قال : ((والشَّرْذِمةُ : القليل من الناس ، وقيل : الجماعةُ من الناس القليلة . والشَّرذِمة في كلام العرب : القليلُ . وفي التنزيل العزيز : ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴾ (الشعراء–٥٤) ؛ قال ابن بري .... شِرْذِمة وشِرذِمة ، بالدال والذال . وثياب شراذِمُ أي أخلاقٌ متقطّعة)) [٢] . فأكد دلالة اللفظة (الشرذمة) بآية كريمة مباركة . ومما جاء في لسان العرب أيضاً ما أورده ابن منظور في مادة (أصر) ، قال : ((والإصْرُ: العَهْد الثقيل . وفي التنزيل : ﴿ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِي ﴾ (آل عمران–٨١) ، وفيه ﴿ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ ﴾ (الأعراف–١٥٧) ؛ وجمعه آصار، لا يجاوز به أدنى العدد . أبو زيد : أَخَذت عليه إصْراً وأَخَذْتُ منه إصراً أي مَوثِقاً من الله تعالى . قال الله عز وجل : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا ﴾ (البقرة – ٢٨٦) ؛ الفراء : الإصر العهد ؛ وكذلك قال في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِي ﴾ ؛ قال الإصر ههنا إثْم العَقْد والعَهْدِ إذا ضَيَّعوه كما شدد على بني اسرائيل . وقال الزجاج: ﴿ وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا ﴾ ؛ أي أمراً يَثْقُل علينا كما حملته على الذين من قبلنا نحو ما أُمِرَ به بنو إسرائيل من قتل أنفسهم أي لا تمتحنَّا بما يَثْقُل علينا أيضاً . وروي عن ابن عباس :

---

(١) لسان العرب(سول) : ٣٥٠/١١ .

(٢) لسان العرب(شرذم) : ٣٢٢/١٢ .

﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا ﴾ ، قال : عهداً لا نفي به وتُعَذّبُنا بتركه ونَقْضِه. وقوله : ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ﴾ ، قال : ميثاقي وعَهْدي . قال أبو إسحق : كل عَقْد من قرابة أو عَهْد، فهو إصرٌ.))[١].

وفي هذا النصّ يورد ابن منظور عدداً من الآيات ليثبت بها صحة معنى لفظة (الإصر) ويؤكد دلالتها وهو هنا لم يكتف بالاستدلال بالقرآن على ذلك وإنما يعرض لأقوال العلماء واستدلالاتهم بالقرآن على المعاني التي يوردونها للفظة .

ومن أمثلته أيضاً ما أورده ابن منظور في مادة (ثبت) ، إذ قال : ((وتَثَبَّتَ في الأمر والرأي ، واستَثْبَتَ في أمرِه إذا شاور وفحَصَ عنه وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (البقرة– ٢٦٥) ؛ قال الزجاج : أي يُنْفِقونها مُقِرّين بأنها مما يُثِيبُ الله عليها . وقال في قوله عز وجل : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ (هود – ١٢٠) ؛ قال : معنى تثبيت الفُؤادِ تسكين القَلب ؛ ههنا ليس للشك ، ولكن كلَّما كان البُرهانُ والدِّلالةُ أكْثَر على القَلب ، كان القلبُ أسكنَ وأثبَتَ أبداً ، كما قال إبراهيم ، ﴿ عليه السلام ﴾ : ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ (البقرة – ٢٦٠)))[٢] .

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما جاء في – لسان العرب – بشأن لفظة (خلف) يقول ابن منظور: ((والخَلْفُ : القَرْن يأتي بعد القَرْن ، وقد خلَفوا بعدهم يخلفُون . وفي التنزيل العزيز: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (مريم – ٥٩) ، بدلاً من

---

(١) لسان العرب(إصر) : ٢٢/٤ ، وينظر : معاني القرآن للفراء : ١٨٩/١ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣١٤/١-٣١٥ ، ٣٠٩/٢ .

(٢) لسان العرب (ثبت) : ١٩/٢ . وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٢٩٦/١

ذلك لأنهم إذا أضاعوا الصلاةَ فهم خَلْفُ سوءٍ لا مَحالةَ ، ولا يكونُ الخَلَفُ إلا من الأخْيارِ ، قَرناً كان أو وَلداً ، ولا يكونُ الخَلْفُ إلا من الأشرارِ . وقال الفراء : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ (لأعراف – ١٦٩) ، قال : قَرنٌ . ابن شميل : الخَلَفُ يكون في الخَير والشر ، وكذلك الخَلْفُ ، وقيل : الخَلْفُ الأرديـاء الأخسَّاء)) [١] .

فهو يستشهد لحجية لفظة (الخلْف) ههنا بالتسكين ، إنّه للسوء وبالتحريك (الخَلَف) للخير بآي الذكر الحكيم وكفى به شاهداً ودليلاً وحجة بالغة .

وكان ابن منظور يحتج بالقرآن الكريم فيما يؤصله في مجال تبيانه أبواب الفعل الثلاثي المجرد من خلال التنصيص على حركة عين الفعل ، وتبيان اللغة العالية والرديئة وتوصيفها مما يندرج في ضمن ما يسمى (التقويم اللغوي) ومن أمثلته ما جاء في – لسان العرب – من ((قول العرب : حَرِيصٌ عليك ، معناه : حَرِيصٌ على نفعك ، قال : واللغة العالية حَرَصَ يَحرِصُ وأما حَرِصَ يَحرَصُ فلغة رديئة ، قال : والقُراء مُجمِعون على : ﴿ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ (يوسف – ١٠٣)))[٢] .

ومنه أيضاً ما جاء في سياق تفسير المواد اللغوية وبيان مدلولاتها من ذلك ما جاء بشأن تبيان مدلول لفظة (الجم) إذ قال : ((الجَمُّ والجَمَمُ : الكثير من كل شيء . ومال جَمٌّ : كثير . وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴾ (الفجر– ٢٠) ؛ أي : كثيراً)) [٣] .

---

(١) لسان العرب (خلف) : ٨٤/٩ . وينظر : معاني القرآن للفراء : ٣٩٩/١ .

(٢) لسان العرب (حرص) : ١١/٧ .

(٣) لسان العرب (جمم) : ١٠٤/١٢ ، وينظر : معاني القرآن للفراء : ٢٦٢/٣ .

ووجدته أحياناً يعوّل على آي الذكر الحكيم في تبيان الفروق الدلالية التي تنطوي عليها الألفاظ اللغوية من خلال تغيّر حركاتها من ذلك ما أورده بشأن الإبانة على الفرق الدلالي بين لفظتي (مَيْت) و(ميّت) قال ابن منظور : ((... وقيل الميْت الذي مات . والميّت والمائت الذي لم يمت بعدُ ، وحكى الجوهري عن الفراء يقال لمن لم يمت أنه مائت عن قليل وميّت ، ولا يقولون لمن مات : هذا مائت قيل : وهذا خطأ ، وإنما ميت يصح لما قد مات ولما سيموت قال الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (الزمر–٣٠) وجمع بين اللغتين عدي بن الرعلاء فقال :

ليس مَنْ مات فاستراح بميتٍ إنما المَيْتُ ميّتُ الاحياء

إنما الميْتُ مَنْ يعيشُ شقيّـاً كاسفاً بالُهُ قليل الرجاء

. . . فجعل الميْت كالميّت)) [١] .

فالقارئ يرى فرقاً بين الكلمتين (ميْت) بالتخفيف و(ميّت) بالتشديد وعلى وفق ما مّر فالكلمة بالتخفيف للذي (مات) وقضى نحبه ، وبالتشديد (ميّت) وكذلك (مائت) لمن لم يمت بعد .

ولابد من التنويه ههنا أن أبا حيان النحوي الأندلسي قد عزا اختلاف معنى الكلمتين إلى النحويين الأوَّلِيْنَ إذ قال : ((... قيل وحكى أبو معاذ عن النحويين الأوّلينَ أنّ الميْت بالتخفيف الذي فارقته الروح ، والميّت بالتشديد الذي لم يمت بل عاين أسباب الموت)) [٢] .

ومما يجدر ذكره في هذا المقام هو أنه لا فرق في المعنى بين تينك الكلمتين عند جمهور العلماء فلا يعدو أن يكون (الميْت) تخفيفاً (للميّت) المشددة بالحذف كراهةَ اجتماع الأمثال أي اجتماع اليائين هنا . قال سيبويه : ((وأما قولهم : مَيْت وهيْنٌ ولَيْنٌ

---

(١) **لسان العرب (موت) : ٩١/٢ .**

(٢) **البحر المحيط : ٤٨٦/١ .**

فأنهم يحذفون العين ... لاستثقالهم الياءات)) [١] . وقال المازني : ((وأمّا قولهم : هيْن وليْن وميت فإنما حذفوه وهم يريدون هيّن وليّن وميّت ولكنهم حذفوه استخفافاً)) [٢] .

وإلى مثل هذا ذهب المبرد إذ قال : ((... ولكنّه لمّا كان يجوز لك أن تقول في ميّت : ميْت ، وفي هيّن : هيْن ، وكذلك جميع بابه استثقالاً للتضعيف في حروف العلّة ...)) [٣] .

وقد نصّ ابن جني على أنّ الذين يقولون : ميْت هم الذين يقولون : ميّت لكي لا يُظنّ إنهما لغتان[٤] .

وقد خلص باحث معاصر وهو الأستاذ الدكتور حسام سعيد النعيمي إلى أن الاستعمال القرآني لهاتين اللفظتين يمكن إيجازه بما يأتي :

١- الميْت (بالتخفيف) الذي فارقته الروح ولم يرد في القرآن الكريم بمعنى الذي عاين أسباب الموت ولم يمت بعدُ .

٢- الميت (بالتشديد) وردت في القرآن الكريم للذي فارقته الروح والذي عاين أسباب الموت ولم يمت .

ف(ميْت) بالتخفيف مثل (ماتَ) في دلالتها على الماضي وهي وإن كانت مخففة من (ميّت) كما نص على ذلك العلماء وعلى وفق ما ذكر آنفاً إلا إنّها أُلْزِمَتْ أحد المعنيين اللذين في (ميّت) المشددة . ولمّا اختصت المخففة (ميْت) بذلك كثر استعمال المثقلة (ميّت) لما لم يمت مع احتفاظها على أصلها أي بمعنى الماضي (أي الذي مات وفارقته الحياة) [٥] .

---

(١) الكتاب (بولاق) : ٣٧٢/٢ .

(٢) المنصف : ١٥/٢ .

(٣) المقتضب : ٢٦٣/١ .

(٤) المنصف : ١٧/٢ .

(٥) ينظر : البحث الموسوم (الميْت والميّت في لغة القرآن) للأستاذ حسام سعيد النعيمي : ص١٣٨ ، كلية الدراسات الإسلامية ، العدد السادس ، دار الرسالة للطباعة – بغداد ، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م .

ومن أمثلته ما أورده بشأن لفظتي (اللؤلؤ) و(المرجان) والدلالة التي تنطويان عليهما وذلك في معرض كلامه على قوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ (الرحمن – ٢٢) ؛ إذ أورد قول المفسرين أنّ ((المرجان صغار اللؤلؤ ، واللؤلؤ اسم جامع للحبِّ الذي يخرج من الصَدفة ، والمَرْجانُ أشدُّ بياضاً ، ولذلك خص الياقوت والمرجان فشبه الحور العين بهما)) [١] .

وينبغي القول هنا إنَّ الأمثلة التي كان يستدل بها صاحب – لسان العرب – في تحقيق الألفاظ وتأكيد معانيها وتصحيحها وإثباتها كثيرة ومتنوعة وللوقوف على المزيد من الأمثلة والشواهد فيما يخص هذا المنحى[٢] .

وأود الإشارة ههنا إلى أنَّ التحقيق قد ينصرف لدى ابن منظور من تحقيق اللفظ لغوياً إلى تحقيق المعنى أعني الاستعمال القرآني لها من ذلك ما جاء في – لسان العرب – بشأن معنى الريح والرياح واستعمالهما في القرآن بمعنى العذاب لـ(الريح) ، والنصر والرحمة لـ(الرياح) : ((... وفي الحديث : كان يقول إذا هاجت الرِّيح : اللهم إجعلها رياحاً ولا ريحاً ؛ العرب تقول : لا تَلْقَحُ السحابُ إلا من رياح مختلفة ؛ يريد : إجْعَلْها لَقاحاً للسحاب ولا تجعلها عذاباً ، ويحقق ذلك مجيءُ الجمع في آيات الرَّحمة ، والواحد في قِصَصِ العذاب : كالرِّيح العَقِيم ؛ وريحاً صَرْصَراً . وفي الحديث : الرِّيحُ من رَوْحِ الله أي من رحمته بعباده))[٣] .

وكم يبدو هذا المعنى الذي وضعه القرآن الكريم للرياح عجيباً في مقابل ذلك المعنى الذي حملته كلمة الريح . فالرياح نسائم خير طيبة ، والريح عاصفة قاصفة ،

---

(١) لسان العرب (مرجن) : ٤٠٦/١٣ .

(٢) ينظر : لسان العرب (حتم) : ١١٣/١٢ ، (محل) : ٦١٩/١١ ، (لزم) : ٥٤٢/١٢ ، (خصص) : ٧٢٥/٧ ، (شعف): ١٧٧/٩ ، (رجز) : ٣٥٢/٥ ، (درس) : ٧٩/٦ ، (حتم) : ١١٣/١٢ ، (زلق): ١٤٤/١٠ ، (كفأ) : ١٣٩/١ ، (غلف) : ٢٧١/٩ . وغيرها من الأمثلة التي تؤكد وتدعم ما أشرنا إليه سابقاً .

(٣) لسان العرب (روح) : ٤٥٥/٢ .

مع أن المعروف أن الرياح جمع للريح ، والمفروض أنها تجمع أيضاً أضعاف ما في الريح من قسوة وشدة . إن هذا سر من أسرار القرآن ، التي ربما ينكشف العلم عن بعض الحكمة فيها . خاصة وأن اللسان العربي لم يفرق بينهما[١]. وهكذا تكون هاتان الكلمتان من الدلالات الجديدة التي جاء بها القرآن وأفاد منها المعجم العربي في توثيق دلالة الألفاظ وتحقيق معانيها وتوسيع دلالتها من خلال عرض الاستعمال القرآني لها وكيفية ورودها فيه .

ثانياً : ضبط اللفظ اللغوي :

وأعني به تشكيل اللفظة وضبط بنيتها من الحركات والسكنات والمعاني التي تنطوي عليها تلك الأبنية ، فقد اعتمد ابن منظور على إيراد الآيات القرآنية في ضبط المفردات التي تناول جذرها اللغوي في معجمه ، ومن أمثلة ذلك ما ورد في اللسان في مادة (خلص) إذ قال ابن منظور : ((خَلَص الشيء ، بالفتح ، يَخْلصُ خُلُوصاً وخَلاصاً إذا كان قد نَشِبَ ثم نجا وسَلِم . وأَخْلَصه وخَلَّصه وأَخْلَص الله دِينَه: أَمْحَضَه . وأخلص الشيء : اختاره ، وقرئ :﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[٢] (الحجر – ٤٠) ، والمُخلَصِين[٣] ؛ قال ثعلب : يعني بالمخلِصين الذين أخلَصوا العبادة لله تعالى ، والمُخْلَصِين الذين أَخْلَصهم الله عزّ وجلّ))[٤] .

ومما جاء أيضاً في هذا المعنى ما ذكره ابن منظور بشأن مادة (غبر) ، إذ قال : ((واغْبَرَّ اليوم : اشتدَّ غُباره ؛ عن أبي عليّ . واغْبَرْتُ : أَثَرتُ الغُبارَ ، وكذلك غَبَّرْت

---

(١) ينظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم ، عودة خليل أبو عودة:٥١٣ .

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر ويعقوب . ينظر : السبعة في القراءات : ٣٤٨ ، والمبسوط في القراءات العشر : ٢٤٦ .

(٣) وهي قراءة : عاصم وحمزة والكسائي ونافع وأبي جعفر وخلف . ينظر : السبعة في القراءات : ٣٤٨ ، والمبسوط في القراءات العشر : ٢٤٦ .

(٤) لسان العرب (خلص) : ٢٦/٧ .

تَغبيراً . وَطَلب فلاناً فما شَقَّ غُبَارَه أي لم يُدْرِكه وَغَبَّرَ الشيءَ : لَطَّخَه بالغُبارِ . وتَغَبَّر : تَلطَّخ به . وأغبَر الشيءُ : عَلاه الغُبار ؛ والغَبْرةُ : لطخ الغبار . والغُبْرَة : لَوْنُ الغُبار ؛ وقد غَبِرَ واغْبَرَّ اغبِرَاراً ، وهو أغْبَرُ . والغُبْرة : إغبِرار اللّون يَغبَرُّ للهمِّ ونحوه . وقوله عز وجل : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ (عبس : ٤٠-٤١) ؛ ... وقول العامة غُبْرة خطأ ، والغُبرة لون الأغبر، وهو شبيه بالغُبار)) [١] .

نلحظ في هذين المثالين كيف جاء ابن منظور بالآيات المباركة ليستدلَّ بها عن صحة دلالة لفظتي (مخلصين وغَبَرة) من خلال ضبط حركاتهما . وكيف أدى به ذلك إلى تحديد اللفظة الخطأ في الاستعمال مما يجعل من المعجم مرجعاً لبيان الخطأ والصحيح من الألفاظ المستعملة مما يضفي على المعجم أهمية لا تنكر .

ومن أمثلته ما أورده في سياق تبيان معاني (نضح) بالحاء و(نضخ) بالخاء وتصويب بعض الاستعمالات اللغوية وضبطها وتبيان خطأ بعضها ، جاء في – لسان العرب – : ((... النَّضحُ كالنَّضخ ربما اتفقا وربما اختلفا . ويقولون : النَّضح ما بقي له أثر كقولك على ثوبه نَضْحُ دَمٍ ، والعين تَنْضَحُ بالماء نَضْحاً إذا رأيتها تفور ، وكذلك تَنْضَخُ العين ؛ وقال أبو زيد : يقال : نَضَخَ عليه الماء يَنْضَخُ، فهو ناضخٌ ؛ وفي الحديث يَنْضَخُ البحر ساحلَه . وقال الأصمعي : لا يقال من الخاء فَعَلْتُ ؛ إنما يقال أصابه نَضْخ من كذا ؛ وقال أبو الهيثم : قول أبي زيد أصح ، والقرآن يدل عليه ، قال الله تعالى : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ (الرحمن – ٦٦)؛ فهذا يشهد به))[٢] .

ويأتي القرآن هنا دليلاً حاسماً لصحة استخدام اللفظ وسلامة ضبطه ومعناه. وعاملاً فاصلاً في حسم الخلاف وترجيح المعنى الدقيق والسليم للفظة .

---

(١) لسان العرب (غبر) : ٥/٥ .

(٢) لسان العرب (نضح) : ٦١٨/٢ .

ويزاد على هذا ما جاء في – لسان العرب – في مادة (غَلَلَ) إذ قال ابن منظور : ((والغَلِيلُ : حَرُّ الجوف لَوماً وامتِعاضاً . والغِلُّ ، بالكسر ، والغَلِيلُ : الغِشُّ والعَداوة والضَغنُ والحقد والحسد . وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ (لأعراف – ٤٣) ؛ قال الزجاج : حقيقته ، والله أعلم ، أنه لا يَحسُدُ بعض أهل الجنة بعضاً في عُلُوِّ المرتبة ؛ لأنَّ الحسد غِلٌّ وهو أيضاً كَدر ، والجنة مبرَّأة من ذلك ، غَلَّ صدرُه يَغِلُّ ، بالكسر ، غِلاً إذا كان ذا غِشٍّ أو ضغن وحقد))[١] .

ومنه أيضاً ما أورده ابن منظور في معجمه بشأن مادة (سلق) قائلاً : ((وَسَلَقه بالكلام سَلقاً إذا آذاه ، وهو شدة القول باللسان . وفي التنزيل : ﴿ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ (الأحزاب – ١٩) ؛ أي بالغوا فيكم بالكلام وخاصموكم في الغنيمة أشَدَّ مخاصمةٍ وأبلَغَها ؛ أشِحةٌ على الخير ؛ أي خاطبوكم أشَدَّ مخاطبة وهم أشِحَّةٌ على المال والغنيمة ؛ الفراء ؛ سلقوكم بألسِنةٍ حداد معناه عَضُّوكم ، يقول : آذوكم بالكلام عند الأمن بألْسِنة سَلِيطة ذَرِبَة ، قال : ويقال : صَلَقوكم ولا يجوز في القراءة))[٢] .

ومنه أيضاً ما استشهد به ابن منظور نقلاً عن الفراء في مادة (قرح) ، إذ قال: ((وقال الفراء في قوله عزّ وجلَّ: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ ﴾ (آل عمران–١٤٠) وقُرحٌ ؛ قال : وأكثر القراء على فتح القاف ، وكأنَّ القُرْحَ ألم الجِراحِ ، وكأنَّ القَرْحَ الجِراحُ بأعيانها)) [٣] .

---

(١) لسان العرب (غلل) : ٤٩٩/١١ .

(٢) لسان العرب (سلق) : ١٦٠/١٠ ، وينظر : معاني القرآن للفراء : ٣٣٩/٢ .

(٣) لسان العرب (قرح) : ٥٥٧/٢ ، وينظر : معاني القرآن للفراء : ٢٣٤/١ ، وينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣٩٥/١ .

ومن ذلك أيضاً ما نقله صاحب معجم – لسان العرب عن الجوهري في مادة (لهث) قوله : ((لَهَث ، بالفتح ، يَلْهَثُ لَهْثاً ولُهاثاً ، بالضم ، إذا أخرج لسانه من التعب أو العطش ؛ وكذلك الرجل إذا أعيا . وفي التنزيل العزيز : ﴿ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ (الأعراف-١٧٦)))[١] .

ومثل ذلك كثير من الأمثلة التي استشهد بها ابن منظور في ضبط الألفاظ اللغوية والتثبت منها[٢] . في معجمه – لسان العرب – مما يجعل منه مصدراً من مصادر التوثيق اللغوي لضبط المفردات من الناحية اللغوية .

وغير خافية أهمية هذا الأمر في العربية إذ إن كثيراً من هذه الألفاظ ذاعت بناها من خلال استخدام القرآن الكريم لها في حين لم تذع البنى الأخرى مع كونها صحيحة وسمعت عن العرب على النحو الذي ذاعت فيها تلك وهنا يبرز بوضوح أثر القرآن في إثبات ألفاظ معينة وذيوعها في الاستعمال اللغوي . وأهمال ألفاظ أخرى لعدم ورودها في القرآن الكريم .

ومن مظاهر تحقيق اللفظ اللغوي وضبطه عرض اشتقاقات جملة من الألفاظ والمعاني الدقيقة التي تنطوي عليها وعرض خلاف اللغويين في تحقيق المعاني التي تتضمنها تلك الألفاظ من ذلك ما حكاه ابن منظور في معجمه حول مادة (وفى) ، إذ قال : ((وَفَى يَفِي فهو وافٍ ، ابن سيده : وفى بالعهد وَفاءً ... الكسائي وأبو عبيدة : وَفَيتُ بالعهد وأوفَيتُ به سواء ... يقال : وَفَى وأوفَى ، فمن قال وفَى فإنه يقول تَمَّ كقولك : وَفَى لنا فلانٌ أي تَمَّ لنا قَوْلُه ولم يَغْدِر ، ووفى هذا الطعام قفيزاً ... ومن قال أوفى فمعناه أوفاني حقَّه أي أتَمَّه ولم يَنْقُص منه شيئاً ، وكذلك أُوفى الكيلَ أي أتمه

---

(١) لسان العرب (لهث) : ١٨٤/٢ .

(٢) لمزيد من الأمثلة : ينظر : لسان العرب: (قتر) : ٧١/٥ ، (جلس) : ٣٩/٦ ، (فرر) : ٥١/٥ ، (هيت) : ٤٠٥/٢ ، (طمث) : ١٦٦/٢ ، (جهز) : ٣٢٥/٥ .

ولم ينقص منه شيئاً ... يقال أوفيت بالعهد ووَفَيت بالعهد . وكل شيء في كتاب الله تعالى من هذا فهو بالألف ، قال الله تعالى : ﴿ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾(المائدة – ١) ، ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ ﴾ (البقرة – ٤٠) ؛ ويقال : وَفى الكيلُ وَوَفى الشيءً أي تَمَّ ، وأوفَيْتُه أنا أتَممته ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ ﴾ (الأنعام–١٥٢)))[١] .

ونلاحظ هنا أن للعناية بتوثيق اللفظ اللغوي ، وتحرّي الدقة في معناه وضبطه من خلال القرآن أثراً في تنقية اللغات واختيار الفصيح منها مما يعد مصدراً من مصادر التقويم اللغوي وتوخي الاستعمالات الفصيحة للفظ العربي . ولا شك في أن كل لغة تبحث عن الأفصح والأبلغ فيها لِتُعليها وتبرزها لغة للخطاب والتأليف ، وهو أمرٌ ما كان ليتمَّ لولا وجود القرآن الكريم والاستدلال به مصدراً لإثبات قوة اللفظ ومدى فصاحته وبلاغة استعمالاته .

ثالثاً : القرآن الكريم مصدراً سماعياً :

السماع في اللغة اسمُ ما استلّذتِ الأذن من صوتٍ حسن ، وهو أيضاً : ما سمعت به فشاع ، وتكلَّم الناسُ به[٢] .

وهو بهذا : ((يختصُّ بالمنطوق من الكلام)) [٣] ؛ لذلك فقد قصره بعضهم على ((الأخذ المباشر للمادّة اللغوية عن الناطقين بها)) [٤] . والمراد : أنْ يكون المسموع مسموعاً من مصدره سماعاً حسياً[٥] .

---

(١) لسان العرب (وفي) : ٣٩٨/١٥ .

(٢) ينظر : لسان العرب : (سمع) : ١٦٥/٨ .

(٣) القياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة ، محمد عاشور السويح : ٩ .

(٤) أصول التفكير النحوي ، علي أبو المكارم : ٢١ .

(٥) الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، تمام حسان : ٩٥ .

وهنا يتجاذب مصطلحَ (السماعِ) مصطلحٌ آخر هو (الرواية) وهي في اللغة : الاستقاء ، ((رويتُ القومَ أرويتهم ؛ إذا استقيتُ لهم)) [١] .

ثم دخلت هذه اللفظة ميدان النقل الشفوّي فأطلقت على أخذ الشعر والحديث واللغة والقراءات لعلاقة النقل في كلٍّ[٢] . جاء في – لسان العرب – : ((روى فلان حديثاً أو شعراً ، يرويه رواية ، فهو : راوٍ)) [٣] . وهنا لا تتحدد الرواية بالسماع المباشر ، بل تفيد النقل والاستظهار والأخذ بواسطة[٤] . ومهما يكن من أمر فـ((السماع والرواية مصطلحان يُفضي أحدهما إلى الآخر ، فسماع الشعر وكلام العرب مآلُهُ إلى الرواية ، التي هي سماعٌ عن الراوي وروايةٌ عنه فيما بعد)) [٥] .

والسماع بذلك من أهمّ أصول اللغة ، وركن ركين من أركانها ، وهو – بمفهوم علماء أصول النحو – ((ما ثبت في كلام مَنْ يُوثَق بفصاحته)) [٦] ، يشمل الموروث اللغوي (أي : مصادر اللغة) [٧] :–

- **القرآن الكريم وقراءاته .**
- **الحديث النبوي الشريف .**
- **كلام العرب : (الشعر والرجز ، والأمثال ، وأقوال أهل الفصاحة والحكم) .**

---

(١) إصلاح المنطق لابن السّكيت : ٣٣١ .

(٢) ينظر : القياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة : ٩ .

(٣) لسان العرب (روي) : ٣٤٨/١٤ .

(٤) ينظر : أصول التفكير النحوي ، علي أبو المكارم : ٢١ ، والأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، تمام حسّان : ٩٥ .

(٥) ابن يعيش النحوي : د. عبد الإله نبهان : ٣٠٦ .

(٦) الاقتراح في علم أصول النحو : للسيوطي : ٣٦ .

(٧) ينظر : كلمة في منهج البحث اللغوي عند العرب ، عبد الله الجبوري : ١٣ .

وما يعنينا ههنا هو القرآن الكريم مصدراً سماعياً في – لسان العرب – ، كان للقرآن الكريم أثرٌ واضحٌ في إثبات المسموع عن كلام العرب أو اللجوء إليه أصلاً من أصول الاستدلال على أصل اللفظ . وتبيان دلالتها اللغوية .

ومن ذلك ما أورده ابن منظور بشأن مادة (طلح) إذ قال : ((والطَّلْحُ لغة في الطَّلع ، وقوله تعالى : ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ (الواقعة – ٢٩) ؛ فُسِّرَ بأنه الطَّلْعُ وفُسِّرَ بأنه المَوْزُ ، قال : وهذا غير معروف في اللغة . الأزهري : قال أبو اسحق في قوله تعالى : ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ ؛ جاء في التفسير أنه شجر الموز ، قال : والطَّلْحُ شجر أم غَيْلان أيضاً ، قال : وجائز أن يكون عنى به ذلك الشجر لأن له نَورا طيب الرائحة جدّاً ، فَخُوطِبُوا به ووعِدوا بما يحبون مثله ، إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على سائر ما في الدنيا ...))[١] .

ومن ذلك أيضاً ما جاء في – لسان العرب – بشأن لفظة (الرقيم) وتبيان دلالتها تحت مادة (رقم) قال ابن منظور : ((والرَّقيمُ : الدَّواة ؛ حكاه ابن دريد قال : ولا أدري ما صحته ، وقال ثعلب : هو اللوح ، وبه فسر قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ ﴾ (الكهف–٩) ؛ وقال الزجاج : قيل الرَّقِيمُ اسم الجبل الذي فيه الكهف ، وقيل : اسم القرية التي كانوا فيها ، والله أعلم . وقال الفراء : الرَّقِيمُ لوحُ رَصاصٍ كتبت فيه أسماؤهم وأنسابهم وقصصهم ومِمَّ فَرُّوا ؛ وسأل ابن عباس كعباً عن الرقيم فقال : هي القرية التي خرجوا منها ، وقيل : الرقِيمُ الكتاب ؛ وذكر عِكْرِمة عن ابن عباس أنه قال : ما أدري ما الرَّقِيمُ ، أكتاب أم بنيان ؟ ، يعني أصحاب الكهف والرقيمِ . وحكى ابن بري قال : قال أبو القاسم الزجاجي في الرَّقِيم خمسة أقوال : أحدها عن ابن عباس أنه لوح كتب فيه أسماؤهم، والثاني أنه الدَّواة بلغة الرُّوم ؛ عن

---

(١) لسان العرب (طلح) : ٥٣٣/٢ ، وينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٨٩/٥ .

مجاهد ، والثالث القرية ؛ عن كعب، الرابع الوادي ، والخامس الكتاب ، عن الضحاك وقتادة وإلى هذا القول يذهب أهل اللغة.))[١] .

ومن قبيل ذلك أيضاً ما جاء في – لسان العرب – حول مادة (تنر) ، يقول ابن منظور : ((والتَّنُّور : الذي يخبز فيه ؛ يقال : هو في جميع اللغات كذلك . وقال أحمد بن يحيى : التَّنُّور تَفْعُول من النار ؛ ... والتَّنُّور : وجه الأرض ، فارسي معرَّب ، وقيل : هو بكل لغة . وفي التنزيل العزيز : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ (هود–٤٠) ... قال أبو اسحق : أعلمَ الله عز وجل أن وقت هلاكهم فَوْرُ التَّنُّورِ ، وقيل في التنور أقوال : قيل التنور وجه الأرض ، ويقال : أراد أن الماء إذا فار من ناحية مسجد الكوفة ، وقيل : إن الماء فار من تنور الخابزة ، وقيل أيضاً: إن التَّنُّور تَنوِيرُ الصُّبْح . وروي عن ابن عباس : التَّنُّور الذي بالجزيرة وهي عَيْنُ الوَرْدِ ، والله أعلم بما أراد . قال الليث : التنور عمت بكل لسان . قال أبو منصور: وقول من قال إن التنور عمت بكل لسان يدل على أن الاسم في الأصل أعجمي فعربتها العرب فصار عربيّاً على بناء فَعُّول ، والدليل على ذلك أن أصل بنائه تنر ، قال : ولا نعرفه في كلام العرب لأنه مهمل ، وهو نظير ما دخل في كلام العرب من كلام العجم مثل الديباج والدينار والإستبرق وما أشبهها ولمّا تكلّمت بها العرب صارت عربية)) [٢] .

فالقرآن هنا أصبح مصدراً من مصادر السماع ومن ثم تثبيت اللفظة في اللغة وإحياء استعمالها وتوضيح دلالتها . ليستثمر المعجم كل ذاك في إغناء مادته وتوسيع الألفاظ ، من خلال جعل بعض الألفاظ في عداد (العربية) ؛ لاستعمال العرب إياها نحو لفظة (التنور) ههنا .

---

(١) لسان العرب (رقم): ٢٥٠/١٢ . وينظر معاني القرآن للفراء : ١٣٤/٢ ، ومجالس ثعلب: ١٢/١ ، ومعاني القرآن وإعرابه الزجاج : ٢٢٠/٣ .

(٢) لسان العرب (تنر) : ٩٥/٤ ، وينظر : معاني القرآن للفرّاء : ١٤/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٤٢/٣ .

ويزاد على هذا ما ذكره ابن منظور بشأن مادة (يمم) فيما نقله عن الليث ، قال : ((اليَمُّ البحر الذي لا يُدْرَك قَعْرُه ولا شَطَّاه ، ويقال : اليَمَّ لُجَّتُه . وقال الزجاج: اليَمُّ : البحر ، وكذلك هو في الكتاب ، الأولُّ لا يُثَنَّى ولا يُكسّرَ ولا يُجْمَع جمع السلامة ، وزَعَم بعضُهم أنها لغة سُريانية فعرَّبته العرب ، وأصله يَمَّا ، ويَقَع اسمُ اليَمّ على ما كان ماؤه مِلْحاً زُعاقاً ، وعلى النهر الكبير العَذْب الماء ، وأُمِرَت أُمُّ موسى حين وَلَدَته وخافت عليه فِرعَوْنَ أن تجعلَه في تابوت ثم تَقْذِفَه في اليَمِّ ، وهو نَهَرُ النيل بمصر ، حماها الله تعالى ، وماؤه عَذْبٌ . قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾ (ط – ٣٩) ؛ فجعل له ساحِلاً ، وهو دليلٌ على بطلان قول الليث : إنه البحر الذي لا يُدْرَكُ قَعْرُهُ ولا شَطَّاه)) [١] .

فالآية المباركة استُدلَّ بها هنا لتصحيح دلالة لفظة (اليمُ) وحصر معناها بدقة فأصبحت من المصادر السماعية التي ثبتت دلالة هذه اللفظة في اللغة .

ويزاد على هذا ما أورده ابن منظور في معجمه – لسان العرب – مستدلاً على أن (الشمائل) جَمعٌ لـ(الشِّمال) على غير قياس حيث قال : ((واليد الشِّمال : خلاف اليمين ، والجمع أشْمُلٌ مثل أعْنُقٍ وأذرع ، لأنها مؤنثة ، وشمائل أيضاً على غير قياس . قال الله تعالى : ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ ﴾ (النحل – ٤٨)))[٢] .

وقد يورد ابن منظور أحياناً الآية القرآنية المباركة تعضيداً للغة من لغات العرب حيث قال : ((... ويَئِسَ أيضاً بمعنى عَلِمَ ، في لغة النَّخع ... ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (الرعد – ٣١)))[٣] .

---

(١) لسان العرب (يمم) : ٦٤٧/١٢ ، وينظر معاني القرآن للفرّاء : ١٧٩/٢ .

(٢) لسان العرب (شمل) : ٢٤٣/١١ ، وينظر : معاني القرآن للفرّاء : ١٠٢/٢ .

(٣) لسان العرب (يأس) : ٢٦٠/٦ ، وينظر : معاني القرآن للفرّاء : ٦٣/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج : ١٢١/٣ .

رابعاً : القرآن الكريم مصدراً للقياس :

القياس في اللغة من : ((قاسَ الشيءَ يَقيسُه قيْساً وقياساً واقْتاسه وقَيَّسه إذا قدَّره على مثاله)) [١] .

وأمّا اصطلاحاً فقد حدَّه علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤هـ) أنه : ((الجمع بين أول وثان يقتضيه في صحة الأول صحة الثاني ، وفي فساد الثاني فساد الأول))[٢] . وقيل فيها أيضاً : ((إنه حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما أو نفيه عنهما بأمر جامع بينهما من إثبات حكم ، أو صفة أو نفيهما عنهما)) [٣] . وقيل: ((هو حمل فرع على أصل بعلة ، وإجراء حكم الأصل على الفرع)) [٤] ، وثمة حدود أخرى كلها متقاربة[٥] ولا تخرج عن إطار ما أورَدَته المظان التي ذكرتها مما مرت آنفاً .

وذكر محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ) إن أبا اسحق الحضرمي (ت١١٧هـ) : ((أول من بَعَجَ النحو ، ومدَّ القياس والعلل))[٦] .

وأمّا المعاصرون ، فقد حدته الدكتورة خديجة الحديثي على أنه : ((حمل مجهول على معلوم ، وحمل غير المنقول على ما نقل ، وحمل ما لم يسمع على ما سمع في حكم من الأحكام وبعلة جامعة بينهما)) [٧] .

وأركان القياس أربعة : فرع وأصل ، وعلة وحكم[١] .

---

(١) لسان العرب (قيس) : ١٨٧/٦ .

(٢) الحدود في النحو : ٣٨ .

(٣) المستصفى من علم الأصول : ٢٢٨/٢ .

(٤) لمع الأدلة : ٩٣ .

(٥) ينظر : الاغراب في جدل الإعراب : ٤٥ ، فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت : ٢٤٧/٢، والتعريفات : ١٥٩ ، وكشاف اصطلاحات الفنون : ١٨٩ ، والبحث اللغوي عند فخر الدين الرازي : ١٨١ .

(٦) طبقات فحول الشعراء : ١٤ .

(٧) الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه : ٢٣١ .

وقد كان القرآن الكريم مصدراً من مصادر معجم لسان العرب في القياس على الألفاظ الواردة في متنه . من ذلك مثلاً ما ورد فيه بشأن لفظة (طلع) ، يقول ابن منظور : ((طَلَعتِ الشمس والقمر والفجر والنجوم تَطْلُعُ طُلُوعاً ومَطْلِعاً ، فهي طالِعةٌ ، وهو أحد ما جاء من مَصادرِ فَعَلَ يَفْعُلُ على مَفْعِلٍ ، ومَطْلَعاً، بالفتح ، لغة ، وهو القياس ، والكسر الأشهر . والمَطْلِعُ : الموضع الذي تَطْلُعُ عليه الشمس ، وهو قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ ﴾ (الكهف – ٩٠) ، وأما قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ (القدر–٥) ، فإنَّ الكسائي قرأها بكسر اللام ، وكذلك روى عبيد عن أبي عمرو بكسر اللام ، وعبيد أحد الرواة عن أبي عمرو ، وقال ابن كثير ونافع وابن عامر واليزيدي عن أبي عمرو وعاصم وحمزة: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ ، بفتح اللام ، قال الفراء : وأكثر القراء على مطلَعَ ، قال : وهو أقوى في قياس العربية لأن المطلَع ، بالفتح ، وهو الطلوع، والمطلِع ، بالكسر ، هو الموضع الذي تطلع منه)) [٢] .

مما مرّ يتبين أن النص القرآني قد عوّل عليه في تبيان قياسية وجه (الفتح) في لفظة (المطلَع) مصدراً للفعل (طلع يطلعُ) بمعنى (الطلوع) . ومما تجدر الإشارة إليه ههنا إنَّ (المطلِع) بالكسر الوجه فيه أن يكون مصدراً على نحو (المطلَع) بفتح اللام كما سيأتي ، وليس ذلك ببعيد فقد جاء (المَفْعِل) بكسر العين مصدراً مثل المرجِع والمحِيض . ويجوز أن يكون اسماً بمعنى وقت الطلوع فيصح أن يأتي على مفعِل بالكسر وإن كان القياس فتحها أما (المطلَع) بفتح اللام فهو مصدر ، والمصادر من

---

(١) المستصفى في علم الأصول : ٢٢٨/٢ ، ولمع الأدلة : ٩٣ ، والاقتراح في علم أصول النحو : ٩٦ .

(٢) لسان العرب (طلع) : ٢٣٥/٨ ، وينظر : معاني القرآن للفراء : ٢٨٠/٣–٢٨١ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٢٦٥/٥ .

هذه الصيغة يقتضي القياس أن تكون على مفعَل بالفتح نحو : قتل يقتل مقتَلاً ، وخرج يخرج مخرَجاً ، وذهب يذهب مذْهَباً ، وضرب مضرّباً . سواء كان مضارعه مفتوح العين أو مكسورَهُ أو مضمومَهُ . فإذن (المطلَع) مصدر بمعنى (الطلوع)[١] .

وأما بخصوص لفظة (مَطْلَعِ) في قوله تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ فقد قرأها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة (مَطْلَعِ) بفتح اللام، وقرأها الكسائي (مطلِع) بكسر اللام . وروى عبيد عن أبي عمرو (مَطْلِع) بكسر اللام[٢] .

ومن ذلك ما جاء في اللسان بشأن مادة (سواً) ، قال ابن منظور: ((...ويقال: فلانٌ وفلان سَواءٌ أي مُتَساويان ، وقَوْمٌ سَواءٌ لأنه مصدر لا يثنى ولا يجمع . قال الله تعالى : ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً... ﴾ (آل عمران – ١١٣) ؛ أي لَيْسوا مُسْتَوين ... وهما في هذا الأمرِ سواءٌ ، وإن شئتَ سَواءَانِ ، وهم سَواءٌ للجمع ، وهم أسْواءٌ ، وهم سَواسِيَةٌ أي أشباهٌ مثلُ يمانِيةٍ على غير قياسٍ ؛ قال الأخفش : ووزنه فعافلَةٌ ، ذهب عنها الحَرْفُ الثالث وأصله الياءُ ، قال : فأما سَواسِيَة فإنَّ سواءً فَعالٌ وسِيَةٌ يجوز أن يكون فِعَةً أو فِعْلَةً ، إلا أن فِعَةً أقيس لأن أكثر ما يُلْقونَ موضِعَ اللام ، وانقَلَبتِ الواوُ في سِيَة ياءً لكسرة ما قبلها لأن أصله سوية)) [٣] .

ومن أمثلة ما ورد في لسان العرب من آيات قرآنية عُوِّل فيها على القياس في إثبات صحة استعمال الألفاظ وصحة دلالتها ، ما أورده ابن منظور ، إذ قال : ((والأشُدُّ : مَبْلَغُ الرجل الحُنكَةَ والمَعْرِفَةَ ؛ قال الله عز وجل :﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ﴾

---

(١) ينظر : الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم : ١٣٨٤/٣-١٣٨٥ .

(٢) ينظر : السبعة في القراءات : ٦٩٣ ، القراءات وعلل النحويين فيها : ٧٨٧/٢ ، والاكتفاء في القراءات السبعة المشهورة : ٣٤١ ، والمبسوط في القراءات العشر : ٤٧٥ .

(٣) لسان العرب (سواً) : ٤١/١٤ .

(الاحقاف – ١٥) ؛ قال الفراء : الأشُدُّ واحدها شَدٌّ في القياس ، قال : ولم أسمع لها بواحد ؛ وأنشد :

قد سادَ ، وهو فَتىً ، حتى إذا بَلَغْتَ أشُدُّه ، وعلا في الأمر واجتَمَعا

أبو الهيثم : واحدة الأنْعمُ نعْمةٌ وواحدة الأشُدِّ شِدَّة ... وقال السيرافي : القياس شَدٌّ وأشُدٌّ كما يقال : قَدٌّ أقُدٌّ)) [١] .

وما جاء في – لسان العرب – ههنا من بيان قياسية جمع (شدّ) على (أشدّ) قد عوّل فيه على قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ على نحو ما مرّ . ومما يجدر ذكره (ههنا) إنَّ (شدّاً) هو على وزن (فَعْل) والقياس في (فَعْل) اسماً أن يجمع على أفْعُل قال سيبويه : ((أمّا ما كان من الأسماء على ثلاثة أحرف وكان (فَعْلاً).. فإنّ تكسيره (أفْعُل) . وذلك قولك : كَلْبٌ وأكلُب وكعْب وأكعُب وفَرْخ وأفرُخ ونَسْر وأنْسُر)) [٢] .

خامساً : القرآن الكريم مصدراً للتعليل :

جاء في تعريف العلة لغةً : ((العَلَلُ : الشَّرْبَةُ الثانيةُ ، والفِعْلُ : عَلَّ القَوْمُ إبَلَهُم يَعُلُّونَها عَلاً وعَلَلاً ، والأبلُ تَعُلُّ نفسَها عَلَلاً))[٣] .

وجاء في – لسان العرب – : ((العَلُّ والعَلَلُ : الشَّربَةُ الثانيةُ ، وقيلَ : الشُّرْبُ بَعْدَ الشُّرْب تباعاً ، يقال : عَلَلٌ بعد نَهَل)) [٤] .

كما تأتي بمعنى السَّببِ ، وقد قيل : ((وهذِهِ عِلَّتُهُ : سَبَبُهُ)) [٥] .

---

(١) لسان العرب (شدد) : ٢٣٥/٣-٢٣٦ ، وينظر معاني القرآن للفراء : ٥٢/٣ .

(٢) الكتاب (هارون) : ٥٦٧/٣ .

(٣) العين : ٨٨/١ .

(٤) لسان العرب (علل) : ٣٢٢/١١ .

(٥) المصدر السابق نفسه .

وجاء في المصباح المنير : ((واعتلَّ : إذا تَمَسَّكَ بحجةٍ ، ذكر معناه الفارابي، وأعَلَّهُ : جعَلهُ ذا عِلَّةٍ ، ومنهُ إعلالاتُ الفقهاء واعتلالاتهم)) [١]

أما تعريفها اصطلاحاً فقد عَرفها الجرجاني (ت ٨١٦هـ) بقوله : ((هي ما يتوقف عليهِ وجود الشَّيء ، ويكونُ خارجاً مؤثراً فيه)) [٢] . فلابد لكل حكم لغوي من علة تدعو إليه وسبب يبيح للقائل به ، لذلك كانت العلة وثيقة الصلة بالدرس اللغوي ، ومن هنا فقد كان للقرآن الكريم مصدراً مهماً من مصادر المعجم العربي في تعليل الألفاظ اللغوية الواردة في متنه والكشف عن دلالاتها وسبر اغوارها وبيان سبب تسميتها ، من ذلك ما جاء في – لسان العرب – بشأن لفظة (غبن) ، إذ قال : ((والتَّغَابُن: يوم البعث ، من ذلك ، وقيل : سمي بذلك لأن أهل الجنة يَغْبِنُ فيه أهل النار بما يصير إليه أهل الجنة من النعيم وَيَلقَى فيه أهلُ النار من العذاب الجحيم ، ويَغْبِنُ مَن ارتفعت منزلتهُ في الجنة من كان دون منزلتهُ ، وضرب الله ذلك مثلاً للشراء والبيع كما قال تعالى : ﴿ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ (الصف–١٠) ، وسئل الحسن عن قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾ (التغابن–٩) ؛ فقال : غَبَنَ أهل الجنة أهل النار أي استنقصوا عقولَهم باختيارهم الكفر على الإيمان)) [٣] .

ويمكن القول أنَّ يوم التغابن بهذا المعنى مصطلح قرآني جديد ، لم يعرف من قبل في الجاهلية ولكن الكلمة عرفت وتداولها الناس في أمور التجارة وفيما يجري بينهم من منافسات في الأقوال والآراء . ومما ورد في شعرهم في استعمال (غبن) في معناها اللغوي قول المتنخل الهذلي[٤] :

ويل أمه رجلاً تأبى به غَبَناً إذا تجرّد لا خالٌ ولا بَخَل .

---

(١) **المصباح المنير : ٧٧/٢ .**

(٢) **التعريفات : ٨٨ .**

(٣) **لسان العرب (غبن) : ٣١٠/١٣ .**

(٤) **ديوان الهذليين : ١٤/٢ ، وينظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي والقرآن الكريم : ٣٦٩ .**

ومن قبيل ذلك أيضاً ما جاء في – لسان العرب – تحت مادة (حطم) ، قال ابن منظور : ((ورجل حُطَمَةٌ : كثير الأكل . وإبل حُطَمة وغنم حُطَمةٌ : كثيرة تَحْطِمُ الأرض بِخفافها وأظلافِها وتَحطِمُ شجرها وبَقْلَها فتأكله ... ونار حُطَمَةٌ : شديدة وفي التنزيل: ﴿ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ﴾ (الهمزة – ٤) ؛ الحُطَمَة اسم من أسماء النار ، نعوذ بالله منها ، لأنها تحطِمُ ما تلقى ، وقيل : الحُطَمَةُ باب من أبواب جهنم وكلٌّ ذلك من الحَطْمِ الذي هو الكسر والدَّق))[1] .

ومن ذلك أيضاً ما جاء في – لسان العرب – بشأن مادة (خزن) إذ قال : ((خَزَنَ الشَّيءَ يَخْزُنه خَزناً واختَزنه : أحْرَزه وجعله في خِزانة واختزنه لنفسه . والخِزانةُ : اسم الموضع الذي يُخْزنَ فيه الشيء . وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ (الحجر – ٢١) . والخِزانةُ : عَملُ الخازِن والمَخْزَن ، بفتح الزاي : ما يُخزَن فيه الشيء . والخِزانةُ : واحدة الخَزائن . وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ (هود – ٣١) ؛ قال ابن الانباري : معناه غُيوب الله التي لا يعلمها إلا الله ، وقيل للغُيوب خَزائنُ لغموضها على الناس واستتارها عنهم . وخَزَنَ المالَ إذا غيَّبه . وقال سفيان بن عيينة : إنما آياتُ القرآن خزائن ، فإذا دخلتَ خزانةً فأجتهد أن لا تخرج منها حتى تعرف ما فيها ، قال : شبه الآية من القرآن بالوعاء الذي يجمع فيه المال المخزون ، وسمي الوعاء خزانة لأنه من سبب المخزون فيه . وخِزانة الإنسان : قلبه . وخازِنه وخَزَّانه : لسانه ، كلاهما على المثل . وقال لقمان لآبنه : إذا كان خازِنك حفيظاً وخِزانتُك أمينةً رَشدْتَ في أمرَيْك دنياك وآخرتك ، يعني اللسان والقلب ؛ وقال :

---

(١) لسان العرب (حطم) : ١٣٨/١٢ .

إذا المَرْءُ لم يَخزُن عليه لسانُه فليس على شيءٍ سِواه بخازِنِ

وخزنت السِّرَّ واختزَنْتُه : كتمته .))[١] .

يزاد على هذا ما ذكره ابن منظور بشأن لفظة (الحاقة) الواردة في قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ (الحاقة : ١-٣) ، التي وردت تحت مادة (حقق) إذ قال : ((الحاقة : الساعة والقيامة ، سميت حاقَّةً لأنها تحُقُّ كلَّ إنسان من خير أو شر ؛ قال ذلك الزجاج ، وقال الفراء : سميت حاقَّةً لأن فيها حَواقَّ الأمور والثوابَ . والحَقَّةُ : حقيقة الأمر ، قال : والعرب تقول لمّا عرفتَ الحَقَّةَ مِني هربْتَ ، والحَقَّةُ والحاقَّةُ بمعنى واحد ؛ وقيل : سميت القيامة حاقَّةً لأنها تَحُقُّ كُلَّ مُحاقٍّ في دِين الله بالباطل أي كل مُجادِلٍ ومُخاصم فتحُقُّه أي تَغْلِبه وتَخْصِمه ، من قولك حاقَقتُه أُحاقُّة حقِاقاً ومُحاقَّةً فَحَقَقتُه أحُقُّه أي غلبته وفَلَجْتُ عليه.))[٢] .

ومنه أيضاً ما نقله ابن منظور عن ابن الأنباري ، بشأن مادة (شهد) ، إذ قال: ((وقال ابن الأنباري : سمي الشهيد شهيداً لان الله وملائكته شُهودٌ له بالجنة ؛ وقيل : سُمُّوا شهداء لأنهم ممن يُسْتَشهَدُ يوم القيامة مع النبي ، ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ ، على الأمم الخالية . قال الله عز وجلَّ : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة – ١٤٣) ؛ قال أبو اسحق الزجاج : جاء في التفسير أن أمم الأنبياء تكَذِّبُ في الآخرة من أُرسِلَ إليهم فيجدون أنبياءَهم ، هذا فيمن جَحَدَ في الدنيا منهم أمْرَ الرسل ، فتشهَدُ أُمة محمد ، ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ ، بصدق الأنبياء ، وتشهد عليهم بتكذيبهم ، ويَشْهَدُ النبيُّ ، ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ ، لهذه بصدقهم))[٣] .

---

(١) لسان العرب (خزن) : ١٣٩/١٣ .

(٢) لسان العرب (حقق) : ٥٤/١٠ ، وينظر : معاني القرآن للفراء : ١٧٩/٣ .

(٣) لسان العرب (شهد) : ٢٤٢/٣ ، وينظر : معاني القرآن للفراء : ٨٣/١ .

ومن قبيل ذلك أيضاً ما أورده ابن منظور في معجمه حول مادة (غمم) إذ قال: ((وقد أغَمَّتِ السماءُ أي تغيرت . وحَبُّ الغَمام : البَرَد . وسحاب أغَمٌّ : لا فُرْجة فيه . وقال ابن عرفة في قوله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ (البقرة–٥٧) ؛ الغَمام الغيم الأبيض وإنما سُمي غماماً لأنه يَغمُّ السماء أي يسترها ، وسُمي الغمُّ غَمَّاً لاشتماله على القلب)) [١] .

نخلص فيما تقدم من أمثلة كيف استثمر المعجم الآيات القرآنية الكريمة في بيان دلالة الألفاظ وذكر علّة هذه الدلالة وسبب التسمية ، وصولاً إلى ضبط هذه الألفاظ وتثبيتها وتحديد دلالتها بدقّة .

وفي الختام تبرز جلية آثار القرآن الكريم في مليء دفتي المعجم العربي بالمعاني الجديدة والمبتكرة وتوسيع دلالات الألفاظ وتحقيق معناها وضبط بناها اللغوية وكيف اعتمدها – لسان العرب – مصدراً للسماع والقياس والتعليل . كل ذلك لإثبات صحة الألفاظ ومعرفة أصولها حفاظاً على العربية وسلامة ألفاظها وصحّة تراكيبها .

---

(١) لسان العرب (غمم) : ٤٤٤/١٢ .

الفصـــــل الثالـــــــث

– أثر السياقات اللغوية القرآنية في صياغة الدلالة – في المعجم

- أثر السياقات اللغوية القرآنية في صياغة الدلالة في المعجم :

توطئـة :

السياق هو : النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم . وقيل هو الأسلوب الذي ترد فيه اللفظة ، فتكتسب دلالتها من ذلك الأسلوب ، وقد ترد في سياق آخر فتكتسب دلالة أخرى(١) .

وهو كذلك دراسة الكلمة داخل التركيب أو التشكيل الذي ترد فيه ؛ إذ لا يظهر معنى الكلمة الحقيقي ، أو لا تتحدّد دلالتها إلا من خلال السياق بضروبه المختلفة(٢) .

ولاشك في أن عدداً من المفردات قد لا يتضح معناها بدقة في ضوء التفسير المعجمي لها ، لذا ((يظل تحديد معنى الكلام محتاجاً إلى مقاييس وأدوات أُخرى غير مجرد النظر إلى القاموس)) (٣) .

ذلك أنَّ المعنى المعجمي الذي يدور حول الكلمة المفردة متعدد ومحتمل ، وهو قابل للدخول في سياق معين ، ولا يحدد هذا المعنى إلا السياق الذي لا يقبل التعدد أو الاحتمال ((ففي كلِّ مرة تستعمل فيه الكلمة تكتسب معنىً محدداً مؤقتاً ، ويفرض السياق قيمة واحدة على الكلمة هي المعنى الذي تدلّ عليه في سياق معين دون آخر))(٤) .

---

(١) دور الكلمة في اللغة : ٥٤-٥٥ ، ينظر : منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين (بحث)، د. أحمد نصيف الجنابي : ص١٦١ .

(٢) علم الدلالة دراسة وتطبيقاً ، د. نور الهدى لوشن : ٩٥ .

(٣) علم اللغة : محمود السعران : ٢٩٠ ، والصواب (في المعجم) بدلاً من (القاموس) .

(٤) منهج البحث اللغوي ، د. علي زوين : ص٩٤ .

وقد كانت نظرية السياق واحدة من نتائج البحث الدلالي الحديث ، بيد أننا نلمس جذورها في كتب النقد العربية القديمة ، إذ كانت أهمية النص الهاجس الأول لدى كتابنا القدماء ولغوبيينا العرب[١] .

وفي إشارة إلى أهمية السياق يرى عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) أن الكلمة في ذاتها ليست جيدة ولا رديئة ، لكنها تحسن في موضع وتسوء في آخر ، إذ قال : ((إنَّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرَّدة ، ولا من حيث هي كلِم مفردة ، وأنّ الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها ، وما أشبه ذلك ، مما لا تعلُّق له بصريح اللفظ)) [٢] .

ويرى ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) أنَّ هناك دلالات إضافية تزاد بعد معاني الألفاظ وتركيبها ، وهي الدلالات المقامية ، إذ يقول : ((ويبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة عليه أحوال المتخاطبين أو الفاعلين وما يقتضيه حال الفعل وهو محتاج إلى الدلالة عليه ؛ لأنه من تمام الإفادة ، وإذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه)) [٣] .

أما الزركشي (ت ٧٩٤هـ) فيرى أن دلالة السياق ((ترشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وتنوع الدلالة ، وهو من أعظم القرائن الدالة عن مراد المتكلم)) [٤] .

وقد أولى المعنيون بالدراسات اللغوية الحديثة عناية خاصة بهذا البعد في الدلالة اللغوية ، ونظروا إلى نظرية السياق على أنّها حجر الأساس في علم المعنى، وإلى ذلك أشار ستيفن أولمان قائلاً : ((إنَّ نظرية السياق – إذا طبقت بحكمة – تمثل

---

(١) ينظر : علم الدلالة العربي ، فايز الداية : ص٣٤ .

(٢) دلائل الإعجاز : ص٤٦ .

(٣) المقدمة لأبن خلدون : ٧١٨/٢ ، وينظر : علم الدلالة دراسة وتطبيقاً : ص٩٧ .

(٤) البرهان في علوم القرآن : ٢٠٠/٢ .

حجر الأساس في علم المعنى)) [١] . وقسم من هؤلاء لا يتورع في المبالغة في هذا المفهوم ، بحيث يرى أنْ لا معنى للكلمة المفردة من غير أن تكون داخل السياق ، وفي هذا يقول راسل : ((الاستعمال يأتي أوّلاً وحينئذٍ يتقطّر المعنى)) [٢] .

وعلى الرغم من أنّه ((لا يمكن فهم أية كلمة على نحو تامٍّ ، بمعزل عن الكلمات الأخرى ذات الصلة بها ، والتي تحدد معناها)) [٣] .

ولكن هذا لا يمنع من القول : ((إنّ في كلِّ كلمة نواة صلبة من المعنى ، ثابتة – نسبياً – ويمكن تكييفها بالنص ضمن حدود معينة)) [٤] .

وبهذا لا نلغي المعنى الأساسيّ للكلمة المفردة ، ولا تقلل من أهمية السياق في إعطاء الكلمة أثرها على وفق نظمها بين الكلمات الأخرى .

ويمكن القول إنَّ مفهوم السياق يتفق مع مقولة المحدثين في أن معنى الكلمة لا يمكن معرفته وهي منعزلة بمفردها من غير أن نعرف موضعها في النص ، ذلك أن ((الواجهة الأخرى في المواقف اليومية التي نسأل فيها عن معنى الكلمات هي تلك التي يقال عنها عادة أنها تعتمد على النص ... وغالباً ما يستحيل إعطاء معنى الكلمة[٥] دون وضعها في نص)) [٦] .

فالكلمات تتحقق دلالاتها في السياق الذي ترد فيه ولا يمكننا الاعتماد على المعنى المعجمي (الحرفي) للكلمة ، ولا المعنى الحرفي للجملة بأكملها في بعض الاستعمالات ؛ لأنها ترتبط بالمقام الذي يقال فيه الكلام ، والذي يُحدّد بوساطة قرائن

---

(١) دور الكلمة في اللغة : ٥٩ .

(٢) علم الدلالة ، أحمد مختار عمر : ص٧٢ .

(٣) اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز ، ترجمة : عباس صادق ، مراجعة : د. يوئيل يوسف ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٧ : ص٨٣ .

(٤) منهج البحث اللغوي ، د. علي زوين : ص٩٤ .

(٥) هكذا ورد في النص وصوابه (من دون) .

(٦) علم الدلالة ، جون لاينز ، ترجمة : مجيد الماشطة ، وحليم حسن ، وكاظم حسين ، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٠م : ص٢٢-٢٣ .

مختلفة وهذا هو الذي عبّر عنه القدماء بمقتضى الحال وقولتهم المشهورة لكل مقام مقال[١] .

فالدلالة المعجمية للمفردة – إذن – لا تمثل إلا جانباً واحداً محدداً من دلالتها، ومن هنا فإن السياق اللغوي يحل إشكالات لغوية كثيرة تقف حائلاً دون فهم التركيب اللغوي[٢] . وبذلك فإنَّ معرفة السياق حماية للنصّ من الضياع ((وشرط أساسي للقراءة الصحيحة ، ولا يمكن أن نأخذ قراءة ما على أنها صحيحة إلا إذا كانت منطلقة من مبدأ السياق)) [٣] .

لأن فاعلية التواصل اللساني وأشكاله ووسائل تمييز قراءة من أخرى يحددها الواقع الاجتماعي والثقافي للعصر ، فالتغير الذي يطرأ على التواصل المجتمعي اللساني حاسمٌ تمام الحسم في تحديد المتغيرات الشكلية بخصوص خطاب الغير[٤] .

ولذلك كان من الواجب على المعجمي أن يلاحظ كل كلمة في سياقها كما ترد في الحديث أو النصّ المكتوب . بمعنى أننا يجب أن ندرسها في واقع عملي ، أي في الكلام ثم نستخلص من هذه الأحداث الواقعية العامل المشترك العام ، ونسجله على أنه المعنى للكلمة[٥] .

ولأنَّ القرآن الكريم كان إبلاغاً كاملاً كان لابدَّ له من أن يتحرى ما يؤثر في المتلقي ويستجلب كل المؤثرات اللفظية والاجتماعية والنفسية التي تعينه على هذا التأثير[٦] .

---

(١) علم الدلالة ، دراسة وتطبيقاً : ص٩٧ .

(٢) ينظر : اللغة والمجتمع (رأي ومنهج) : د. محمود السعران : ص١١ .

(٣) الخطيئة والتكفير ، عبد الله الغذامي : ص٧٠ ، وينظر : إعجاز القرآن في ضوء اللسان العربي المبين (أطروحة دكتوراه) ، حمزة فاضل يوسف : ص٣٠ .

(٤) ينظر : إعجاز القرآن في ضوء اللسان العربي المبين : ٣٠ .

(٥) ينظر : علم الدلالة ، أحمد مختار عمر : ص٧٢ .

(٦) ينظر : البحث الدلالي في تفسير الميزان : ص١٣٨-١٣٩ .

فالنظم القرآني نظم خاص ؛ لأنه يتيح إمكانات أكثر في الأداء والتعامل مع النصّ لما يتوافر عليه من عمق في البناء ، وقراءة في التركيب ، وأسرار لا تنقضي، وعجائب لا تنفذ .

ولذلك ذكر بعض علمائنا أنَّ ألفاظ القرآن صارت بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنها فوق اللغة ، فإنَّ أحداً من البلغاء لا تمتنع عليه متى أرادها ، ولكن لا تقع له بمثل ما جاء في القرآن الكريم[١] .

لذا كان في الأمر حاجة إلى التدبّر والتفكّر والتأمل في آي القرآن الكريم لما يحمله بين ألفاظه من وجوه دلالية كثيرة يظهرها التأويل والاستنباط . يقول الإمام جعفر الصادق ﴿ عليه السلام ﴾ (ت٩٨هـ) ((عن جابر قال : قال أبو عبد الله – عليه السلام – : يا جابر أن للقرآن بطناً ، وللبطن ظهراً ، ثم قال : يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال منه ، إن الآية لتنزل أولها في شيء وأوسطها في شيء ، وآخرها في شيء ، وهو كلام متصل يتصرف على وجوه)) [٢] .

أي أنّ النص القرآني لا يعطيك من ذاته كاملاً إلا إذا تضافرت جوانبه المختلفة في وحدة متكاملة توصل إلى فهم معانيه ومراده وهذا يحتاج إلى استيعاب دلالي من جهة وإلى فهم عميق بمقاصد القرآن الكريم من جهة أخرى[٣] .

نخلص إذن مما تمَّ عرضه إلى أن للسياق تأثيراً كبيراً في تحديد المفردات القرآنية وذلك لخصوص الاستخدام القرآني لعدد من الألفاظ ، ولاسيما أن النظم القرآني اكتسبت به بعض الألفاظ دلالات خاصة من معانيها العامة ، أو صار لبعضها دلالة جديدة غير معهودة سابقاً تطلّبها السياق القرآني أو الجوّ الديني العام.

---

(١) ينظر : تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة : ص٢١ .

(٢) كتاب التفسير ، محمد بن مسعود العياشي : ١١/١ ، وينظر : البحث الدلالي في تفسير الميزان : ص١٣٨ .

(٣) ينظر : البحث الدلالي في تفسير الميزان : ص١٣٨ .

ومن هنا لم يكن غريباً أن يكون النص القرآني في صدارة النصوص التي يستشهد بها المعجميون في تفسير معاني الألفاظ المحتملة للمعاني المتعددة والواردة في سياق الآيات القرآنية المباركة . وهذا ما فعله ابن منظور إذ استثمر النصّ القرآني المتضمّن للألفاظ اللغوية التي تتكشف معانيها من خلال سياقاتها التي وردت فيها ركيزةً من ركائز بناء معجمه (لسان العرب) لما له من دور في إثراء مادة المعجم وإغناء مادته اللفظية وصولاً إلى إغناء معاني هذه الألفاظ على مقتضى سياقاتها الواردة فيها . وبعض من مبتغى المعجم إظهار أكبر قدرٍ متاح من المعاني التي تخصُّ المفردات .

وأتخذ من تقسيمات السياق سبيلاً إلى تحقيق مبتغاه في إيراد معاني الألفاظ القرآنية من غير تطرق إلى هذه التقسيمات ؛ لأنها جاءت متأخرة عنه . وهذه التقسيمات للسياق هي :

١ - السياق اللفظي :

ويراد به في الاصطلاح نسق الكلام ، إذ ترتبط الكلمات في سياق بعلاقاتها بما قبلها وما بعدها[١] ، وهو أيضاً ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى[٢] ، من ألفاظ سواء ما تقدمته أو تأخرت عنه ، فمعظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أُخرى ، وإن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأُخرى التي تقع مجاورة لها[٣] .

ومن هنا فإن للسياق دوراً كبيراً في الكشف عن دلالة الألفاظ والتراكيب ، وهي في نسقها ونصّها ، أي في صورتها التشكيلية لا في صورتها المعجمية ، ذلك أن للألفاظ دلالتين بحسب ما انتهى إليه الدرس الدلالي الحديث :

---

(١) ينظر : مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان : ص٢٣٣ .

(٢) ينظر : المعاجم الغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، د. محمد أحمد أبو الفرج : ص١١٦ .

(٣) ينظر : علم الدلالة ، أحمد مختار عمر : ص٦٨ .

أحدهما : معجمية ، تقوم على دلالة اللفظة وهي خارج النص .

والأخرى : دلالة سياقية ، يعينها السياق ويحددها ، فيخلصها – غالباً – من اشتراك الدلالات الأخرى التي لها .

وعلى هذا فأن (السياق) يخلص اللفظة من ركامها الدلالي خلال التاريخ ، ينتهي بها إلى (وحدة دلالية) ، إن صح التعبير ، فكأنه بهذا ينقلها من مرحلة التطورية إلى مرحلة التزامنية . وفي هذا يقول فندريس : ((ويخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها ، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية)) [١] .

ولاشك في أننا نجد في القرآن الكريم ، أفضل ما نطمح إليه من صدق التمثيل ودقته للسياق بأنواعه المختلفة ، إذ إنَّ القرآن فضلاً عن كونه كتاب الشريعة والعقيدة في الإسلام ، فهو كذلك – كما سماه أمين الخولي[٢] بحق – : ((كتاب العربية الأكبر)) .

ولنضرب لذلك عدداً من الأمثلة منه : إن لفظة (الخير) من الألفاظ المشتركة، أو كما يسمى أيضاً : من (المشترك اللفظي) [٣] ، فقد وردت في لسان العرب بثلاث دلالات : أحداها عامة ، يراد به مطلق الخير ، وهو المقابل للشر[٤]، فيكون ((مرغوباً به بكل حال وعند كل أحد)) [٥] ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ (آل عمران – ١٠٤) . فالمراد بالخير هنا : كل ما فيه صلاح المجتمع من دون تحديده بشيء من الأشياء . ومثله (الخير) في قوله : ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾

---

(١) اللغة : ص٤٣ ، وينظر : منهج البحث في اللغة ، د. علي زوين : ص٩٤ .

(٢) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب : ص٣٠٢ ، دار المعرفة – القاهرة ، ط١ ، سنة ١٩٦١م.

(٣) سمي بذلك لاشتراك معنيين أو أكثر في لفظ واحد .

(٤) لسان العرب (خير) : ٤/٢٦٤ .

(٥) مفردات ألفاظ القرآن (خير) : ص١٦٣ .

(النساء–١٢٨) ، الذي علق عليه القرطبي (ت٦٧١هـ) بقوله : ((والخير لفظ عام يقتضي أن الصلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس ، ويزول به الخلاف خير على الإطلاق)) [١] .

وأما الدلالة الثانية فهي خاصة ، يراد بها خصوص المال[٢] ، من حيث إنَّ المال أحد مصاديق الخير ، وفرد من أفراده ، وهذا في القرآن منه كثير ، كالذي في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة–٢٧٢) ، والتنكير هنا يشعرنا بهذه الخصوصية .

وأما الدلالة الثالثة ، فهي أخص من الثانية ، إذ يراد بها خصوص مال الإرث ، وهو تركة الميت[٣] ، كما في الآية الكريمة : ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (البقرة – ١٨٠) .

لوحظ من خلال ما تقدم أن الدلالة الأولى العامة المعلقة للخير ، أُكتُسبت من دلالة اللفظة نفسها على العموم بدخول (أل) عليها ، وخلو التركيب مما يقيدها بشيء معين . وهذا هو الأصل في الدلالة التي تفيد (العموم) . أن تبقى على عمومها حتى يأتي المخصص الذي يخرج لفظها من عمومه إلى معنى محدد[٤] .

فأذا تأملنا في لفظة (الخير) في النصين : الثاني والثالث وجدناها قد خصصت بالمال – على درجتين – كما أسلفنا بقرينة سياقية لفظية ، هي في الأولى لفظة (أنفق) ، إذ إن الإنفاق يتعلق بالمال في العربية . وقد ورد في عدة سياقات مع المال ، كما في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة – ٢٦٢)، وقوله :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٤٠٦/٥ .

(٢) لسان العرب (خير) : ٢٦٥/٤ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) هذا هو الصحيح عند الأصوليين استصحاباً منهم للأصل .

﴿ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ (البقرة – ٢٦٤) ، ولذلك لم يفت القرطبي لمح القرينة السياقية الدالة على تحديد معنى الخير بالمال في الآية ، فقال : ((الخير في هذه الآية المال ؛ لأنه اقترن بذكر الإنفاق في الآية . فهذه القرينة تدل على أنه المال))[١] .

أما في النص الثالث ، فقد خصص (الخير) بمال الأرث بقرينتين سياقيتين، الأولى متقدمة ، وهي قوله تعالى قبل ذلك مباشرة في الآية نفسها : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ ، والثانية متأخرة ، وهي قوله تعالى بعده مباشرة أيضاً : ﴿ ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ ، ولا تكون الوصية لهما إلا عند الوفاة ، فاكتنف لفظة (الخير) – كما هو واضح – قرينتان سياقيتان لتخصصهما بمال الإرث وحده.

وبهذا نجد أن دلالة السياق حددت المراد من هذا اللفظ المشترك (الخير) في النص القرآني . وهذا يشعرنا بأهميتها في علم الدلالة العربي ، وخاصة في تحديد اللفظ المطلق والعام .

ومن أمثلة اللسان التي كان للسياق القرآني أثرٌ في تحديد دلالة الألفاظ فيها ما جاء في مادة (ذلل) ، إذ وردت في القرآن الكريم في مواضع متعددة وهي كالآتي :

قال تعالى : ﴿ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (الأعراف – ١٥٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ (الاسراء – ٢٤) . وقال تعالى: ﴿ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ (النحل – ٦٩) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٣٣٩/٣ .

ونرى أن في كل آية مباركة وردت لفظة (الذل) معنىً جديداً مَنَحه إيَّاه السياق الواردة فيه ففي الآية الأولى جاءت بمعنى : الخِسَّة والخضوع[١] ، وفي الثانية جاءت بمعنى : الرِّفْقُ والرحمة[٢] ، وفي الثالثة وردت بمعنى : ما وُطِّئ من الطريق وسهل[٣] .

لقد رأينا في ما تقدم أن السياق يفسر اللفظة القرآنية ، ويحدد دلالتها في نصوص القرآن ، وأنه كما يكون متقدماً على اللفظة التي يفسرها ، أو متأخراً عنها، يكون كذلك في مواضع مكتنفاً لها من جانبيها .

والملاحظ على ابن منظور من خلال معجمه – لسان العرب – أنه يؤكد أهمية دلالة اللفظة المقصودة ومناسبتها لسابقاتها ولاحقاتها ، وهو يرجح دلالة على أخرى لأنه يرى في الدلالة الراجحة أكثر ملاءمة للسياق ، وأدلَّ على المعنى ، وبعبارة أخرى ، فهو يجعل السياق مدخلاً لفهم المعنى ((لأنه يكشف عن نسق المعاني ويحدد أجزاءها ويربط جملة بجملة ، ثم يربط الجملتين أو الجمل بما قبلها..))[٤] . فابن منظور – كما هو واضح – يحاول أن يضع يده على جمالية النظم القرآني وسر كماله ، من خلال الوقوف على سياق الآيات وما تؤشر من أفكار ، وتؤمئ إليه من معان .

ومن الأمثلة الأخرى التي يمكن أن نستأنس بها حول أثر السياق في توجيه الدلالة وتنويعها ، ما أورده ابن منظور بشأن مادة (قضى) من معانٍ ودلالات مستشهداً على ذلك بالنصوص القرآنية المباركة ، فقد أورد لها عدة وجوه منها[٥]:

---

(١) لسان العرب (ذلل) : ٢٥٧/١١ ، وينظر : معاني القرآن للفرّاء : ١٠٩/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٧٢/٣ ، ١٩٢ .

(٢) المصدر السابق ، والصفحة نفسها .

(٣) المصدر السابق ، والصفحة نفسها .

(٤) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، محمد حسنين أبو موسى : ص٢٠٧ .

(٥) لسان العرب (قضى) : ١٨٦/١٥-١٨٩ ، وينظر : إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : للدامغاني: ٣٨٣-٣٨٥ .

وصَى : في قوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ (الإسراء – ٢٣) أخبر : في قوله تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ (الحجر – ٦٦) .

فرغ : في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ ﴾ (البقرة–٢٠٠).

فعل : في قوله تعالى : ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ (طه – ٧٢) .

نزل : في قوله تعالى : ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ ﴾ (فاطر – ٣٦) .

وجب : في قوله تعالى : ﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ (هود – ٤٤) .

تم : في قوله تعالى : ﴿ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ ﴾ (القصص – ٢٨) .

فصل : في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (يونس–٩٣) .

خلق : في قوله تعالى : ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ ﴾ (فصلت – ١٢) .

وعلى الرغم ممّا نلحظه من تفاوت الدلالات لهذه اللفظة في مواضع معينة وصرف بعضها إلى وجوه من المجاز فإن بعضها لا يمكن أن يسلك في هذا الباب من مثل دلالتها على الخلق وعلى الإتمام وعلى الإخبار وعلى الوصيّة .

والأمثلة على تعدد الوجوه لمفردات الألفاظ الكريم بحسب تعدّد السياقات الواردة فيها كثيرة ومتنوعة ، الأمر الذي كشف لنا الدور الخطير الذي يمثله السياق في توجيه المعنى وتقدير حقائق هذا الدور .

ويتضح هذا الفهم لأثر السياق من خلال ما أورده بشأن مادة (رأى) ، الواردة في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى

﴿ ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ (النور – ٤٣) ، إذ قال : ((فالمراد : ألم تعلم ؛ وإن كان هذا اللفظ مشتركاً بين الإدراك والعلم ؛ وإنَّما اختص هنا بالعلم دون الإدراك، لأنّ إضافة إزجاء السحاب وتأليفه وجميع ما ذكر في الآية إلى الله تعالى مما لا يُستفاد بالإدراك ، وإنما يُعلم بالأدلة))[١] .

فابن منظور – هنا – يؤكد أن السياق يخلص الألفاظ من اشتراك الدلالات وهذا هو الصحيح ، فالألفاظ المشتركة لا يمكن تحديد دلالتها ما لم تتشح بوشاح السياق .

والملاحظ أن القرآن الكريم استعمل في مواضع متعددة الفعل (رأى) بصيغة المضارع للتدليل على الرؤية الفكرية لا الحسية ، أو كما يعبر عنها بـ(الرؤية العقلية) ، كما في الآية السابقة كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾ (الفرقان – ٤٥) .

وجاء الفعل (رأى) بدلالته الحسية (الرؤية البصرية) كما في قوله تعالى : ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ (التكاثر : ٦–٧) .

فابن منظور يؤكد مجيء فعل الرؤية بمعنى العلم والإدراك ، وإنما اختص هنا بالعلم دون الإدراك ، لأنّ إزجاء السحاب وتأليفه وأحوال الرعد والبرق لا تدرك إنَّما تعرف ، وهذا يعني وجوب ملاءمة المعنى للسياق ، أي إنَّ معنى اللفظ يتحدد وفقاً للسياق اللغوي الذي يرد فيه اللفظ بحيث يكون معنى اللفظ جزءاً من معنى السياق ككل .

ولسنا هنا في هذه العجالة بقادرين على أن نبين كل ما يتعلق بأثر السياق وقيمته الدلالية في بيان معاني المفردات والتراكيب والتعابير . ولكننا نود أن نؤكد أن

---

(١) لسان العرب (رأي) : ٢٩٩/١٤ ، وينظر : الأشباه والنظائر ، مقاتل بن سليمان : ٢٣٦–٢٣٧ .

قدامى اللغويين العرب قد عنوا به عناية كبيرة جداً ، وأنهم سبقوا اللغويين المحدثين في اعتباره وأدراك قيمته ، بل أنهم عملوا ما هو جدير بأكبارهم ، إذ أغنوا (علم الدلالة) العربي ، بما يدل على براعتهم ودقة حسهم اللغوي ، فكان الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، وهو أديب وناقد لغوي ، يفرق بين طائفة من الألفاظ التي يظن ان بينها (ترادفاً تاماً) أو كما سماه جون لاينز[١] : (ترادفاً كلياً) ، من مثل (الجوع) و(المسغبة) ، ولا يراها الجاحظ تامة الدلالة ، بل يرى أن الجوع يرد في سياق العقاب ، أو الفقر المدقع والعجز الظاهر ، وليس كذلك السغب[٢] . وكذلك (المطر) و(الغيث) ، فالأول لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام ، والعامة وأكثر الخاصة – يقول الجاحظ – لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث[٣] .

ولعل الراغب الأصفهاني من أبرع اللغويين القدامى في توظيف السياق اللفظي بدقة وذكاء ، حتى إن الزركشي وصفه بأنه : ((يتصيد المعاني من السياق) . ومعجمه الشهير : (مفردات ألفاظ القرآن) يؤكد ذلك في كثير من المواضع .

٢ - سياق الحال :

ويراد به الأحوال والظروف والملابسات التي تصاحب النص وتحيط به ، أو قُل هو ((كل ما يحيط باللفظة من ظروف تتصل بالمكان أو المتكلم أو المخاطب ، في أثناء التفوه ، فتعطيها هذه الظروف دلالتها التي يولدها هذا النوع من السياق))[٤] ذلك أنّ ((المعنى المعجمي ليس كل شيء في إدراك معنى الكلام . فثمة عناصر غير

---

(١) اللغة والمعنى والسياق : ص٥٥ .

(٢) و(٢) : البيان والتبيين : ٢٠/١ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط٣ ، مطبعة السعادة ، القاهرة .

(٤) منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية ، (بحث) د. أحمد نصيف الجنابي : ١٦٢-١٦٣ .

لغوية ذات دخل كبير في تحديد المعنى ، بل هي جزء من أجزاء معنى الكلام من ملابسات وظروف ذات صلة)) [١] .

وقد يكون ما يصاحب اللفظ ويساعد على توضيحه ورود الكلمة أو اللفظة في استعمال معين ، وقد يكون ما يصاحب اللفظ من غير الكلام مفسراً للكلام[٢] .

وأول ما استعمله من المحدثين عالم المجتمعات البشرية (الأنثروبولوجي) : مالينو فسكي ، وقد أخذ منه اللغوي فيرث (سياق الحال) مطلقاً عليه اسم Context of stuation الذي ترجمه الباحثون العرب المعاصرون بـ(سياق الحال) و(الما جرى) و(المقام) و(الموقف) و(السياق الاجتماعي) [٣] .

وتجب الإشارة هنا إلى أنّ العلماء العرب القدامى من لغويين وبلاغيين ومفسرين قد تنبهوا على هذا النوع من الدلالة لكنهم اكتفوا في كثير من الأحيان بوصفه عن تسميته[٤] . ولعل سيبويه (ت ١٨٠هـ) أقدم من نبّه عليه ، فقد أشار إلى الفارق الدلالي بين قولين وحالين يقال فيهما : (القرطاسَ واللهِ) ، الأول يقوله شخص رأى رجلاً يسدِّدَ سهماً قِبَلَ القرطاسِ ، فيقول هذا الكلام ، ويقصد به : إنّ هذا الرجل يصيب القرطاس . والثاني يقوله بعد وقع السَّهم في القرطاس ، ويقصد: إنّه أصابَ القرطاس[٥] . وقد تنبّه الجاحظ (ت٢٥٥هـ) على هذا الشيء ، وعقد في كتابه البيان والتبيين مبحثاً عن سياق المقام[٦] .

---

(١) علم اللغة ، د. محمود السعران : ص٢٨٨ .

(٢) ينظر : المعاجم اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث ، د. محمد أحمد أبو الفرج : ص١١٦ .

(٣) علم اللغة ، د. محمود السعران : ص٣٣٩ .

(٤) ينظر : الدلالة في البنية العربية ، (بحث) د. كاصد الزيدي : ص١٢٦ .

(٥) ينظر : الكتاب : ٢٥٧/١ ، والخصائص ، ابن جني : ٣٦٠/٢ .

(٦) ينظر : البيان والتبيين : ١٣٦/١ .

وقد اقترنت الآيات القرآنية بدواع وأسباب في شأن نزولها . ويراد بأسباب النزول ((ما نزلت الآية أو الآيات متحدِّثة عنه أو مُبَيَّنةٌ لحكمه أيام وقوعه)) [١] . فسبب نزول الآية – إذن – يعدُ قرينة دلالية تحيط بالنص من الخارج ، يستعان بها في فهم المعنى وتوجيهه ، وهي ((طريق قوي في فهم معاني القرآن)) [٢] ويذهب بعض المفسرين إلى ((امتناع معرفة تفسير الآية ، وقصد سبيلها من دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها ..)) [٣] .

وتعدُّ أسباب النزول من القرائن الدلالية التي اعتمد عليها ابن منظور في بيانه لدلالة الألفاظ القرآنية . فهو حين يقف عند قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ (الحجرات – ١٤) نراه يفسر لفظة (الأعراب) الواردة في الآية المباركة اعتماداً على سبب نزول الآية الكريمة إذ قال : ((فهؤلاء قوم من بَوادي العرَبَ قدموا على النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – المدينة ، طمعاً في الصَّدقات ، لا رغبة في الإسلام ، فسماهم الله تعالى الأعراب ؛ ومثلهم الذين ذكرهم الله في سورة التوبة ، فقال : ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾ (التوبة – ٩٧))) [٤] .

وهكذا يتضح لنا أنّ الاكتفاء بظاهر اللفظ وما يحمله من دلالات بمعزل عن المقام قد لا يصل بنا إلى فهم النصوص فهماً صحيحاً ، ومن هنا كانت عناية علماء العربية بأسباب النزول للإحاطة بما يرافق النص القرآني الكريم من ظروف وأحداث كي يصل المفسر لآيات الله الكريمات إلى فهم صحيح . فهذه الأسباب قرائن للكشف

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ، الزرقاني : ٩٩ .

(٢) لباب النقول في أسباب النزول ، للسيوطي : ٥ .

(٣) أسباب النزول ، للواحدي : ص٤ .

(٤) لسان العرب (عرب) : ٥٨٦/١ ، وينظر : معاني القرآن للفراء : ٤٤٩/١ .

والتفسير ، إذ تتضافر مع القرائن الأُخرى ، أي إنّ ((القرآن وهو أسمى نص عربي يرصد القرائن الحالية التي تتمثل في أسباب النزول ، ومن القرائن المقالية التي تتمثل في تراكيب النص ، وفي الآيات التي تفسر آيات أُخرى ما يحول بين اللبس وسياقه الكريم ...)) [١] .

ومن سياق الحال ما يعرف بالسياق الاجتماعي ، ونعني به ظرف النص الاجتماعي أو الموقف الاجتماعي الذي يكتنف المقال في أثناء الحدث الكلامي ، فاللغة ظاهرة اجتماعية لا يمكن فصلها عن المجتمع والسياق الاجتماعي ، وهي نشاط اجتماعي من حيث إنّها استجابة ضرورية لحاجة الاتصال بين الناس جميعاً[٢].

وصاحب – لسان العرب – يعتمد هذا النوع من السياق في تفسيره للنص القرآني ، ويعدّه عنصراً دلالياً وقرينة لفهم الكلام . فهو حين يقف عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ ﴾ (يوسف – ٢٣) .

فقد حمل السياق الاجتماعي أو الحالي كثيراً من العلماء على أن يفسروا (الربّ) بعزيز مصر بدلاً عن إرجاعه في التأويل الآخر إلى الله سبحانه . والمعنى: إنَّ زوجك مالكي أحسن تربيتي وإكرامي فلا أخونه[٣] . وإنما لم يقل (إنه سيدي) ، وقال (إنه ربي) لأنه لم يشأ أن يقرّ له بالسيادة عليه ، وإن أقرّ له بالتربية ، لما بينهما من الفارق في الدلالة الاجتماعية .

فكأن هؤلاء المفسرين الذين حملوا (الربّ) على عزيز مصر ، إنّما حملوه على معنى ملكيته ليوسف ؛ لما تقرّر في الواقع من ذلك ، فكان فهمهم له وتأويلهم إياه من

---

(١) اللغة والنقد الأدبي ، (بحث) د. تمام حسان : ص١٢٢ .

(٢) ينظر : المدخل إلى علم اللغة : د. رمضان عبد التواب : ص١٢٨ .

(٣) لسان العرب (ربب) : ٤٠٠/١ ، وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٨٢/٣ .

ملحظ السياق الاجتماعي والحالي ليُوسف عليه السلام . ولهذا قال الطبرسي منبهاً على ذلك : ((وإنّما سمّاه رُبُّاً لما كان ثبت عليه من الرق في الظاهر)) [١] .

على حين أن الذين حملوا اللفظ على البارئ سبحانه ، لم يبنوه على هذا السياق ، بل بنوه على العقل وما يتصل بالموضوع من العقائد الدينية التي جعلتهم لا يرون هذا الثناء من لدّن يوسف عليه السلام حقيقاً بالعزيز ، وإنما يرونه يليق بالله وحده من حيث إنه (ربّ العالمين) ورب يوسف الذي أنقذه من الهلاك في البئر ، وكفله هذا الرجل (العزيز) الذي آواه وأحسن مثواه . وهنا تلتقي القرينتان (الحالية) و(العقلية) في فهم هذا التركيب : (إنه ربي) ، في أن كلاً منهما خارجة عن النص ، وان اختلفتا في الماهية .

وبالمثل حمل السياق الاجتماعي أو الحالي ابن منظور على أن يفسر لفظة (راعنا) في قوله تعالى : ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا ﴾ (البقرة–١٠٤) ، إذ قال : ((هي كلمة كانوا يذهبون بها إلى سَبِّ النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– ، اشتَقُّوه من الرُّعونة ؛ قال ثعلب : إنّما نهى الله تعالى عن ذلك ؛ لأن اليهود كانت تقول للنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – راعنا أو راعونا ، وهو من كلامهم سَبٌّ، فأنزل الله تعالى : لا تقولوا راعنا وقولوا مكانها انْظرنا ؛ قال ابن سيده : وعندي أن في لغة اليهود راعُونا على هذه الصيغة ، يريدون الرُّعُونة أو الأرعن))[٢] .

لوحظ فيما تقدم استثمار المعجم العربي دلالة السياق الاجتماعي الذي فُسِّرت به الآية المباركة في تحديد دلالة اللفظة ومن ثم في تنويع المادة اللغوية .

ويمكن ان نتبين بعض مظاهر عناية أصحاب المعجمات بقيمة المقام ، وتأثير ذلك على دلالات الألفاظ ، فقد جاء في – لسان العرب – بشأن مادة (أسف) قال ابن منظور : ((الأسَفُ : الحُزنُ في حال . والغضب في حال ؛ فإذا جاءك أمرٌ ممّن هو دونك فأنتَ أسِفٌ ، أي : غضبان ، وإذا جاءك ممّن فوقك ، أو من مثلك فأنت أسِفٌ،

---

(١) مجمع البيان : ٣٩/١٢ .

(٢) لسان العرب (رعن) : ١٨٢/١٣ ، وينظر : معاني القرآن للفرّاء : ٦٩/١–٧٠ .

أي : حزين ، فقوله–جلَّ وعزَّ : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ (الزخرف – ٥٥) ؛ أي أغضبونا .))[١] .

فابن منظور – هنا – يصرف دلالة اللفظة (آسفونا) عن معنى الحزن إلى معنى الغضب ، ويتخذ من قرينة المقام دليلاً يعضد به رأيه .

وفي هذا تأكيد لأهمية سياقات الخطاب ومقامات المتخاطبين في تحديد دلالات الألفاظ اللغوية لأن لكل لفظ معنى أساسيّاً هو المعنى الذي تمَّ التواضع عليه، أما إذا دخل اللفظ في تركيب معين فسيتولد له معنى آخر غير معناه الأساسي ، هو معنى سياقي ، لأنَّ في الألفاظ المركبة دلالة مستنبطة هي غير دلالتها المجددة ، وأنَّ آلتقاط المعنى القرآني محتاج إلى نظر في السياق ، وتأمل في أعطافه . وهذا يؤكد بوضوح تضافر المواقف (المقامات) والنصوص (المقالات) في تحديد الدلالة وفحوى النص . فالنص الذي يفيد معنى ما في سياق معيّن لا يفيد المعنى نفسه في سياق آخر .

---

(١) لسان العرب (أسف) : ٥/٩ .

الفصـــــل الرابـــــــــع

– أثر القرآن الكريم في إغناء الثروة اللغوية –

- أثر القرآن الكريم في إغناء الثروة اللغوية في المعجم العربي:

القرآن الكريم أكسب اللغة العربية ثروة هائلة من المعاني التي جاء بها ولم يكن للعرب معرفة بها في حياتهم الجاهلية . وقد عبر عن هذه المعاني بالألفاظ المتداولة بينهم ، لذا فقد حملها من المعاني ما لم تكن تحتمله من قبل ، وذلك بنقل بعض الكلمات من معناها إلى معنى آخر جديد ذي صلة بالمعنى الأصلي ، أو بإضافة معان جديدة إلى بعض آخر من الكلمات مع بقاء المعنى الأصلي مستعملاً فيما وضع له . أو بإيجاد تراكيب جديدة تتحمل من المعاني ما لا تتحمله ألفاظ بها متفرقة ، إقتضتها طبيعة الحياة الجديدة .

وإذا كان تطور معاني المفردات ودلالتها ظاهرة مستمرة في جميع اللغات، كما يقرر علم اللغة الحديث[١] ، لأن اللغات تتبع الأمم في رقيها وانحطاطها ، وتطورها وتغيرها ، فكل تطور في حياة الأمة يترك أثراً واضحاً في لغتها ، فإن ما أحدثه القرآن الكريم من تطور في دلالة الألفاظ العربية منقطع النظير ، ذلك أنه قد غير المفاهيم العربية الجاهلية ، وقلب نظام حياتهم رأساً على عقب ، واستبدله بما جاء به من نظام متكامل ، شامل لجميع نواحي الحياة ، بعد أن فتح أعينهم على عالم جديد مشرق هو عالم الألوهية ومقتضى شؤونها الأمر الذي تتيه في تصوره العقول. وتكثر حوله الأوهام والظنون دون أن تقف على شيء من حقيقته ، بل هو إلى الجحود والإنكار أقرب إلى العقول المحجوبة عن نور الله ، نظراً لرفعة مكانة وسمو معانيه ودقة أحكامه ، والذي بغير تفهمه والعيش في رحابه لا يكون للحياة معنى ولا للإنسان قيمة . لذلك فقد جاء القرآن بالصورة الحقة لهذا العالم البعيد عن

---

(١) ينظر : دلالة الألفاظ ، إبراهيم أنيس : ص١٢٣ ، وفقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك : ص٢٠٧ .

مرأى العين والحواس الأخرى ، وكان أكثر ما عمل على تطوير معاني الألفاظ في الألفاظ التي استعملها في تصوير حقيقة هذا العالم وما يتصل به .

ولم يكن غريباً أن يصبح القرآن الكريم مصدراً من أهم مصادر إغناء الثروة اللفظية واللغوية في المعجم العربي وذلك لما أكسبه القرآن من دلالات على الكلام العربي مما أغنى مادة اللغة بصورة عامة ، ومادة المعجم وبناءه بصورة خاصة ، يقول الدكتور عدنان محمد زرزور : ((... كما أثر القرآن في معاني اللغة من حيث ما جاء به من اشتراع جديد ، كان له أثر في ظهور معانٍ جديدةٍ فقد تناول أيضاً معانيهم التي كانوا يتعاورونها بينهم فتصرف فيها وهذّبها ، وزاد بها أو نقص منها ووضعها مواضع تناسبها ، بحيث أصبحت تلائم كل الأذواق في كل العصور ، بعد أن كان فيها ما لا يسمح لها بالبقاء إلا في عصر جاهلي له ذوق خاص)) [١] .

وفي محاولتنا التعرف على المعاني الجديدة التي جاء بها القرآن الكريم مستعملاً لغة العرب نتيجة تطور معاني المفردات وتطور التركيب اللغوي سنتحدث عن هذه المعاني في مجالين :

الأول :- مجال الألفاظ المفردة .

والثاني :- مجال التركيب والذي سنخصه بالبحث هنا هو تلك التراكيب التي جاء بها القرآن الكريم ، وكان أسبق من نطق بها ، وان كانت مفرداتها من الشهرة ما لا يخفى أمرها على أحد فإن هذا الاستعمال ذو أثر كبير في تطور اللغة وحيويتها.

أما الألفاظ المفردة التي طور القرآن الكريم دلالتها فهي من الكثرة بحيث لا يسهل حصرها وتحديدها ، خصوصاً تلك المفردات التي أكسبها وجودها في سياق الكلام ودقة تركيبها مع أخوتها من الدلالة على المعاني التي قد لا تفيدها في حالة

---

(١) مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه : ص٣٧ .

الأفراد ، وإن كان الكثير من الكلمات الأخرى يتضح أمر تطوير القرآن الكريم لدلالتها . لأنه نقلها إلى معان جديدة لم تكن معروفة لديهم من قبل .

وهذا النوع الواضح أمره هو الذي نوّه بذكره كثير من العلماء عند حديثهم عن الألفاظ الإسلامية ، التي جاء بها القرآن الكريم ، أوجَدّتْ بعده وكان هو الدافع وراء وجودها .

ولعل أشهر من بحث في هذا الموضوع في كتاب متخصص هو أبو حاتم الرازي (ت ٣٢٢هـ) في كتابه (الزينة في الكلمات الإسلامية العربية) ، فقد استوعب في كتابه كثيراً من الكلمات الإسلامية التي جاء بها القرآن الكريم مغيراً في دلالتها ، أو نطق بها النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – كذلك ، أو الكلمات التي وضعها الفقهاء واستعملها المسلمون وهو في كتابه هذا يفسر معاني الكلمات وما طرأ عليها من تطور دلالي بين الجاهلية والإسلام مستشهداً بالقرآن والحديث والشعر ، وإن كان في بعض الأحيان يقتصر على تفسير الكلمة تفسيراً لغوياً لا نرى فيه أثراً لتغير المعنى .

وفي معرض حديثه عن الألفاظ الإسلامية لم ينس أن يذكر أمثلة من التراكيب التي جاء بها القرآن ، وسنّها النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ، فجرت على اللسان حتى أشتهر أمرها بعد أن لم يكن لها وجود في لغة العرب قبل نزول القرآن، بعد أن اقتضى وجودها ظهور الإسلام .

فمن هذه التراكيب التي شرعها الإسلام ، ولم تكن معروفة عند العرب وغيرهم من الأمم : قولهم : بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ... وتوكلت على الله ، والسلام عليكم ، وما شاء الله كان ... وبعد أن أوردها قال : ((فهذه الكلمات كلها ظهرت في الإسلام على لسان محمد – صلى الله عليه وآله وسلم

– بلسان عربي مبين ، ولم تكن سائر الأمم على هذا النظم العجيب والاختصار الحسن ، فلما وردت عليهم إضطروا إلى قبولها وتدوينها والإقرار بفضلها)) [١] .

ثم توالت عناية علماء اللغة ببيان الألفاظ الإسلامية وشرح معانيها وتطور دلالتها وإن لم تتصف أبحاثهم فيها بالشمول لجميعها . بل اكتفوا بالبحث في قسم منها مما هو بين أمره فيما سنّه الإسلام من الشرائع والأحكام ، أو جاء به كأوصاف للطائعين والعاصين ، المنقادين لأحكامه أو الناكبين عنها ، وغالباً ما يكتفون بعقد باب خاص في كتبهم للتنبيه على هذه الألفاظ كما فعل ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) في كتابه ((الصاحبي في فقه اللغة)) والسيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابه ((المزهر في علوم اللغة وأنواعها))، وغيرها كثير خصوصاً من المحدثين في أبحاثهم وكتبهم في علم اللغة وفقهها .

وأغلب المتحدثين عن الألفاظ الإسلامية والباحثين في دلالة الألفاظ وتطورها على وجه الخصوص كثيراً ما ينبهون على الألفاظ العربية التي كان الإسلام سبباً في هجرها لكراهيته للبعض منها والاستغناء عن البعض الآخر التي لم تعد إليها حاجة لإبطال ما كانت تدل عليه . وهذا أثر في تهذيب اللغة لا يستهان به . من ذلك ما ذكره السيوطي في المزهر فقال : ((ومن الأسماء التي كانت فزالت بزوال معانيها قولهم : المرباع[٢] ، والنشيطة[٣] ، والفضول ... ومما ترك أيضاً : الاتاوة، والمكس ، والحلون ، وكذلك قولهم : أنعم صباحاً ، وأنعم ظلاماً ، وقولهم للملك : أبيت اللعن . وترك أيضاً قول المملوك لمالكه ربي ... وترك أيضاً تسمية من لم يحج صرورة لقوله – صلى الله عليه وآله وسلم – ﴿لا صرورة في الإسلام﴾))[٤] .

---

(١) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية ، أبو حاتم الرازي ، ج١ / ص١٥٠-١٥٢ .

(٢) المرباع : هو ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية .

(٣) النشيطة : هي كل ما أصابه الرئيس قبل أن يصير إلى بيضة القوم .

(٤) المزهر في علوم اللغة للسيوطي ، ج١ : ص٢٩٨ .

ومما خصه بعض العلماء بالبحث وهو من صميم الألفاظ ذات الدلالة الإسلامية أسماء الله الحسنى فقد أفرد فيها بعض العلماء كالغزالي (ت ٥٠٥هـ) وغيره كتباً وضحوا فيها دلالة اللفظة اللغوية ودلالته الإسلامية .

والذي سنقتصر عليه في بحثنا هو التطور الدلالي في الألفاظ القرآنية حتى نتمكن من حصرها في أنواع نبين في كل نوع مدى التطور الذي أحدثه القرآن في دلالة الألفاظ اللغوية التي استعملها بتحليل معاني بعض الألفاظ من كل نوع ، كنماذج نقف فيها على المعاني الأصلية في الوضع اللغوي والمعاني الجديدة التي تحملها اللفظ بعض استعمال القرآن له .

وسنحاول حصر ما أمكن من الألفاظ القرآنية ذات الدلالة المتطورة في الأنواع الآتية :

أولاً : أسماء الله وصفاته :

فنظراً لعدم معرفة العرب وجهلهم بما يجب لله ما يستحيل أو يجوز في حقه تعالى ، فقد جاء القرآن بأسماء ، وصفات لله تعالى ، وضح من خلالها كل أنواع الكمالات التي يتصف بها الله جل علاه ، ونزهه عن جميع نواحي النقص التي لا تليق بجانبه الكريم . لذا فقد جاءت أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم تحمل بين جوانبها من هذه المعاني التي لم يكن للعرب عهد بها ، ونلمح تطور الدلالة في هذه الأسماء بكل يسر وسهولة ضرورة أن الكثير منها بمعانيها المتداولة بين العرب تتنافى مع صفات الكمال الواجبة لله ، فإنها وإن جازت نسبتها إلى أحد من أفراد البشر ، إلا أنه لا يجوز أن تنسب إلى الله تعالى بمعانيها المتعارف عليها عندهم ، لأنه سبحانه متعال عن أوصاف البشرية منزه عنها ، إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وأسماء الله الحسنى التي جاءت في القرآن الكريم كثيرة معروفة ، ليس في الإمكان بيان تطور دلالة كل إسم منها في مثل هذا المبحث القصير ، ولذلك سأكتفي بإيراد أمثلة منها يتضح فيها القصد الذي أردناه .

ومن أسمائه الحسنى : **الرحمن الرحيم** .

وهما إسمان مشتقان من الرحمة ، ومعناها في اللغة الرقة والتعطف والرحيم: فَعِيلٌ بمعنى فاعلٍ كما قالوا سَمِيعٌ بمعنى سامِع وقديرٌ بمعنى قادر ، والرحمة في بني آدم عند العرب هي رقة القلب وعطفه(١) .

فهي بهذه الدلالة من الكيفيات التابعة للمزاج ، المستحيل إطلاقها على الله سبحانه وتعالى(٢) . ولذا فقد تطورت دلالتها في القرآن إلى الكمال المطلق الذي هو صفة خاصة بالله تعالى لا يشترك فيها معه غيره .

فالرحمة التي هي صفة لله تامة وعامة ، أما الرحمة الموصوف بها أحد أفراد البشر فهي محدودة ناقصة .

فالرحمن والرحيم يعنيان في جانب الله التفضل بالخير على المحتاجين المستحق منهم له ، وغير المستحق مع القدرة التامة على إيصاله لهم ، وعدم وجود ما يعترض سبيلها عند تحقق الإرادة ، وتفضل الله على عباده بالخير عام يشمل الدنيا والآخرة .

أما التفضل من جانب البشر فهو محدود لأنه لا يملك القدرة على رحمة جميع العباد في الدنيا فضلاً عن الآخرة ، وناقص لأنه قد يرق قلبه على أحد العباد ويريد رحمته من دون أن يقدر عليها .

وقد فرقوا بين الرحمن والرحيم بأن الأول أخص من الثاني لأنه تجوز الشركة فيه بين الخالق والمخلوق ، ولذلك لا يسمى به غير الله ، بخلاف الثاني فقد يطلق على غير الله ، وإن كان إطلاقه بمعنى هو مخالف لما يراد به عند إطلاقه على الله سبحانه وتعالى .

---

(١) ينظر : لسان العرب (رحم) : ١٢/٢٣٠-٢٣١ .

(٢) ينظر : تفسير روح المعاني : الآلوسي ، ج١ : ص٥٩ .

قال أبو حاتم الرازي : ((فأما الرحمن فهو الله عزّ وجلّ لا يشركه فيه مخلوق ، من ذلك قوله عز وجل : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (الإسراء – ١١٠) ، وإنّما انفصل هذا الاسم من ذلك أعنى الرحمن من الرحيم بتوحد هذا ، والإشتراك في ذلك ، على تباين المعنيين ؛ لأن الرحمة من الله عز وجل إنعام وإحسان وتفضل ، ومن الآدميين رقة وتعطف)) [١] .

وقالوا : أن الرحمن أبلغ من الرحيم لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى، فتؤخذ تارة باعتبار الكمية وأخرى باعتبار الكيفية ، فعلى الأولى قيل : يا رحمن الدنيا ؛ لأنه يعم المؤمن والكافر ، ورحيم الآخرة لأنه يخص المؤمن ، وعلى الثاني قيل : يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ، لأن النعم الأخروية كلها جسام وأما النعم الدنيوية فقليلة وحقيرة[٢] .

قال الغزالي : ((من الحري أن يكون المفهوم من الرحمن نوعاً من الرحمة هي أبعد من مقدورات العباد ، وهي ما يتعلق بالسعادة الأخروية فالرحمن هو العطوف على العباد بالإيجاد أولاً ، وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السعادة ثانياً ، والإسعاد في الآخرة ثالثاً ، والإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم رابعاً)) [٣] .

– الشكور :–

---

(١) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية ، ج٢/٢٣ .

(٢) روح المعاني : ج١/٥٩ ، الكشاف للزمخشري : ج١/٤١ .

(٣) المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى : ص٥١ .

والشكور من الأسماء التي طور القرآن دلالتها حتى جاز إتصاف الله بها وإلا فإن ما تدل عليه في لغة العرب لا يجوز أن ينسب إلى الله تعالى .

وهذه الكلمة من أبنية المبالغة مشتقة من الشكر وهو في اللغة العرفان بالإحسان ونشره وكذلك الشكور أيضاً . ورجل شكور : كثير الشكر وفي التنزيل : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (الإسراء – ٣) والشكور من عباد الله هو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وإدائه ما شرع له من عبادته ... والشكور من صفات الله جل اسمه معناه أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء . وشكره لعباده مغفرته لهم(١) .

قال الغزالي : الشكور هو الذي يجازي يسير الطاعات كثير الدرجات ، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعيماً في الآخرة غير محدود .

ومن جازى الحسنة بأضعافها يقال إنه شكر تلك الحسنة . ومن أثنى على المحسن أيضاً يقال إنه شكره ، فإذا نظرت إلى معنى الزيادة في المجازاة لم يكن الشكور المطلق إلا الله تعالى ، لأن زياداته في المجازاة غير محصورة ولا محدودة، فإن نعيم الجنة لا آخر له والله تعالى يقول : ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ (الحاقة – ٢٤) .

وإن نظرت إلى معنى الثناء فثناء كل مثن على غيره ، والرب تعالى إذا أثنى على أعمال عباده فقد أثنى على فعل نفسه لأن أعمالهم من خلقه ، فإن كل الذي أعطى فأثنى شكور ، فالذي أعطى وأثنى على المعطي فهو أحق بأن يكون شكوراً فثناء الله تعالى على عباده كقوله : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا

---

(١) ينظر : لسان العرب (شكر) : ٤/٤٢٣-٤٢٤ .

﴿ وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ (الأحزاب–٣٥) ، وكقوله : ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (ص–٣٠) ، وما يجري مجراه وكل ذلك عطية منه . والعبد يتصور أن يكون شاكراً في حق عبد آخر . مرة بالثناء عليه بإحسانه إليه ، وأخرى بمجازاته أكثر مما صنعه إليه وذلك من الخصال الحميدة .

وأما شكره لله فلا يكون إلا بنوع من المجاز والتوسع فإنه إن أثنى فثناؤه قاصر لأنه لا يحصى ثناء عليه ، وأن أطاع فطاعته نعمة أخرى من الله تعالى عليه بل عين شكره نعمة أخرى وراء النعم المشكورة وإنما أحسن وجوه الشكر لنعم الله تعالى أن لا يستعملها في معاصيه بل في طاعته ، وذلك أيضاً بتوفيق الله وتيسيره في كون العبد شاكراً لربه[١] .

ونكتفي بهذا القدر من الأمثلة لهذا النوع من الأسماء التي طور القرآن دلالتها، وأضاف إليها من المعاني ما لم تكن تخطر على بال أحد من العرب في جاهليتهم .

ثانياً : وننتقل إلى نوع آخر من الألفاظ القرآنية التي نقلت من اللغة إلى معان أخرى لم تكن معروفة وجعل لها القرآن دلالة جديدة واضحة المعالم . وهي الألفاظ ذات الدلالة على الإسلام وعباداته وما يتصل بها . وهي كثيرة جداً من ذلك :

أ- أسماء الإسلام نفسه :

فالإسلام في اللغة الإنقياد[٢] والإسلام الدخول في السلم ، وهو أن يسلم كل واحد منهما أن يناله ألم صاحبه ، ومصدر أسلمت الشيء إلى فلان إذا أخرجته له[٣].

أما في القرآن فقد أصبح عَلَماً على هذا الدين الذي بعث به الله خاتم الأنبياء والمرسلين ، ودلالته في الشرع على نوعين لم يعهدها العرب قبل الإسلام .

---

(١) المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى : ص٩٧–٩٨ .

(٢) ينظر : لسان العرب (سلم) : ٢٩٣/١٢ .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الاصفهاني : ٤٢٣ .

أحدهما : أن الإسلام دون الإيمان وهو الاعتراف باللسان وبه يحقن الدم حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل وعليه قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ (الحجرات – ١٤) .

والثاني : أنه فوق الإيمان وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد القلب ووفاء بالفعل واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر ، كما ذكر عن إبراهيم (عليه السلام) في قوله: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة–١٣١) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1] (آل عمران–١٩) .

فالواضح ان هذه الكلمة بعد ان كانت عائمة قد أصبحت ذات واضحة المعالم لها شخصيتها البارزة ذات الصفات المميزة والأركان المعروفة .

ب- *الألفاظ التي جاء بها القرآن الكريم* دالة على أسماء العبادات التي شرعها الله ومن هذه العبادات التي شرعها الإسلام وكان لها أثر في تطور الألفاظ العربية التي أطلقت عليها : الصوم والزكاة والحج .

فالصوم عند العرب معناه الإمساك عن الشيء والترك له مطعماً كان أو كلاماً أو مشياً ، ولذلك قيل للفرس الممسك عن السير أو العلف صائماً .

قال الشاعر : **خيل صيام وأخرى غير صائمة** .

وقيل للريح الراكدة صوم ، ولاستواء النهار صوم ، تصوراً لوقوف الشمس في كبد السماء ولذلك قيل قام قائم الظهيرة . ومصام الفرس موقفه .

---

(١) **المفردات : ص٤٢٣** .

والصوم شجر لا ورق له كريه المنظر جداً ، يقال لثمره رؤوس الشياطين ويعني بالشياطين الحيات ، وأكثرُ منابِته بلادُ بني شبابة وعليه يقال صام الرجل : إذا تظلل بالصوم(١) .

وقد ورد في القرآن لترك الكلام ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ (مريم-٢٦) .

وفي غير هذه الآية لترك الشهوة كلها طعاماً أو شراباً أو غيرهما . وهو بهذا علم على عبادة مخصوصة هي ركن من أركان الإسلام لها وقتها وكيفيتها وشروطها لم تكن معروفة بهذه الدلالة قبل نزول القرآن . ويلحق بالصوم ألفاظ ذات دلالة إسلامية كالاعتكاف ، وصدقة الفطر ، والكفارة وما إليها .

أمّا الزكاة : فأصلها في اللغة النماء والزيادة ، يقال : زكا يَزْكو زُكُوّاً ، وكل شيء يزداد وينمو فهو يزكو زكاء ، وتطلق أيضاً على الطهارة والبركة والمدح .

والزكاء : ما أخرجه الله من الثمر ، وأرض زكية طيبة سمينة . والزكاة : صفوة الشيء ، والزَّكا ، مقصور : الشَّفْعُ من العدد(٢) .

وقد ورد في القرآن بمعنى الطهر والصلاح في قوله تعالى : ﴿ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ (الكهف-٨١) .

ولم تأت مَعرفة إلا للدلالة على إخراج القدر المعروف من المال صدقة وهي بهذه الدلالة ركن من أركان الإسلام لم تستعمل بهذه الدلالة قبل القرآن .

وهي من الألفاظ التي نقلها القرآن إلى معانٍ جديدة فيها وجه شبه بالمعنى الأصلي . فتسمية القدر الذي يخرجه الإنسان من ماله بالزكاة لما يكون فيه من رجاء

---

(١) ينظر : لسان العرب (صوم) : ١٢/٣٥٠-٣٥٢ . ومفردات ألفاظ القرآن : ص٥٠٠ .

(٢) لسان العرب (زكا) : ١٤/٣٥٨-٣٥٩ . وينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٣٨٠-٣٨١ .

البركة أو لتزكية النفس أي تنميتها بالخيرات والبركات . وهذان المعنيان موجودان في ضمن دلالة الزكاة على هذا الركن من أركان الإسلام الخمسة .

والحج : أصله في اللغة القصد : يقال حَجَّ إلينا فلانٌ أي قَدِمَ ؛ وحَجَّه يحُجُّه حَجّاً : قصده ، ورجلٌ محجوجٌ أي مقصود ، وقد حَجَّ بنو فلان فلاناً إذا أطالوا الاختلاف إليه ؛ قال المخبل السعدي :

وأشهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كثِيرةً يَحُجُّونَ سِبَّ الزَّبرِقانِ المُزَعْفَرا(١)

أي يَقصِدُونه ويزورونه . قال ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) : يقول يُكْثِرونَ الاختلاف إليه(٢).

ثم خص في الشعر على قصد بيت الله تعالى إقامة للنسك فقيل الحج والحُجُّ فالحَجُّ مصدر والحِجُّ إسم .

ومن الأسماء الإسلامية الملحقة به يوم الحج الأكبر وهو يوم النحر ويوم عرفة ، وروي العمرة : الحجُّ الأصغر(٣) .

ومن ذلك الهدي ، والفدية ، والتلبية ، والرمك ، والاستلام ، والإحرام ، والتحلل ، إلى غير ذلك من الألفاظ التي أصبحت ذات دلالة على ما شرعه الله وسنه رسوله مما لم يكن للعرب عهد به في جاهليتهم .

ثالثاً : الألفاظ ذات الدلالة على الصفات الدينية للأشخاص ، نحو : المؤمن ، التقي ، المهتدي ، الشهيد ، المحسن ، القانت ، الخاشع ، المسلم ، الثواب، المجاهد، المقرب ، الولي ، الابرار ، أهل اليمين ، أهل الشمال ، الكافر ، الفاسق ، المنافق ،

---

(١) هكذا وردت في لسان العرب : والصواب (المعصفرا) ، والبيت في المجمل : ٢٢١/١ ، وأساس البلاغة .

(٢) لسان العرب (حجج) : ٢٢٦/٢ ، وينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٢١٨-٢١٩ .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن : ص٢١٩ .

الضال ، الملحد ، الفاجر ، والفجار ، الظالم ، السفهاء ، المرتد، العاصي ، الملعون، المغضوب عليهم ، الضالون .

ومن قبيل هذه الألفاظ شيء كثير يصعب حصره ، وكل هذه الألفاظ وغيرها قد أصبحت في الإسلام واضحة المعالم ألبسها القرآن الشخصية التي تمثل دلالتها بعد أن تغيرت الموازين التي كانوا بها يزنون الأشخاص ، فيرفعون ويضعون ويمجدون ويحقّرون ، حسب عرفهم ومفاهيمهم وأصبح الحكم لله ولرسوله فساوى بين الناس جميعاً ولم يميز أحداً على الآخر إلا بعمله وتقواه وصدقه وإخلاصه لله ولرسوله .

وهذا ما لم يألفوه فلا شك أن تغيرت القيم والصفات ، واختفت كل آثار الجاهلية المقيتة من نفوس المهتدين ، وتسابقوا في طاعة ربهم ، فأحسوا بحياة يختلف معناها كل الاختلاف عن تلك الحياة فكان ضرورياً أن تحدث مثل هذه الحياة السامية معانٍ جديدة لألفاظ اللغة حتى تصلح للتعبير عن هذه الحياة ، فارتقت معاني هذه الألفاظ رقياً يتناسب مع الحياة التي اقتضتها طبيعة الدين الإسلامي الجديد وصولاً إلى مرضاة الله .

هذا من ناحية وناحية أخرى فإن تلك الفئة الضالة التي آثرت التخبط في الظلام على العيش في ظل الله بأمن وسلام وأشعل الحقد والحسد نار العداوة في قلبها فأعلنت الحرب الشعواء على دين الله وأهل هذا الدين وتخلت عن كل القيم والأخلاق والإنسانية وسلكت طرقاً ملتوية من أجل إطفاء نور الله دون أن تعلم إن الله غالب على أمره وأن الله متم نوره ولو كره الكافرون . كان من الضروري أن يعرفوا مغبة ما هم فيه من الانحراف والضلال ، فأنزلهم الله ما يستحقون من المنازل وأطلق عليهم من الصفات التي أرتضوها لأنفسهم ، وكشف عن الرذائل التي لم يسبقهم أحد إليها من أبناء جنسهم فكان أن جاء القرآن بألفاظ منها الجديد المناسب لبعض الصفات والمنقول الذي يتطابق به الحال على المقال . وسنورد أمثلة من هذه المفردات نقف فيها على تطور الدلالة لهذه الألفاظ بعد استعمال القرآن الكريم لها .

فالمؤمن في اللغة هو المصدق . تقول : آمَنتُ بالشيء إذا صَدَّقت بهِ قال الشاعر :

ومِنْ قَبْلُ آمَنَّا ، وقد كانَ قَوْمُنا يُصلّون للأوثانِ قبلُ ، محمدا

معناه ومن قبل آمنا محمداً أي صدَّقناه(١) .

ولكنه أصبح ذا دلالة إسلامية يطلق على من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره .

فانتقل بهذا من مجرد التصديق بأي شيء إلى التصديق بما أمر الله به ورسوله ولما كان الإيمان بالله ورسوله يستلزم الإذعان لحكمه وأمره ونهيه ، اختلفت درجات المؤمنين باختلاف ما يضحي به كل منهم من أجل ونيل مرضاة الله، واختلف المؤمنون باختلاف ما أتصف كل منهم بالمكارم التي أمر بها الله ورسوله فتعدد لذلك مدلول لفظ المؤمن وإن اشترك في الإيمان بما قدمناه .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ (الحجرات-١٥) .

وقال جل شأنه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال : ٢-٤) .

---

(١) لسان العرب (أمن) : ٢٤/١٣ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال-٧٤) .

وقال عز من قائل : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ﴾ (النور-٦٢) .

وقال رسوله الله – صلى الله عليه وآله وسلم – : ((المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب)) [١] .

على أن لفظ المؤمن قد أطلق بدلالة أخرى أسمى من هذه الدلالات حين جعله الله إسماً من أسمائه الحسنى فمعناه في حقه سبحانه على ما قيل أنه المصدق لرسله بخلق المعجزة[٢] .

وقيل هو الذي يعزى إليه الأمن والأمان بإفادته أسبابه وسده طرق المخاوف، والمؤمن هو الذي لا يتصور أمن وأمان إلا ويكون مستفاداً من جهته وهو الله تعالى، فلا أمن في العالم إلا وهو مستفاد بأسباب هو منفرد بخلقها والهداية إلى استعمالها فهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى فهو المؤمن المطلق حقاً[٣] .

وهكذا لفظُ المسلم والمهاجر وسائر صفات المؤمنين التي أثنى الله بها عليهم ورغبهم فيها وبيّن لهم سبل تحقيقها .

فالمسلم في اللغة المنقاد ، قال صاحب اللسان : أسلم : انقاد وصار مسلماً ، وأسلم أمره إلى الله تعالى سلّمه[٤] .

---

(١) أخرجه ابن ماجة والترمذي ، ينظر : فيض القدير ، عبد الرؤوف المناوي : ج٦/ص٢٥٢ .

(٢) الدر المنثور في تفسير أسماء الله الحسنى : ص١٦ .

(٣) ينظر : المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى : ص٥٨-٥٩ .

(٤) لسان العرب (سلم) : ٢٩٣/١٢ ، وينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٤٢٣ .

والمهاجر : هو الذي انتقل من بلدٍ إلى آخر وأصل ذلك أن يخرج البدوي من باديته إلى المُدنِ ؛ يقال : هاجَرَ الرجلُ إذا فعل ذلك ؛ وكذلك كل مُخْلٍ بمَسْكَنِه مُنتَقلٍ إلى قوم آخرين بِسُكناهُ ، فقد هاجر قومه[١] .

ولكن دلالة هاتين الكلمتين قد تطورت في القرآن صار لكل منهما شخصية بارزة واضحة المعالم . فأصبح المسلم صفة لمن دخل في الإسلام وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً .

واشتهرت الهجرة في لسان الشرع في انتقال المؤمن من بلد الفتنة والخوف على دينه إلى حيث يأمن على دينه . وغلب هذا في الهجرة من مكة إلى المدينة في حياة الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – حين كانت مكة بلد كفر وشرك وذلك قبل الفتح ، فأصبح المهاجر لقب تشريف لكل من هاجر من أجل دينه من مكة إلى المدينة قبل الفتح . ومن ذلك جاء لقب المهاجرين المحمود الذي يذكر بإزاء لقب (الأنصار) أصحاب المدينة من المؤمنين[٢] .

وهذان اللفظان توسع القرآن في دلالتهما على مكارم الأخلاق والصفات الحميدة التي دعا إليها الله ورسوله شأن سائر تلك الألفاظ التي أصبحت دلالتها تتجه إلى الكمال الذي جاء به الإسلام في مختلف ما دعا إليه ، وأمر به .

فالمسلم كما يقول الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده[٣] . و((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)) [١] .

---

(١) لسان العرب (هجر) : ٢٥١/٥ ، وينظر : معجم ألفاظ القرآن : ج٢/ص٧٨٤ .

(٢) ينظر : معجم ألفاظ القرآن : ج٢/ص٧٨٤ .

(٣) أخرج هذا الحديث الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله الأنصاري وأخرجه الإمام البخاري عن ابن عمر ، ينظر : فيض القدير : ج٦/ص٢٧٠ .

وإليك أمثلة من تطور دلالة الألفاظ التي استعملها القرآن صفاتٍ للكافرين والعاصين في مقابل صفات المؤمنين الطائعين .

فالكافر لم تكن تعرف له العرب معنى سوى الساتر للشيء فكل من ستر شيئاً عندهم يسمى كافراً ، فالكافر الزارع لستره البذر بالتراب ، والكافر الليل وفي الصحاح الليل المظلم لأنه يستر بظلمته كل شيء ، وكَفَرَ الليلُ الشيءَ وكَفَرَ عليه : غطَّاه وكَفَرَ الليلُ على أثر صاحبي غطاه بسواده . والكافر : البحر لستره ما فيه ويطلق كذلك على الوادي العظيم والنهر الكبير والسحاب المظلم وعلى الدرع[٢] .

وقد استعمل في القرآن بمعنى الجحود والإنكار فدلالة الكافر والكافرين نقيض دلالة المؤمن والمؤمنين . فالكافر بالله هو من أنكر وجود الله فلم يؤمن به ، والكافر بالرسول من لم يصدقه ولم يؤمن به وبما جاء به . والكافر بنعم الله هو من أنكرها ولم يقم بحق شكرها[٣] .

وبهذا أصبح الكفر في الاستعمال القرآني نقيض الإيمان . فالإيمان هو التصديق والكفر عدم التصديق . وقد ورد مصطلحا الإيمان والكفر كمعنيين متضادين متقابلين في قوله عز وجل : ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ (آل عمران – ١٦٧) .

وفي القرآن الكريم وردت مادة (كفر) وما اشتق منها في هذا المعنى الاصطلاحي ، وإصرار القرآن الكريم على استخدام المادة في الآيات المباركات يدل دلالة واضحة على أن معناها أصبح ذا دلالة اصطلاحية . ولا ينفي هذا الحكم ورود بعض الآيات كانت فيها كلمة ((كفر)) أو أحدى مشتقاتها تعني كفران النعمة وجحودها

---

(١) أخرج هذا الحديث الإمام البخاري وأبو داود والنسائي كلهم عن ابن عمر ، ينظر : فيض القدير : ج٦/ص٢٧٠ .

(٢) لسان العرب (كفر) : ٥/١٤٦-١٤٨ .

(٣) ينظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم : ٢/٥٠٤ ، والمفردات : ٧١٤ .

أو ستر الشيء وتغطيته . وهو معناها الأول ، من ذلك قوله عز وجل : ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ (العنكبوت-٧) . وقوله تعالى : ﴿ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح-٥) .

والتكفير هنا التغطية والستر ، وجاء في تفسير الآية الأخيرة ((ويكفر عنهم سيئاتهم)) أي خطاياهم وذنوبهم فلا يعاقبهم عليها بل يعفو ويصفح ويغفر ويستر ويرحم[١] .

والمنافق في دلالة القرآن هو من أظهر الإسلام وعمل بعمله وأبطن الكفر وهو من الألفاظ الإسلامية التي لم يسبق لها استعمال في لغة العرب وإن وجد فيها مادة الاشتقاق .

وأختلف في أصله اللغوي فقيل إنّه مأخوذ من[٢] :

١- **الرواج في البيع** : قالوا نَفَقَ البيع نَفَاقاً : راج . ونفقت السلعة تنفق نفاقاً ، بالفتح : غلت ورغب فيها . والنَّفَاقُ ضدُّ الكسادِ .

٢- **النفوق** : الموت . نفق الفرس والدابة وسائر البهائم ينفق نفوقاً : مات . قال ابن بري أنشد ثعلب :

فما أشياء نشريها بمال فأن نفقت فأكسد ما تكون

وأنفق الرجل إذا افتقر . ومن أمثال العرب : من باع عرضه انفق . أي من شاتمَ الناسَ شُتِمَ . ومعناه أنه يجد نفاقاً بعرضه ينال منه . وعليه كعب بن زهير يقول[١] :

---

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ج٤/ص١٨٤ .

(٢) لسان العرب (نفق) : ١٠/٣٥٧-٣٥٨ .

أبيتُ ولا أهْجُو الصديقَ ومنْ يَبعَ بِعرْض أبيه في المعَاشِر يُنْفِقِ

٣- **والنَّفَقُ** : سَرَبٌ في الأرض مشتق إلى موضع آخر[٢] ... وفي المثل العربي : ضل دريس نَفَقَهُ أي جحره[٣] ، والجمع أنفاق . وأستعاره أمرؤ القيس لجَحَرةِ الفئرة ، فقال يصف فرساً[٤] :

خَفَاهُنَّ من انفاقِهِنَّ كأنما حَفاهنَّ وَدْقَّ من عَشِيّ مُجَلِّبِ

والنفقة والنافقاء موضع برققه البربوع من جُحره فأذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه وخرج . وانتفق ونفق : خرج منه ، وتنفقه وانتفقه : استخرجه من نافقائه . واستعاره بعضهم للشيطان فقال :

وما أم الردين وأن أدلت بعالمة بأخلاقِ الكرامِ

إذا الشيطان قصع في قفاها تَنَفَّقْناه بالحبلِ التوءامِ[٥] .

تلك هي المعاني التي وردت في أصل هذه الكلمة وما اشتق منها . وواضح أن مصطلح ((النفاق)) و((المنافق)) كما عرف بعد نزول القرآن قد أخذ من النَّفقَ الذي هو سرب في الأرض جاء في لسان العرب : ((سمي المنافق منافقاً للنقق وهو السرب في الأرض . وقيل : إنّما سمي منافقاً لأنه نافق كاليربوع وهو دخوله نافقاءه. فهو يدخل النافقاء ويخرج من القاصعاء أو يدخل في القاصعاء ويخرج من النافقاء . فيقال هكذا يفعل المنافق يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غاير الوجه الذي دخل فيه)) [٦]

.

(١) شرح ديوان زهير : ص٢٥٩ ، الدار القومية : ١٩٦٤ .

(٢) لسان العرب (نفق) : ٣٥٨/١٠ .

(٣) مجمع الأمثال : ج٤٣٢/١ . وينظر : لسان العرب (نفق) : ٣٥٨/١٠ .

(٤) ديوان امرؤ القيس : ص٥١ . وينظر : لسان العرب (نفق) : ٣٥٨/١٠ .

(٥) لسان العرب (نفق) : ٣٥٨/١٠ .

(٦) لسان العرب (نفق) : ٣٥٩/١٠ .

فشبه المنافق في إظهاره للإسلام وإبطانه الكفر بفعل اليربوع لأنه يدخل من باب ويخرج من باب وكذلك المنافق فإنه يدخل في الإسلام باللفظ ويخرج منه بالعقد[١] .

والمنافق – بهذه الصورة – مصطلح إسلامي جديد ، قال صاحب اللسان : ((وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص . وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه ، وإن كان أصله في اللغة معروفاً)) [٢] ، وقال السيوطي في المزهر : ((إن لفظ الجاهلية اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة ، والمنافق اسم إسلامي لم يعرف في الجاهلية)) [٣] .

وفي القرآن الكريم رسمت صورة المنافقين في آيات مباركات عدة ، والناظر في هذه الآيات يجدها ترسم صورة لفئة من الناس تبطن الكفر وتظهر الإيمان . فهم في الحقيقة كافرون ولكنهم يظهرون إسلامهم تمثيلاً ، أما خوفاً على أنفسهم أو خداعاً للمسلمين . ويتحدث صاحب ظلال القرآن عن هذه الصورة فيقول : ((لقد كانت هذه صورة واقعة في المدينة ، ولكننا حين نتجاوز نطاق الزمان والمكان نجدها نموذجاً مكروراً في أجيال البشرية جميعاً . نجد هذا النوع من المنافقين من عِلْيةِ القوم الذين لا يجدون في أنفسيهم الشجاعة ليواجهوا الحق بالإيمان الصريح . وهم في الوقت نفسه يتخذون لأنفسهم مكان المترفع على جماهير الناس ، وعلى تصورهم للأمور . ومن ثم نميل إلى مواجهة هذه النصوص كما لو كانت مطلقة في مناسباتها التاريخية . موجهة إلى هذا الفريق من المنافقين في كل جيل ، وإلى صميم النفس الإنسانية الثابت في كل جيل . أنهم يدَّعون الإيمان بالله واليوم الآخر ، وهم في الحقيقة ليسوا بمؤمنين ، إنّما

---

(١) ينظر : غريب القرآن ، لأبن قتيبة ، ص٢٩ .

(٢) لسان العرب (نفق) : ٣٥٩/١٠ .

(٣) المزهر في علوم اللغة وآدابها : ج١/ص٣٠١ .

هم منافقون يجرؤون على الإنكار والتصريح بحقيقة شعورهم في مواجهة المؤمنين))[١] .

وفي السيرة النبوية الطاهرة يرى المرء صورة المنافين وهم ينخذلون عن نصرة المسلمين في مواقف الشدة والبأس . ثم يراهم وهم يخوضون في الأحاديث التي تثير الشك والاضطراب في القلوب . ومواقفهم من غزوات أحد والخندق وتبوك معروفة . وهم لهذا كانوا أخطر على المسلمين من الكفار والمشركين لأنهم عدو داخلي يستر عداوته ويعيش في كنف المسلمين . فيطلعون على ما لا يطلع عليه العدو البعيد ، فيكونون بذلك عوناً لأعداء الله من كفار مكة ومشركي العرب . وهم كذلك دائماً . ولذلك جعلهم الله أشد الفئات عذاباً يوم القيامة لأنهم أشد الفئات خطراً في الدنيا . جعلهم الله عز وجل في صف واحد مع الكافرين قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (الحشر : ١١-١٢) .

وأدل آية على مصيرهم المحتوم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (النساء-١٤٥) .

ومن هذا القبيل أيضاً لفظ الفسق والفاسق ، وما يتبعهما من مادة الاشتقاق التي وردت في القرآن الكريم فكلها ذات دلالة إسلامية خاصة بالقرآن الكريم نقلها من لغة العرب لتفيد ما جد من أحوال ، وطرأ من تغيرات وإن كانت مادة الاشتقاق من اللغة نفسها .

---

(١) في ظلال القرآن : م١/ص٤٤-٤٥ .

وهو مصطلح قرآني جديد ، أشتق أصلاً من فَسَقَ يَفْسُقُ فِسْقاً وفُسُوقاً ، ويقال فِسُقَ ، أيضاً كله بمعنى : فجر . والعرب تقول قد فَسَقَتِ الرُّطبَةُ إذا خرجت من قشرها . وكأن الفأرة إنَّما سميت فويسقة لخروجها من جُحْرها على الناس[١] . هذا كل ما ورد في مادة فسق قبل نزول القرآن .

ومن خلال المدلول اللغوي السابق يمكن إخراج معنى العادة الذي أكسبه إياها الإسلام ، فقد نقل أنه لم يسمع قط في كلام الجاهلية في شعر ولا كلام (فاسق) ، والدليل على ذلك ما أورده السيوطي في المزهر إذ قال : ((وقال ابن الأعرابي : لم يسمع في كلام الجاهلية ولا في شعرهم فاسق . قال : وهذا عجيب وهو كلام عربي)) [٢] .

وجاء الشعر بأن الفسق : الإفحاش في الخروج عن طاعة الله تعالى ، وقد أورد ابن منظور في معجمه هذا المعنى وتقل العديد من أقوال العلماء ، إذ قال : ((وقال الفرّاء : فسق عن أمر ربه : خرج عن طاعة ربه ... وقال أبو العباس : فسق عن أمر ربه أي خرج ... أما أبو الهيثم فقال : وقد يكون الفسوق شِرْكاً وقد يكون إثماً ... وقال الخطابي : أصل الفسق : الخروج عن الاستقامة ، وبه سمي العاصي فاسقاً)) [٣] .

ويلاحظ من مجموع تلك الآراء والأقوال أن الفسوق في رأي العلماء هو الخروج عن الدين . فإلى أي مدى يكون هذا الخروج ؟ وأول ما يجب أن يتحقق منه الدارس أن الفاسق لابد أن يكون قد أسلم أولاً لكي يخرج عن دينه ويكون فاسقاً فيما بعد . وهذا ما يميزه من الكافر بعده ، ومن المنافق قبله . ذلك أن الكافر لم يدخل الإسلام أبداً – كما سبق بيانه – والمنافق لم يخرج من الإسلام أبداً – كما سبق بيانه – ولو في الظاهر على الأقل ، أما الفاسق فهو قد أسلم ثم فعل ما يخرجه عن الدين سواء كان

---

(١) لسان العرب (فسق) : ٣٠٨/١٠ .

(٢) المزهر في علوم اللغة وآدابها : ٣٠١/١ .

(٣) لسان العرب (فسق) : ٣٠٨/١٠ .

الخروج مؤقتاً أو دائماً . فإذا كان خروجه مؤقتاً – أي تاب بعد فسوقه – فإنه يعود إلى أمة الإسلام كواحد من أفرادها . أما إذا كان خروجه دائماً–أي لم يتب بل استمر على فسوقه – فهو يصبح في عداد الكافرين والملحدين ، وعلى هذا يفسر قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾ (السجدة–١٨) .

وعلى هذا تكون كلمة أبي الهيثم السابقة أقرب الأقوال إلى الحقيقة في بيان معنى الفاسق . فالفاسق قد يكون مشركاً وقد يكون آثماً . وذلك بحسب الذنب الذي اقترفه ، وعليه يكون مقدار خروجه عن دينه . وقد تنبّه إلى هذا الرأي صاحب الأشباه والنظائر عندما قال : ((تفسير الفسق على ستة وجوه : فوجه منها فسق يعني المعصية وهو الكفر بالنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وبما جاء به . والوجه الثاني : الفسق يعني المعصية لله في ترك التوحيد وهو الشرك . والوجه الثالث : الفسق يعني المعصية في الدين من غير شرك ولا كفر . والوجه الرابع : الفسق يعني الكذب من غير كفر. والوجه الخامس يعني إثماً من غير كفر . والوجه السادس : الفسق يعني السيئات)) [١] . وكان يؤيد رأيه بالآيات يسوقها مع كل وجه يذكره .

رابعاً : الألفاظ ذات الدلالة على أسماء القرآن وسوره ومتعلقاته :

فالقرآن من حيث اللغة على المختار أنه مصدر لـ (قرأ) على زنة الغُفْران والكُفْرانِ فهو بمعنى القراءة وهمزته أصلية ونونه زائدة فإذا حذفت همزته كما في قراءة ابن كثير فإنّما ذلك من باب التخفيف وهذا الوجه من التخفيف مألوف في اللغة[٢] .

ثم نقل في عرف الشارع من هذا المعنى وجعل علماً على اللفظ العربي المنزل على النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – المتعبد بتلاوته المنقول إلينا تواتراً، من باب تسمية المفعول بالمصدر ويشهد لكونه مصدراً بمعنى القراءة وروده بهذا المعنى في

---

(١) الأشباه والنظائر : ص٣٢٩–٣٣٠ .

(٢) ينظر : لسان العرب (قرأ) : ١٢٩/١ .

موضعين من قوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ (القيامة : ١٦-١٨) ؛ أي أن علينا جمعه لك في صدرك بواسطة الوحي إليك (وقرآنه) أي وأن تقرأه بعد ذلك بلسانك ، فهو مصدر مضاف إلى مفعوله . ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ أي قراءته[١] .

وفي تفسير الآية السابقة قالوا : ((كان الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم– يخاف أن ينسى شيئاً مما يوحى إليه ، فكان حرصه على التحرز من النسيان يدفعه إلى استذكار الوحي فقرة فقرة في أثناء تلقيه . وتحريك لسانه به ، ليستوثق من حفظه فجاءه هذا التعليم ((لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه)) جاءه هذا التعليم ليطمئن إلى أن أمر هذا الوحي ، وحفظ هذا القرآن وجمعه وبيان مقاصده ، كل أولئك موكول إلى صاحبه ، ودورُهُ هو التلقي والبلاغ ، فليطمئن بالاً، وليتلق الوحي كاملاً فيجده في صدره منقوشاً ثابتاً ، وهكذا كان)) [٢] . ويقول ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) : ((هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله – صلى الله عليه وآله وسلم – في كيفية تلقيه الوحي من الملك . فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته ، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه وأن يبينه له ويفسره ويوضحه))[٣] .

وقيل في اشتقاق لفظ القرآن أنه مأخوذ من : قَرَأَتِ الناقةُ والشاةُ بمعنى حملت، وقرأ الشَيءَ : جمعه وضمَّ بعضَه إلى بعض ، وقرأتُ الشيءَ قرآناً : جمعته وضممت

---

(١) ينظر : البيان في مباحث علوم القرآن ، عبد الوهاب عبد المجيد غزلان ، مطبعة دار التأليف ، سنة ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م : ص١٩-٢٠ .

(٢) في ظلال القرآن : ٣٧٧/٨ .

(٣) تفسير ابن كثير : ٤٤٩/٤ .

بعضه إلى بعض ، ومنه قولهم ما قرأت هذه الناقة سلاً قطُّ ، وما قرأت جنيناً قط ، أي لم تضم رحمها على ولد ، وسمي قُرْآناً ؛ لأنه يجمع السُّورَ ، فَيضُمُّها[١].

يتبين مما سبق أن لفظ (القرآن) كلمة عربية وأنها مصطلح قرآني جديد ، حيث إن العرب لم يعرفوا (القرآن) بهذا المعنى الذي حدده القرآن الكريم ، الأمر الذي أدى إلى إغناء الثروة اللغوية واثرائها بمجموعة من الألفاظ الجديدة المستقاة من اللغة العربية نفسها ، حيث إن القرآن الكريم ألبس هذه الألفاظ حُلاً جديدة لم يكن يعرفها العرب قديماً ولم يتوقعوا أن ترد بتلك المعاني التي استخدمها فيها القرآن. وهذا بدوره عُدَّ دليلاً أكيداً على إعجاز القرآن الكريم بلفظه ومعناه .

أما (السورة) فهي من المصطلحات القرآنية الجديدة . وهو مصطلح يتعلق بالقرآن الكريم لأنها اسم للقطعة التي تكوّن وَحْدة مستقلة من القرآن وتتألف من عدة من الآيات الكريمة . وقد سماها الله عز وجل سورة ، وذكرت في آيات عدةٍ ومن تلك الآيات ، قال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ (البقرة-٢٣) .

والسورة بهذا المعنى الاصطلاحي لم تعرف في لغة العرب قبل نزول القرآن الكريم ، ذلك إن القرآن كله كان عليهم جديداً ، وكلمة القرآن نفسها كما تقدم مصطلح جديد . وقد اختلف العلماء في تحديد المعنى الذي أخذت منه السورة بمعناها القرآني . فأما أبو عبيدة فإنه زعم أنها مشتقة من سُورة البناء ، وأن السُّورَةَ عِرْقٌ من أعراق الحائط ويجمع سُوْراً ، وكذلك الصُّورَةُ تَجْمَعُ صُوْراً ؛ واحتج أبو عبيدة بقول الشاعر :

سرت إليه في أعالي السُّوْرِ[٢]

---

(١) لسان العرب (قرأ) : ١٢٨/١ .

(٢) لسان العرب (سور) : ٣٨٦/٤ . وينظر : مجاز القرآن : ٤/١ .

وروى الأزهري بسنده عن أبي الهيثم أنه ردَّ على أبي عبيدة قوله وقال : ((إنما تجمع فُعْلَةٌ على فُعْلٍ بسكون العين إذا سبق الجمعَ الواحِدُ مثل صُوفَةٍ وصُوفٍ، وسُوْرَةُ البناء وسُوْرُهُ ، فالسُّوْرُ جمع سبق وُحْدَانَه في هذا الموضع ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ ﴾ (الحديد-١٣) ؛ قال: والسُّور عند العرب حائط المدينة ، وهو أشرف الحيطان ، وشبه الله تعالى الحائط الذي حجز بين أهل النار وأهل الجنة بأشرف حائط عرفناه في الدنيا ، وهو اسم واحد لشيء واحد ، إلا أَنا إذا أردنا أن نعرِّف العِرْقَ منه قلنا سُوْرَةٌ كما تقول التمر، وهو اسم جامع للجنس ، فإذا أردنا معرفة الواحدة من التمر قلنا تَمرة، وكل منزلة رفيعة فهي سُورَةٌ مأخُوذة من سُورَة البناء ؛ وأنشد للنابغة :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أعطاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ ؟

معناه : أعطاك رفعة وشرفاً ومنزلة ، وجمعها سُوْرٌ أي رِفَعٌ . قال : وأما سُورَةُ القرآن فإنَّ الله ، جل ثناؤه ، جعلها سُوراً مثل غُرْفَةٍ وغُرَفٍ ورُتْبَةٍ ورُتَبٍ وزُلْفَةٍ وزُلَفٍ ، فدل على أنه لم يجعلها من سُور البناء لأنها لو كانت من سُور البناء لقال : ﴿ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ (هود-١٣) ، ولم يقل : بعشرِ سُوَرٍ ، والقراء مجتمعون على سُوَرٍ ، وكذلك اجتمعوا على قراءة سُوْرٍ في قوله : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ ﴾ ، ولم يقرأ أحد : بِسُوَرٍ ، فدل ذلك على تميز سُورَةٍ من سُوَرِ القرآن عن سُورَةٍ من سُوْرِ البناء)) (١) .

من خلال ما تمَّ عرضه من آراء في النص السابق يمكن القول أن الرأي القائل بكون السورة مأخوذة من سورة البناء هو اقرب الآراء إلى الصواب . فكما أن البناء

---

(١) لسان العرب (سور) : ٤/٣٨٦-٣٨٧ .

يقوم سورة بعد سورة كذلك قام القرآن في حياة الناس ، لأن الله عزّ وجلّ نزله على رسوله الكريم – صلى الله عليه وآله وسلم – متفرقاً في ثلاثة وعشرين عاماً حتى اكتمل بناؤه .

ويمكن أن تجمع السورة على (سُوْرٍ) إذا كان المقصود بها عرقاً من عروق البناء ، وعلى (سُوَرٍ) إذا كان المقصود بها سورة من سور القرآن الكريم ، وقد تَنَزّلَ القرآن الكريم بالصورتين .

وأما من رأى أن السورة هي المنزلة الرفيعة فيمكن أن يرد ذلك إلى سورة البناء أيضاً ؛ لأن البناء عندما يعلو في نظر الناس سامياً وذا درجة رفيعة لا يمكن اجتيازه ، وعليه يكون هذا المعنى المجازي مستمداً من ذلك المعنى اللغوي . وقد ذكرت السورة في شعر العرب بهذا المعنى المجازي . قال النابغة في مدح النعمان بن المنذر[١] .

ألم تر أن اللهَ أعطاك سُورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

ومما يشفع لهذا الرأي أن المفسرين أجمعوا على تعريف السورة أنها قطعة من القرآن الكريم وأن الله عز وجل أنزل القرآن على نبيه الكريم شيئاً بعد شيء وجعله مفصلاً وبين كل سورة بخاتمتها وبدايتها . يقول الخازن : ((السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه ، سميت سورة لأن القارئ ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سورة القرآن)) [٢] .

ومهما يكن من أمر اشتقاق الكلمة فأنه لا شك في أن السورة في معناها الإسلامي هو أحدى المصطلحات الجديدة التي صنعها القرآن الكريم .

ومن الألفاظ ذات الدلالة المتطورة في القرآن ، المتعلقة بأنواع من المعاملات والتشريعات الإسلامية ، والأحوال البشرية العامة . نحو : الحلال والحرام ، والفرض ، والواجب ، والسنة ، والزواج ، والنكاح ، والطلاق ، والعتاق ، والنفقة ، الصداق ،

---

(١) ديوان النابغة : ص٧٣ .

(٢) تفسير الخازن : ٣٣/١ .

الخلع ، الملاعنة ، الحد ، التعزير ، الرجم ، الجَلْد ، الإحصان . الجهاد ، الغنيمة ، الفيء ، الجزية ، الخُمْس ، الميراث ، العصبة ، الكلالة ، والنطفة ، والمضغة والعَلَقَة .

إلى غير ذلك مما هو خارج عن نطاق بحثنا ولا يسعنا أن نتبعه لفظة لفظة ونبين التطور الدلالي لكل لفظة ، فهذا ما يحتاج إلى أطروحة رسالة كاملة ، وهو جدير بالبحث ، وذو أهمية كبيرة ، يستطيع الباحث فيه أن يقف على صميم عربية هذه الألفاظ التي أعتبر كثير من المؤلفين معظمها ليست من أصل عربي من دون تحقيق ولا إبداء شيء من الأدلة ترجح وجهة نظرهم على الأقل .

خامساً : الألفاظ ذات الدلالة على عالم الغيب ومتعلقاته :

كأسماء يوم القيامة ، واصطلاحات العذاب والثواب ، وغير ذلك مما هو ليس في نطاق المحسوس المشاهد .

وهذه طائفة من الألفاظ تمثل هذا الجانب :

يوم القيامة ، يوم الدين ، الصّاخّة ، الطامّة ، الحطمة ، الهاوية ، سقر ، الحميم ، السعير ، الحاقة ، الغشية ، شجرة الزقوم ، الغساق ، الجنة والنار ، دار السلام ، طوبى ، جنة الخلد ، الأعراف ، الساعة ، الحشر والنشر ، الصراط ، والميزان ، الحوض ، الكوثر ، سلسبيل ، البعث ، الحساب ، الشفاعة ، المقام المحمود ، اللوح ، العرض ، أم الكتاب ، الكرسي ، القلم ، الملكوت ، البرزخ .

رقيب ، وعتيد ، المتلقيان ، القرين ، الشيطان ، أبليس ، الوسواس ، الخناس.

وكذلك ، الوحي ، والإلهام ، والنبوة ، والرسالة ، والولاية ، والسكينة والإلمام والقرب والبعد .....

ثانياً : مستوى التركيب والبيان :

أما الجهة الثانية التي أثرى بها القرآن الكريم لغة العرب بالمعاني السامية الرفيعة فهي تلك التراكيب الموجزة البليغة ذات الدلالة على المعاني الكثيرة والأغراض الجليلة التي جاء يحققها القرآن ، ويعبر عنها بعباراته التي بلغت في دقة التركيب درجة جلت عن الشبه والنظير .

ولا يخفى ما للتركيب من أثر في تطور دلالة الألفاظ نفسها ، وتحميلها من المعاني ما لم تستطع مفردات التركيب منفردة أن تدل عليها ، أو تفيدها بل إن هذه المفردات نفسها قد تتغير دلالتها من تركيب لآخر ولم يغفل الباحثون في علم اللغة عن هذه الناحية وأثرها في التطور الدلالي لألفاظ اللغة فذكروا من أسباب تطور معاني الألفاظ كثرة استعمال لفظ في موضع معين وبجواز ألفاظ معينة .

فلفظ أتقى يقال في اللغة أتَقى الشيءَ : استقبله وجعل بينه وبينه حاجزاً ، ويقال اتقيت الشيء حذرته والإسم التقوى[1] .

وقد جاء بهذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾ (البقرة-٢٤) ، ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (البقرة-٢٨١) ، ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ ﴾ (الأنفال-٢٥) .

ونظراً إلى استعمال التقوى في مواضع معينة في القرآن أصبحت دلالتها أعم من المعنى الأصلي فغدت تفيد العمل الصالح وطاعة الله ورسوله كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ (البقرة-١٩٧) ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ (النحل-١٢٨) ، ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (الزمر-٧٣) ، ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ (الحجرات-

(١) لسان العرب (وقي) : ١٥/٤٠٢-٤٠٣ .

١٣) ، ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (القمر : ٥٤-٥٥) .

ويذكر الأستاذ محمد المبارك بعض الألفاظ التي تغير دلالتها بسبب الاستعمال في سياق معين في غير القرآن . فيقول : ومن الألفاظ التي انحرفت عن معناها بسبب هذا النوع من التبدل الناشئ عن مجاورتها لألفاظ معينة في سياق معين من الكلام ((كلمة الفشل)) ومعناها الفصيح : الضعف ، ولكن كثرة ترداد الناس لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ ﴾ (الأنفال-٤٦) . واستشهادهم بهذه الآية في مواطن النزاع المؤدي إلى الإخفاق جعلهم يظنون أن معنى الفشل الإخفاق وهو خطأ.

ومما ذكره أيضاً لفظ (احتال والحيلة) فإنها لم تكن تفيد أي معنى يذم بسببه الإنسان فيقال احتال لطعامه ، ولم يكن له في الأمر حيلة ، ثم اكتسب هذا اللفظ بكثرة الاستعمال في مواطن يلجأ فيها الإنسان إلى وسائل غير محمودة معنى الخداع والدهاء ، وذكر منها أيضاً ((امتاز)) قال ومعناها انفصل ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (يس : ٥٩) ، وإذ كانت تستعمل كثيراً في موطن انفصال شيء عن شيء لمذمّة به فقد لحقها معنى آخر أضيف إلى الانفصال وهو التميز بالفضل والرجحان وهو معنى وإن لم يكن في أصل اللغة لكنه لا ينافيه بل هو نوع من التخصيص الدلالي[١] .

ومما اعتبروه مظهراً من مظاهر التطور الدلالي للألفاظ في جميع اللغات وهو من صميم التركيب ، ما هو معروف بالمجاز والاستعارة والكناية وواضح أن أمر هذه الأشياء لا يمكن أن يتصور في غير التركيب[٢] .

---

(١) فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك : ص٢١٣ .

(٢) ينظر : دلالة الألفاظ ، إبراهيم أنيس : ص١٢٧-١٢٨ .

وإذا كان هذا النوع من أساليب الكلام يختلف من لغة إلى لغة حسب طبيعة اللغة ، ومدى استعدادها لتحمل مثل هذه الدلالات في ألفاظها ويختلف كذلك باختلاف مقدرة أبناء اللغة الواحدة على التصرف باللغة واستعمال مثل هذه الأساليب .

فإن ما جاء به القرآن الكريم من هذا النوع شيء يجل عن الوصف ، ويصعب علينا حصره . وإن كان لا يخفى على أحد أنه قد جاء يحمل بين طياته أسمى المعاني ، في أبدع صور التركيب ، الأمر الذي بعث فيه روح الحياة في لغة العرب من جديد . فرفع من شأنها وسما بدلالات ألفاظها ، حتى أصبحت صورة العالم الإلهي بما فيه من ظلال المعاني ودقائقها متمثلة في ألفاظها وغدت مرآة الحضرة الإلهية تتجلي في تراكيبها ، فلا غرو إذا رأينا لغة القرآن وهي تجلي لنا تلك المعاني في أسلوبها البديع المعجز .

وقد أثبت البلاغيون أساليب في البيان يلجأ إليها في التعبير عن كوامن النفس وخفايا الشعور ، لا تستطيع الألفاظ أن تؤديها إذا استعملت بمعانيها الحقيقية، فينقلونها إلى معان مجازية ترتبط بالمعاني الأصلية بروابط ظاهرة أو خفيّة ومن تلك الأساليب : المجاز والاستعارة والكناية ، ولكل من هذه الأنواع الثلاثة علاقات وفروع زخرت بها كتب البلاغة . وعلى ذلك يمكن تقسيمها من هذه الناحية إلى الأقسام الثلاثة الآتية :

- *الأول* : ما انتقل فيه المعنى الأصلي إلى المعنى الجديد انتقالاً مجازياً ، وأعني بالانتقال المجازي هنا ما كان أساسه مجازاً مرسلاً على حد البلاغيين لهذا النوع من المجاز ، والبلاغيون يثبتون للمجاز علاقات كثيرة تربط المعنى الجديد بالمعنى الحقيقي وتضبطه وقد وجدنا طائفة من هذه العلاقات في كثير من المصطلحات اللغوية القرآنية وحسبنا أن نشير إلى طائفة منها مستشهدين بالمصطلح القرآني فهو هدفنا في هذا البحث .

١- من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة-١٩) ، وتفسيره أن الله ((جامعهم فحلَّ بهم عقوبته))[١] ، وقيل ((عالم بهم))[٢] . وعلى هذا تأتي الإحاطة بالشيء في القرآن الكريم بمعنيين . احدهما : الجمع وإنزال العقوبة ، ومعنى ذلك الإهلاك والغلبة ، وعلى هذا المعنى فسّر قوله تعالى : ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ ﴾ (يونس-٢٢) ، أي دنوا من الهلاك[٣] وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾ (الكهف-٤٢) وقد حمل ابن قتيبة قوله تعالى : ﴿ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡ ﴾ (يوسف-٦٦) ، على هذا المعنى ، فقال في تفسيره : ((أي تشرفوا على الهلكة وتغلبوا))[٤] .

والمعنى الثاني : هو العلم بالشيء من جميع جوانبه ، كمال قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾ (الطلاق-١٢) ، وقال تعالى : ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ ﴾ (النمل-٢٢) ، ومثله في آية الكرسي : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ ﴾ (البقرة-٢٥٥) ، والمعنيان متأتيان من المعنى الحقيقي للإحاطة ، فهي في الأصل الإحداق . من ذلك ما أورده ابن منظور في معجمه إذ قال : ((أحاطت به الخيل وحاطت : أحدقت ، واحتاطت بفلان وأحاطت إذا أحدقت به)) [٥] .

---

(١) تفسير الطبري : ١٢٢/١ .

(٢) تفسير القرطبي : ٢٢١/١ .

(٣) تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة : ص١٦٧ ، وينظر : تفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة : ص١٩٥ ، ٢٦٨ .

(٤) تفسير غريب القرآن : ص٢١٩ .

(٥) لسان العرب (حوط) : ٢٨٠/٧ .

وفي كل ذلك انتقل معنى الإحاطة إلى المجاز . قال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) : ((واحاطة الله بالكافرين مجاز ، والمعنى أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط حقيقة)) [١] .

٢- ومما سبيله المجاز أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ (البقرة-٢٧) . والقطع هنا على المجاز لا على الحقيقة لأن المقصود قطع صلة الرحم[٢] ، ومثل هذا قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ (محمد-٢٢) ، قال الطبري : ((وإنما عني بالرحم أهل الرحم الذين جمعتهم وإياه رحم والدة واحدة))[٣] . والعلاقة هنا كما يسميها البلاغيون (المحلية).

٣- ومنه قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ (البقرة-١١٢) . قال محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) : ((وأما قوله من أسلم وجهه لله فإنه يعني بإسلام الوجه التذلل لطاعته والإذعان لأمره)) [٤] . وعلى هذا يكون المقصود بالوجه سائر الجوارح التي ينقاد بها الإنسان وقد خصَّه بالذكر لأنه أشرفها ، والعرب تخبر بالوجه عن جملة الشيء[٥]، ويلحظ أن (الإسلام) مأخوذ من هذا المعنى . وإنما سمي المسلم مسلماً بالوجه بخضوع جوارحه لطاعة ربه[٦] . فذكر الوجه وإرادة سائر الجوارح مجاز علاقته (الجزئية).

---

(١) **الكشاف** : ٢١٨/١ .
(٢) **تفسير الطبري** : ١٤٤/١ ، **الكشاف** : ٢٦٩/١ .
(٣) **تفسير الطبري** : ١٤٤/١ .
(٤) **تفسر الطبري** : ٣٩٣/١ .
(٥) **تفسير القرطبي** : ٧٥/٢ .
(٦) **تفسير الطبري** : ٣٩٣/١ .

٤- ومنـــه قولـــه تعـــالى : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران-١٥٩) والمراد بغلظة القلب الشدة والقساوة[١] ، والقاسي القلب غير ذي الرحمة ولا الرأفة[٢] ، أو هو تجهم الوجه وقلة الانفعال في الرغائب وقلة الإشفاق والرحمة . وهو من المجاز كالعهد الغليظ وأغلاظ اليمين ، وأمر غليظ ، وماء غليظ[٣] .

٥- ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ (الأعراف-١٧٦) ومعنى أخلد : رَكَنَ ومَالَ[٤] ، ومعنى أخلد إلى الأرض ركن إلى الدنيا وسكن[٥] ، وآثر شهواتها ولذتها على الآخرة[٦] .

وقيل مال إلى السفالة[٧] وعلى هذا يكون الاخلاد إلى الأرض مذموماً لأن المقصود بها متاعها ولذتها وشهواتها[٨] . والأرض موضع لك كله ، وليس المقصود السكن فيها ؛ لأن ذلك غير مذموم في حقيقته ؛ لأن حياة الإنسان ومعاشه لا تتم بدونها ، ففيها رزقه ومحياه ومماته .

ونجتزئ بهذه الأمثلة ، فالمصطلحات القرآنية التي جاءت على سبيل المجاز كثيرة في القرآن الكريم . وحسبنا أن نشير إلى طائفة يسيرة منها فضلاً عما شرحناه آنفاً . من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ [٩] (هود-٢٣) ، وقوله تعالى:

---

(١) لسان العرب (غلظ) : ٤٤٩/٧ .
(٢) تفسير الطبري : ٩٩/٤ .
(٣) لسان العرب (غلظ) : ٤٤٩/٧ .
(٤) لسان العرب (خلد) : ١٦٤/٣ .
(٥) تفسير غريب القرآن : ١٧٤ .
(٦) تفسير الطبري : ٨٥/٩ .
(٧) تفسير الكشاف : ١٣٠/٢ .
(٨) تفسير الطبري : ٨٥/٩ .
(٩) وأصله من الخبت المطمئن من الأرض . لسان العرب (خبت) : ٢٧/٢ .

﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾ (الإسراء-٥) ، وقوله تعالى : ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾ (ص-٣٣) .

- والثاني : ما انتقل فيه المعنى عن طريق الاستعارة . والاستعارة كمّا يعرّفها البلاغيون ((هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدّعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به))[١] .

وللاستعارة انواع معروفة يذكرها البلاغيون منها التصريحية والمكنية وغيرها . ولسنا بصدد أن نستفيض في ذلك فليس هذا موضعه ولكننا نريد أن نستعيد في الذاكرة ما يفيد فهم الأسلوب القرآني في مصطلحاته وتعابيره . وقد اتخذ الأسلوب القرآني هذه السبيل في معانيها الحقيقية إلى معان جديدة تربطها علاقة التشبيه على حد البلاغيين .

١- من ذلك قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ (البقرة-٧) ، الختم لغةً : هو التغطية والإخفاء وختم البذر تغطيته ، والختم والطبع في اللغة واحد وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن لا يدخله شيء ، كما قال جلّ وعلا : ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾))[٢] .

قال الطبري : ((فإن قال لنا قائل وكيف يختم على القلوب وإنما الختم طبع على الأوعية والظروف والغلف ، قيل : فإن قلوب العباد أوعية لما أودعت من العلوم ، وظروف لما جعل فيها من المعارف بالأمور ؛ فمعنى الختم عليها وعلى الاسماع التي بها تدرك المسموعات ومن قبلها يوصل إلى معرفة حقائق الأنباء عن المغيبات

---

(١) مفتاح العلوم للسكاكي : ١٧٤ .

(٢) لسان العرب (ختم) : ١٢/١٦٣-١٦٥ .

نظير معنى الختم على سائر الأوعية والظروف))[١] ، فالقلوب والسمع في هذه الآية الكريمة شبهها بوعاء يختم فلا يدخله شيء .

٢- ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ (البقرة-٢٥٦) العروة في اللغة : ((هي المقبض كعروة الدلو والكوز ونحوه ... أو هي في النبات ما له أصل باق في الأرض مثل العرفج والنَّصيَّ وأجناس الخُلَّةِ والحَمضِ)) [٢] . والاستعارة متحققة على المعنيين . فعلى الأول يكون الإيمان الذي يتمسك به المؤمن كعروة الدلو أو الكوز ونحوهما مما له مقبض فلا يمكن الإمساك والتشبث به إلا بالإمساك بتلك العروة والتشبث بها [٣] .

قال الزمخشري : ((وهذا تمثيل للمعلوم والنظر والاستبدال بالمشاهد المحسوس حتى يتصور السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به))[٤]. وهذا هو حاصل المعنى الثاني للعروة وهو كل ما له أصل في الأرض من النبات فإذا أَمْحَلَ الناس عصمت العروة الماشية[٥] .

٣- ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ (المائدة-١٢) أصل القرض في اللغة القطع ، ثم استعير لكل ما يتجازى به الناس بينهم ويتقاضونه[٦] . قال أبو اسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ) : ((تقول العرب لك عندي قرض حسن وقرض سيء. وأصل القرض : ما يعطيه الرجل أو يفعله ليجازى عليه))[٧] ، وقال القرطبي: ((واستدعاء القرض في هذه الآية إنما هو تأنيس وتقريب للناس بما يفهمونه والله هو

(١) تفسير الطبري : ١/٨٦-٨٧ .
(٢) لسان العرب (عرا) : ١٥/٤٥-٤٦ .
(٣) تفسير الطبري : ٣/٨٤ .
(٤) الكشاف : ١/٣٨٧ .
(٥) لسان العرب (عرا) : ١٥/٤٦ .
(٦) لسان العرب (قرض) : ٧/٢١٦ .
(٧) المصدر نفسه : ٧/٢١٧ .

الغني الحميد لكنه تعالى شبه عطاء المؤمن في الدنيا بما يرجو به ثوابه في الآخرة بالقرض كما شبه إعطاء النفوس والأموال في أخذ الجنة بالبيع والشراء))[١] .

٤- ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ (الأنعام-١٢٥) .

الحَرَجُ في اللغة : ((الضيق . وحَرِجَ صدره يَحْرَجُ حَرَجاً : ضاق فلم ينشرح لخير ، فهو حَرِجٌ وحَرَجٌ)) [٢] . وقال الطبري : هو أشد الضيق[٣] ، ومن الضيق الشك[٤] . قال الفرّاء : ((والحرج فيما فسر ابن عباس الموضع الكثير الشجر الذي لا تصل إليه الراعية . قال فكذلك صدر الكافر لا تصل إليه الحكمة))[٥] ، فشبه صدر الشاك بالحرج لأنه يضيق فلا يدخل إليه الإيمان . كما أن الحرجة تضيق بالأشجار والنبات فلا يجد الداخل إليها سبيلاً .

٥- ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ (هود-٩٢) قال الفرّاء : ((رميتم بأمر الله وراء ظهوركم ؛ كما تقول : تعظّمون أمر رهطي وتتركون أن تعظّموا الله وتخافوه))[٦] ، وقال ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) : ((لم تلتفتوا إلى ما جئتكم به عنه ، تقول العرب جعلتني ظهرياً وجعلت حاجتي منك بظهرٍ إذا اعرضت عنه وعن حاجته))[٧]. وقال ثعلب (ت ٢٩١هـ) : ((نبذتم ذكر الله وراء ظهوركم)) [٨] . وقال

---

(١) تفسير القرطبي : ٢٤٠/٣ .

(٢) لسان العرب (حرج) : ٢٣٣/٢ .

(٣) تفسير الطبري : ٢١١/٨ .

(٤) تأويل مشكل القرآن ، لأبن قتيبة : ص٤٨٤ . وينظر : تفسير غريب القرآن ، لأبن قتيبة أيضاً : ص١٦٥ .

(٥) معاني القرآن : ٢٥٣/١ ، وينظر : تأويل مشكل القرآن : ٤٨٤ ، وتفسير الطبري : ٢١١/٨ ، ولسان العرب (حرج) : ٣٣٤/٢ .

(٦) معاني القرآن : ٢٦/٢ .

(٧) تفسير غريب القرآن : ٢٠٩ .

(٨) لسان العرب (ظهر) : ٥٢٢/٤ .

الطبري : ((واستخففتم بربكم فجعلتموه خلف ظهوركم لا تأتمرون لأمره ولا تخافون عقابه ولا تعظمونه حق عظمته ، يقال للرجل إذا لم يقض حاجة الرجل نبذ حاجته وراء ظهره أي تركها لا يلتف إليها وإذا قضاها قيل : جعلها أمامه ونصب عينيه ، ويقال : ظهرت بحاجتي وجعلتها ظهرية أي خلف ظهرك[١] . والظهري عند ابن زيد : الفضل ، وأصله عنده أن يخرج الجمّال معه إبلاً ظهارية لا يجعل عليها شيئاً احتياطاً ليستعملها إذا احتاج إليها ، فيقول إنّما ربكم عندكم مثل هذا ان احتجتم إليه وإن لم تحتاجوا إليه فليس بشيء)) [٢] . ولذلك كان الاستظهار بمعنى الاحتياط[٣] .

ونجتزئ بهذا الآيات التي تجري على سبيل الاستعارة فهي كثيرة ، ونشير كذلك إلى طائفة أخرى منها كقوله تعالى : ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴾ (طه-٢٧) ، وقوله تعالى : ﴿ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ (محمد-٢٤) ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ ﴾ (الذاريات-٥٩) ، وقوله تعالى : ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ (الملك-١٥) .

- الثالث : ما انتقل فيه المعنى من طريق الكناية وقد عرّفها السكاكي (ت ٦٢٦هـ) بأنها : ((ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك))[٤] ، ومن أمثلتها المشهورة عند البلاغيين قولهم : (طويل النجاد) كناية عن طول القامة ، و(نؤوم الضحى) كناية عن المرأة المرفهة المخدومة . والكناية سواء كانت عن الموصوف أو الصفة تشيع في المصطلحات القرآنية ، ولا غرابة في ذلك ،

---

(١) تفسير الطبري : ٦٤/١٢ .
(٢) تفسير الطبري : ٦٥/١٢ .
(٣) لسان العرب (ظهر) : ٥٢٨/٤ .
(٤) مفتاح العلوم : ١٨٩ .

فالقرآن أبلغ أسلوب خوطب به العربي وأبين ما سمعته العرب ومعلومٌ أن القرآن نزل بلغة العرب وأساليبهم في التخاطب والبيان .

ونحن نورد طائفة من المصطلحات التي اتخذت سبيل الكناية :

١- قوله تعالى : ﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ (البقرة-٢٥٠) ، وهي كناية عن الثبات في وجه الأعداء ، والصبر على مقارعتهم والانتصار عليهم . قال الطبري : ((يعني وقّوِّ قلوبنا على جهادهم لتثبيت أقدامنا فلا ننهزم عنهم)) [١] ، وقال القرطبي : ((وخصوا الأقدام بالثبات دون غيرها من الجوارح لأن الاعتماد عليها)) .

٢- قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ (الإسراء-٢٩) .

أصل البسط النشر [٢] ، وهو ضد القبض ، ومعنى الآية : ((ولا تبسطها بالعطية كل البسط فتبقى لا شيء عندك ، ولا تجد إذا سئلت شيئاً تعطيه سائلك)) [٣]، وقد ضرب مثلاً لذهاب المال ، فإن قبض الكف يحبس ما فيها [٤] . وبسط اليد هنا كناية عن التبذير .

٣- قوله تعالى : ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ (الأنفال-٤٨) ، هو كناية عن صفة وهي (الهروب) ، وأصل النكوص الرجوع ولا يقال ذلك إلا في الرجوع عن الخير خاصة [٥] . قال القرطبي : ((وليس ها هنا قهقرى بل هو فرار)) [٦] .

٤- قوله تعالى : ﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ (إبراهيم-٩) .

اختلف المفسرون في معناه ، فقال بعضهم معنى ذلك فعضوا على أصابعهم تغيظاً عليهم في دعائهم إياهم ما دعوهم إليه ، وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم لما

---

(١) تفسير الطبري : ٣٩٦/٢ .
(٢) لسان العرب (بسط) : ٢٥٨/٧-٢٥٩ .
(٣) تفسير الطبري : ٥٦/١٥ .
(٤) تفسير القرطبي : ٢٥٠/١٠ .
(٥) لسان العرب (نكص) : ١٠١/٧ .
(٦) تفسير القرطبي : ٢٧/٩ .

سمعوا كتاب الله عجبوا منه ، ووضعوا أيديهم على أفواههم ، وقال آخرون هذا مثل وإنما أريد أنهم كفوا عما أمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به ولم يسلموا[١] . واختار أكثر المفسرين المعنى الأول وهو اختيار الطبري[٢] ، والزمخشري[٣] والقرطبي[٤] . وعلى هذا فهو كناية عن صفة وهي : (الغيظ والحنق) .

٥- قوله تعالى : ﴿ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ (آل عمران-١١١) ، قال الطبري : ((كناية عن انهزامهم لأن المنهزم يحوّل ظهره إلى جهة الطالب هرباً إلى ملجأ وموئل يئل إليه منه خوفاً على نفسه والطالب في أثر فدُبُرُ المطلوبِ حينئذ يكون محاذي وجه الطالب الهازمة)) [٥] .

ومما سبيله الكناية أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ (الإسراء-٣٧) ، كناية عن الاحتيال . وقوله تعالى : ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾ (الإسراء-٥١) كناية عن الاستهزاء . وقوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾ (الكهف-٤٢) ، كناية عن الأسف والتندم . وقوله تعالى : ﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ﴾ (الأحزاب-١٩) ، كناية عن شدة الخوف .

تبين من خلال ما تمَّ عرضه السبل التي يتخذها اللفظ اللغوي فلي الانتقال من المعاني الحقيقية إلى المعاني المجازية الجديدة . ووجدنا أن ذلك إمّا أن يكون على سبيل المجاز المرسل بعلاقاته المختلفة ، وإمّا على سبيل الاستعارة بأنواعها، وأما على سبيل الكناية مستشهدين على كل ذلك بما ورد في القرآن الكريم من هذه المصطلحات اللغوي

---

(١) ينظر : تفسير الطبري : ١٢٦/١٣-١٢٧ .
(٢) المصدر السابق : ١٢٧/١٣ .
(٣) الكشاف : ٣٦٩/٢ .
(٤) تفسير القرطبي : ٣٤٥/٩ .
(٥) تفسير الطبري : ٣١/٤ .

الفصـــــل الخامس

﴿ أثر القرآن الكريم في الظواهر اللغوية الدلالية ﴾

- أثر القرآن الكريم في الظواهر اللغوية الدلالية . . .

توطئـة :-

تمكنت اللغة العربية من استيعاب الثورة الحضارية التي أحدثها الإسلام بقدرات ذاتية ، فلم تجنح إلى استعارة ألفاظ من لغات أخرى إلا ما ندر . ويجب أن نؤكد أنّ ما دَخَلَ العربيـة مـن ألفـاظ لا تُسـجل مفاصـل حيويـة مـن الثـروة اللغويـة العربيـة ؛ لأن الأفكار الجديدة التي ولّدها الإسلام في المجتمع العربي عبرّت عنها العربية بتطوير دلالات ألفاظهـا ، فلـم يَـدخلها مـن الألفـاظ إلا مـا تعلـق بالمحسوسـات والماديـات لا بالمعنويات ، كأسماء الألبسة والأطعمة والنباتات والحيوانات وشؤون المعيشة أو الإدارة ، وقد أعـارت كثيـراً مـن ألفاظهـا التـي تعبـر عـن الأفكـار المعنويـة المجـردة والعبـادات الإسلامية بعض لغات العالم ولاسيما اللغات التي اعتنق أبناؤها الإسلام[١] .

يقول الدكتور محمود فهمي حجازي ((لقد أمدت اللغة البدوية مجتمع الحضارة الإسلامية بالمواد اللغوية ، ونعني بالمواد : الحروف الأصول ، وأمدته أيضاً بعدد من القوالب والأوزان)) [٢] .

وقد اتسمت اللغـة العربيـة بسمات تجلّت فيها منزلتها ، ومكانتها ، ومـن تلـك السمات سمتان جوهريتان : طاقة معنوية تشدّ من وجودها وأصولها ، وقوة دلالية تُجدد من نمائها وبقائها . وازدادت هاتان السمتان ثباتاً بنزول القرآن الكريم إذ استطاعت هذه اللغـة ((أن تحتمـل هذا القدر الهائل من المفارقـة بين كلامين : كـلام هو الغايـة فـي البيان فيما تطيقه القوى ببيان ظاهر المباينة له من كل الوجوه)) [٣] .

---

(١) ينظر : خصائص العربية ومنهجها في التجديد : ٤٤-٤٩ ، والتطور الدلالي في كتب غريب الحديث : ١٠٨ .

(٢) علم اللغة العربية : ٣٠٣ .

(٣) الظاهرة القرآنية ، مالك ابن بني (ترجمة عبد الصبور شاهين) ، (ط٣) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٦٨ ، مقدمة الأستاذ محمود أحمد شاكر : ٢٧ ، وينظر : إعجاز القرآن الباقلاني : ١١٨-١١٩ ، والبحث الدلالي في تفسير الميزان : ٣٢٥ .

والتطور في اللغة أمر حتمي يشبه أن يكون وجهاً من وجوه تطور الحياة نفسها وهو في معناه الميسور هو : التغير التدريجي الذي يصيب دلالات الألفاظ بمرور الزمن ، وتبدل الحياة الإنسانية ، فينقلها من طَور إلى طور آخر . ولقد غدا من البدائهِ في علم اللغة الحديث ، أنَّ اللغة – شأنها شَأنُ الكائن الحيّ والظواهر الاجتماعية – تخضع لناموس التطور والتغير ، وذلك ؛ لأنَّ العلائق المتواشجة بين اللغة والحياة الإنسانية قد جعلت من هذا التطور اللغوي أمراً لا مناص منه[١] . وتصطلح على احداث هذا التطور عوامل متعددة[٢] ، بعضها مقصود ((كقيام المجامع اللغوي ، والهيئات العلمية بمثل ذلك ، عند وجود الحاجة إلى خَلع دلالات جديدة ، على بعض الألفاظ التي تطلبَّتَها حياة اجتماعية ، أو اقتصادية ، أو سياسية جديدة)) [٣] . وبعضها الآخر غير مقصود ، وذلك كالتطور الصوتي الذي يُصيب بعض ألفاظ اللغة فتشبه ألفاظاً أخرى تباين دلالتها ، وشيوع الفهم الخاطئ لدلالات بعض الألفاظ ، والإبتذال الذي يُصيب بعضها لظروف اجتماعية أو نفسية ، والاستعمال المجازي الذي يغدو بتقادُم العَهْد ، وكثرة التعاور ، استعمالاً حقيقياً لا يبدو للمجازية فيه أثر[٤] .

---

(١) ينظر : فقه اللغة في الكتب العربية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٨م : ١٠٠ ، وفي علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات ، عبد الكريم محمد حسن الجبل ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٧ : ص٣٣ .

(٢) ينظر في تفصيل القول في عوامل التطور الدلالي : علم اللغة ، د. علي عبد الواحد وافي : ٣١٩-٣٢٥ ، ودلالة الألفاظ ، د. إبراهيم أنيس : ٢٥٥-٢٥٦ ، وعلم الدلالة : ٢٣٧-٢٤٢ ، وعوامل التطور اللغوي، د. أحمد عبد الرحمن حماد ، دار الأندلس – بيروت ، ١٩٨٣م : ص١١٧-١٢٣ ، وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة ، د. عاطف مدكور ، دار الثقافة بالقاهرة ، ١٩٨٧م ، ص : ٢٨٤-٢٨٧ .

(٣) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م : ص١١١ ، وينظر : في علم الدلالة : ٣٣-٣٤ .

(٤) ينظر : دلالة الألفاظ : ص١٥٢-١٦٧ ، ودلالة الألفاظ العربية وتطورها ، د. مراد كامل دار نهضة مصر، ١٩٦٣م : ص٢٥-٢٨ ، وعلم الدلالة مقدمة للقارئ العربي : ص٢٨٠-٢٨٦ ، ودور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان ترجمة د. كمال بشر ، مكتبة الشباب بالقاهرة ، ١٩٧٥م : ص١٦١-١٦٣ ، وعلم الدلالة : ٢٤٣-٢٥٠ ، والكلمة دراسة لغوية ومعجمية : ص١٥٣-١٥٥ ، وعوامل التطور اللغوي : ١٢٤-١٣٣ ، ولحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، دار المعارف بالقاهرة ، ١٤٠١هـ-١٩٨١ : ص٣٦٢-٣٧٥ . وفي علم الدلالة : ٣٤ .

إنّ هذه اللغة في دلالاتها الكثيرة ، ومعانيها الوفيرة ، قادرة على التعبير بأكثر من دلالة ، والبيان بأكثر من وجه ، فكان هناك من الألفاظ ، المشترك ، والمتضاد ، والمتقابل ، والنظير ، والمترادف ، والمتباين ، وقد أثار التعدد في اللفظ والمعنى أو التقابل بين الدال والمدلول عند علماء العربية نشاطاً لغوياً واسعاً[١] .

وقد رُصدت فيه بض الظواهر اللغوية التي كانت مدار جدل وخلاف كبيرين، سواء أكان ذلك بين اللغويين أنفسهم ، أم بينهم وبين الأصوليين ، ونعني بتلك الظواهر قضايا الترادف والمشترك والتضاد ، فهذه الظواهر في حقيقتها ظواهر دلالية قبل أن تكون ظواهر مستقلة بنفسها ، وما قدّمه علماؤنا القدامى في هذا المجال يعدُّ خطوة في العمل الدلالي ؛ إذ تنبه هؤلاء العلماء في وقت مبكر على وجود علاقات تربط ألفاظ اللغة العربية بآسمائها وأفعالها ، ورصدوا تلك الألفاظ ، وصنفوها وفقاً لتلك العلاقات الرابطة بينها ، وألفوا فيها كتباً مستقلة ككتاب (ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه) للأصمعي (ت٢١٦هـ) ، وكتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه) للمبرد (ت٢٨٥هـ) [٢] .

ومما يجدر ذكرُهُ ها هنا إنَّ اللغويين العرب القدماء تنبهوا على هذا التطور الدلالي ، ونصُّوا عليه ، بيَدَ أنّهم لم يتوسعوا في تبيان أسبابه ومظاهره وذلك لأنهم ((كانوا ينظرون إلى العربية على أنها أفضل اللغات جميعاً ، وهي حقيقة يمكن تقبلُّها من خلال نشأة علم اللغة على ما بيَّناه من أنه نشأ لفهم النص القرآني ، فالعربية هي لغة القرآن ، وهي مُستودع حقائقه وأحكامه ، ومعنى ذلك أنّنا يجب أن ننظر إلى آرائهم في تطور اللغة من خلال هذه الحقيقة ، وليس على الأساس الذي ينظر إليه الأوربيون إلى لغاتهم التي كان التطور فيها واضحاً بحيث تكاد تختلف ظواهر اللغة

---

(١) ينظر : علم الدلالة العربية ، فايز الداية : ٧٧ .

(٢) ينظر : معجم دواوين شعراء المعلقات العشر ، ندى الشايع : ٢٣٣ .

اختلافاً كبيراً في فترات زمنية قصيرة على عكس ما حدث في العربية حين ارتبطت بالقرآن)) [١] .

فعلينا أن ندرك ، إذن ، مدى التطور الدلالي الذي أحدثه القرآن الكريم في اللغة العربية وآفاق مدلولاته المتجددة ، فقد أدى إلى بزوغ مدلولات حقيقية وأخرى مجازية من خلال تطور اللغة الزمني ، فانعكس ذلك – بوضوح – في المنهج التحليلي في فهم النص القرآني وتعدد مناهج التفسير [٢] .

ومن أهم مظاهر التطور الدلالي هو :

أولاً : الترادف :

الترادفُ **لغةً** : التتابع ، فالرِّدْفُ : ((ما تَبَعَ الشيء ، وكلُّ شيءٍ تَبِعَ شيئاً ، فهو رِدْفُهُ ، إذا تتابع شيء خلف شيء ، فهو الترادف ، والجمع الرُّدافى)) [٣] .

وفي **الاصطلاح** : هو ((الاتحادُ في المفهوم . وقيل هو توالي الألفاظ المفردة الدَّالةِ على شيءٍ واحد باعتبارٍ واحد)) [٤] .

ولم تكن هذه الظاهرة اللغوية بعيدة عن الحسِّ اللغوي العام الذي أمتاز به علمائنا العرب القدامى ، وإن لم تكن دراستهم بالتفصيل والتقسيم الذي نجده عند المُحدثين ، فقه تنبه عليها القدماء منذ وقت مبكر نتيجة لملاحظاتهم للواقع اللغوي . ولعل سيبويه أول من أشار إلى هذه الظاهرة ، إذ جاء في الكتاب قوله : ((اعلم أنَّ من كلامهم ... اختلاف اللفظين والمعنى واحد ... نحو ذهب وانطلق)) [٥] ، وعبر عنها

---

(١) فقه اللغة في الكتب العربي : ١٠٠ .

(٢) ينظر : دراسات في القرآن ، السيد أحمد خليل ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٣ : ص٦ . والبحث الدلالي في تفسير الميزان ، د. مشكور كاظم العوادي : ٢٧٥ .

(٣) لسان العرب (ردف) : ١١٤/٩ .

(٤) التعريفات : ٢٥ .

(٥) الكتاب : ٢٤/١ .

المبرّد بـ(اختلاف اللفظين والمعنى واحد) ، ومثل له بـ((ظننت وحسبت ، وقعدت وجلست ، وذراع وساعد))[١] .

وأشار ابن جني إلى هذه الظاهرة وعقد لها باباً بعنوان (بابٌ في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني) ، جاء في أوله : ((هذا فصل من العربية حسن ، كثير المنفعة ، قوي الدلالة على شرف هذه اللغة ...)) [٢] .

وقد تباين موقفُ اللغويين العرب إزاء وقوع الترادف في اللغة العربية فأنكره بعضُهم . كابن الأعرابي وثعلب وابن فارس وأبي هلال العَسكري ، ملتمسين الفروق الدقيقة بين الألفاظ حيناً ومفرَّقين بين الأسماء والصفات ، ورجوع المترادفات إلى لهجات متعددة حيناً آخر . في حين أثبته آخرون وهم جمهرة علماء العربية كالاصمعي والرماني وابن خالويه وغيرهم[٣] .

ويمكننا أن نجمل أهم أسباب وقوع الترادف في العربية ، في ضوء ما قرره علماء العرب القدامى والمحدثين ، فيما يلي[٤] :

- التغير الصوتي في بعض ألفاظ اللغة .
- تغير دلالات بعض الألفاظ .
- الاقتراض من اللغات الأخرى .
- اختلاف لغات العرب .

---

(١) ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد : ٢ .

(٢) الخصائص : ٢/١١٣-١١٥ .

(٣) ينظر في تفصيل القول في موقف القدماء من الترادف : الترادف في اللغة ، حاكم مالك الزيادي ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، ١٩٨٠م : ص١٩٦-٢٢١ ، وهامش ترجمة كتاب دور الكلمة في اللغة : ص١٠٤-١٠٦ . وفي علم الدلالة : ٣٧ .

(٤) ينظر : فقه اللغة ، د. علي وافي : ص١٧٢-١٧٥ ، وفي اللهجات العربية : ١٨١-١٨٤ ، وكلام العرب ، د. حسن ظاظا : ص١٠٣-١٠٧ ، والترادف في اللغة : ١٨٠-١٨٤ ، والدلالة اللغوية عند العرب : ص١٠٤-١١٠ ، وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة : ص٢٤١-٢٥٢ .

ولا يفوتنا القول هنا إن القرآن الكريم ينتقي ألفاظه ويختار كلماته فيستخدم كل كلمة بدقة بحيث تؤدي معناها المراد في إحكام شديد ، وعلى هذا فإنّ قضية الترادف في التعبير القرآني غير واقعة ، فكلُّ كلمة توضع في مكانها في البناء لا يصلح غيرها في موضعها ، ولو تقارب المعنى وتساوى معها تماماً ، لأنَّ لكل لفظة دلالة خاصة وإيحاءاً خاصاً ، وانسجاماً في التركيب . وهذا ما عبرت عنه الدكتورة عائشة عبد الرحمن بقولها : ((للكلمة في موضعها من القرآن سرها البياني الفريد ، لا تؤديه كلمة أخرى مهما تبدو قريبة أو مرادفة لها)) [١] .

إذ إنَّ اختيار القرآن الكريم للألفاظ في دلالتها ، إنّما جاء متناسقاً مع مقتضيات الحال وطبيعة المناسبة فالقرآن يعبر عن المعنى المراد بلفظ معين ، ويحرص على أن يكون هذا اللفظ بذاته هو المقصود دون غيره من الألفاظ التي تبدو قريبة منه أو مرادفة له[٢] .

ومن الألفاظ التي أوردها ابن منظور في معجمه – لسان العرب – ولم يفرق بينهما من حيث الدلالة لفظتا (حَلَفَ وأقسم) ، يقول ابن منظور بشأن لفظة (حلف) : ((الحِلْفُ والحَلِفُ : القَسَمُ لغتان ، حَلَفَ أي أقْسَم يحْلِفُ حَلْفاً وحِلْفاً ومَحْلُوفاً)) [٣] ، ويقول أيضاً بشأن لفظة (قسم) : ((وأقسَمْت : حلفت ، وأصله من القسامة))[٤] .

بَيْدَ أنَّ القرآن الكريم قد التمس الفرق الدقيق بين دلالة الفعلين ففرق بين دلالتيهما ؛ إذ استعمل الفعل (حلف) وما يشتق منه في معرض اليمين الكاذب ، الذي يصدر عن أناس منافقين أو غير ملتزمين بأيمانهم . يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ

(١) الإعجاز البياني للقرآن : ٢٠٩ .
(٢) ينظر : صفاء الكلمة : د. عبد الفتاح لاشين : ١٨٤ .
(٣) لسان العرب : (حلف) : ٥٣/٩ .
(٤) المصدر السابق : (قسم) : ٤٨٩/١٢ .

﴿ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (التوبة-٤٢) .

يتبين ها هنا أن ابن منظور يعد اللفظتين مترادفتين أو هما بالمعنى نفسه وإن لم ينصَّ ذلك بالمصطلح اللغوي (الترادف) .

ويقول تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة-٦٢) ، ويقول تعالى : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ (المجادلة - ١٨) ، ويقول عز وجل : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ (القلم : ١٠-١٢) .

في حين لم ترد مادة (اقسم) في القرآن الكريم إلا في معرض الصدق والأيمان الصادقة ، وغالباً ما أسند القسم إلى الله عز وجل ، يقول الله سبحانه : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (الواقعة-٧٦) ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام-١٠٩) ، وقوله تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ (المعارج-٤٠) . وقال عز وجل : ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل-٣٨) .

وبهذا يكون القرآن الكريم قد خصص معنى الحلف ومعنى القسم ، وجعل منهما مصطلحين جديدين يسهمان في اثبات إعجاز القرآن الكريم وفي الإشارة إلى كنوزه الكثيرة التي لا تنتهي مهما فسر المفسرون ، واجتهد الباحثون .

وهذا ما أكدته الدكتورة عائشة عبد الرحمن إذ قالت : ((وأمام هذا البيان القرآني ، لا يهون أبداً أن نفسر القسم بالحلف ، وصنيع القرآن يلفت إلى فرق دقيق بينهما . فإن لم تقل إن القسم لليمين الصادقة – حقيقة أو وهماً – والحلف لليمين الكاذبة على إطلاقها ، فلا أقلَّ من أن يكون بين دلالتهما الفرق بين العام والخاص : فيكون القسَم لمطلق اليمين بعامة ، ويختص الحِلْف بالحنث في اليمين، على ما أطرد استعماله في البيان القرآني)) [١] .

ومن الألفاظ المترادفة الأخرى التي أوردها ابن منظور في معجمه ولم يفرق بينهما ، لفظتا (الغيث والمطر) ، يقول ابن منظور : ((الغَيْثُ : المطر والكَلأ))[٢] ، فقد فسَّر ابن منظور الغيث بالمطر ولم يجعل بينهما فرقاً . وتابع بعض المفسرين هذا الاتجاه نفسه ، ولم يلحظوا الفرق بين الغيث والمطر في القرآن ، فتحدثوا عن المطر أنه سبب الرحمة والخير . قال الخازن في تفسير قوله تعالى : ﴿ بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ﴾ (الأعراف–٥٧) : يعني أمام المطر الذي هو رحمته وإنما سماه رحمة لأنه سبب لحياة الأرض الميتة[٣] .

أما القرآن الكريم فقد جعل بينهما فرقاً واضحاً وأعطى كُلاًّ منهما دلالة مميزة. وجعل كُلاً منهما مصطلحاً قائماً بذاته عند من يتحرى الدقة في فهم آيات الله ومعانيه .

---

(١) الإعجاز البياني للقرآن : ٢٢٤ .

(٢) لسان العرب (غيث) : ٢/١٧٥ .

(٣) ينظر : تفسير الخازن : ٢/٢٠٠ .

أما دلالة الغيث في القرآن الكريم فتعني الماء المنسكب من السماء رحمة للعباد ، وهو سبب الخير والنماء والرّي والعطاء والزرع ، وهو متاع للناس والأنعام . هكذا تحدثت الآيات الكريمة التي ذكر فيها الغيث ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (الشورى–٢٨) ، وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾ (لقمان–٣٤) .

وقال تعالى : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾ (الحديد–٢٠) .

وأمّا (المطر) فهو في القرآن على العكس من ذلك كله ، فهو نقمة الله على الكافرين والمعرضين ، يرسله الله عزّ وجلّ عقاباً للأمم الكافرة . وآيات القرآن تقرر ذلك بوضوح ، بطريقة تشعر أن المطر صار أداة العقاب والعذاب . قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٢–٨٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ (الحجر–٧٤) .

وقال عز وجل : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ (سورة الشعراء–١٧٣ ، وسورة النمل – ٥٨) .

وقـــــال تعـــــالى : ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾ (الفرقان– ٤٠) .

وما من شك في إنَّ هذا التمييز بين دلالة (الغيث) ودلالة (المطر) في القرآن الكريم لم يكن صدفة . إنما هو مقصود من الله عزّ وجلّ . وهو دليل على نفي الترادف في القرآن الكريم ومظهر من مظاهر الإعجاز في التعبير لم يتعود عليه العربي بَلْهَ أن يأتي بمثله ، وقد رأينا أنهم لم يفرقوا بينهما في الاستعمال ، وأن كثيراً من الناس – حتى اليوم – لم يتنبهوا على هذه الدلالات الدقيقة والعجيبة بين الكلمات . وهذا يكفي للتأكيد على أنّ (الغيث) و(المطر) كليهما من المصطلحات الجديدة في القرآن الكريم . وأن التطور الدلالي دليل جديد وأكيد ، على إعجاز القرآن الكريم[١] .

ثانياً : المشترك اللفظي :

ويقصد به ((أن تكون الفظة محتملة لمعنيين أو أكثر)) [٢] ، وعرَّفه الجرجاني بأنه : ((ما وضع لمعنى كثيرٍ بوضع كثير ، كالعين لاشتراكه بين المعاني)) [٣] ، وعرَّفه الأصوليين بأنه ((اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة)) [٤] ، وقد تنبه علماء العربية القدماء على هذه الظاهرة اللغوية ويعد سيبويه أقدم من أشار إلى هذه الظاهرة ، وان لم تكن بصريح العبارة إذ ذكر إن من كلامهم : إتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، ومثل له بقوله : ((وجدتُ عليه من المَوْجدة ، ووجدت إذا أردت وجدان الضّالّة))[٥] وألف بعضهم مصنفاتٍ مفردةٍ لجمع الألفاظ المشتركة ما وقع منها في القرآن الكريم ، أو في الحديث النبوي

---

(١) ينظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : ٥٠٧–٥٠٩ .

(٢) الصاحبي ، ابن فارس : ٢٦٩ .

(٣) التعريفات : ٩٤ .

(٤) المزهر : ٣٦٩/١ ، وينظر : المستصفى في علم الأصول ، الغزالي : ٣١/١ .

(٥) الكتاب : ٢٤/١ .

الشريف ، أو في العربية عامة ، وأبرز هذه الكتب كتاب (المُنَجِّد في اللغة) لكراع النَّمل (ت٣١٠هـ) [١] .

ويتبيَّن ، باستقراء الأمثلة التي أوردها للمشترك اللفظيّ ، أنه يتحقق لديهم حينما تؤدي الكلمةُ أكثر من معنى من دون نظر إلى وجود علاقة بين الدلالتين أولاً، ومن دون نظر إلى انتماء الدلالتين إلى لهجة واحدة أو إلى لهجتين ، ودون اعتبار كذلك للقسم الكلامي (اسم – فعل – صفة ...) للفظ في دلالته على المعنيين المختلفين[٢] .

وقد أنكر وقوع المشترك اللفظي في العربية ، بعضُ علماء العرب كابن دُرُستَويه ، ولكن أكثرهم يُثبتونه[٣] .

ويمكننا أن نجمل أهم أسباب وقوع المشترك اللفظي في اللغة العربية ، في ضوء ما قرَّره بعض علمائنا القدماء والمحدثين ، في العوامل الآتية :

- التغير الدلالي الناتج عن الاستعمال المجازي .
- اختلاف لغات (لهجات) العرب .
- التغير الصَّوتي .
- الاقتراض من لغات أخرى .
- العوارض التصريفية[٤] .

---

(١) ينظر في تفصيل ذلك : علم الدلالة : ص١٤٧-١٥٥ .

(٢) ينظر : علم الدلالة : ١٥٨-١٥٩ .

(٣) ينظر : المزهر : ١/٣٦٩-٣٧٠ و٣٨٤-٣٨٦ .

(٤) ينظر في تفصيل القول في هذه العوامل : في اللهجات العربية : ١٩٥-٢٠٤ ، وكلام العرب : ١٠٨-١١١ ، وعلم الدلالة : ١٥٩-١٦٢ ، وفصول في فقه اللغة ، د. رمضان عبد التواب : ٣٢٦-٣٣٣ ، والمشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً ، د. توفيق شاهين ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م ، والدلالة اللغوية عند العرب : ١١٦-١٢١ ، وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة : ٢٦٠-٢٦٣ ، وفي علم الدلالة : ٣٩-٤٠ .

وقد بحث علماء العربية في ظاهرة المشترك اللفظي ، فكانت عنايتهم بتصرف اللفظة القرآنية لمعان مختلفة كبيرة جداً ولأجله تعددت المصنفات التي حملت عنوان (الوجوه والنظائر في القرآن) ومنها[١] :

- الوجوه والنظائر في القرآن ، لمقاتل بن سليمان البلخي (ت١٥٠هـ) .
- الوجوه والنظائر في القرآن ، لهارون بن موسى الأزدي (ت١٧٠هـ) .
- الوجوه والنظائر ، للحسين بن محمد الدامغاني (من علماء القرن الخامس الهجري) .

فالوجوه : اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معانٍ كلفظ (الهدى) الذي عدَّ له العلماء سبعة عشر معنى في القرآن الكريم[٢] .

وهنا يجب القول : إذا ثبت وقوع المشترك في اللغة ، فليس هناك ما يسوغ عدم وقوعه في القرآن الكريم ، لأنَّ القرآن نزل بلغة العرب ، وعلى طرائقهم في التعبير .

وقد عدَّ السيوطي من إعجاز القرآن ألفاظه المشتركة ، بل هي من أعظم إعجازه – كما يرى – ((حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً ، وأكثر وأقل ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر)) [٣] .

وكأن السيوطي يشير إلى قابلية اللفظ القرآني لتحمل المزيد من الدلالة ، وهذا هو الإعجاز القرآني الذي منح اللفظ العربي امتداداً في المدلول ، فأحدث ثروة لغوية لم تعرفها لغة من لغات البشر .

وقد تنبّه باحث معاصر على هذه الميزة في دلالة اللفظة القرآنية ، فقال : ((أما شأن القرآن فعجيب ؛ إذ هو يخرج تماماً عن حدود هذه القاعدة بحيث تتسع ألفاظه للمعاني المحدثة في حالات كثيرة ، ولاسيما الألفاظ المفاتيح التي تتصل بمعاني

---

(١) ينظر : علم الدلالة : ١٤٧-١٤٩ .

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ١٠٢/١-١٠٣ .

(٣) معترك الأقران : ٣٨٧/١ ، وينظر : علم الدلالة : ١٤٨ .

الصفات الإلهية والغيب والعلم الإلهي ، والموجودات الكونية التي أثبت القرآن وجودها بل وكثير من الألفاظ الأخرى)) [١] .

ويعد التطور الدلالي من أهم العوامل التي تفضي إلى المشترك اللفظي وكان مصنفو المعاجم حريصين على الوقوف عند الأصول الدلالية للفظ الذي يضطلعون بشرحه وتفسيره وعملهم هذا اطلعنا على الوجوه الدلالية للفظ الواحد ولاسيما أنهم كانوا يعززون أقوالهم وآراءهم اللغوية بالشاهد اللغوي . ومثال ذلك ما أورده ابن منظور في معجمه – لسان العرب – بشأن مادة (نظر) ، إذ ذكر لهذه اللفظة معاني مختلفة ، واستشهد على هذه المعاني بآيات قرآنية مباركة ومن هذه المعاني : النظر بالبصر ، يقول ابن منظور : ((النَّظَر : حِسُّ العين ، نَظَره يَنْظُره نَظَراً ومَنْظَراً ومَنْظَرة ونَظَر إليه))[٢] . وقد جاء هذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾ (الأعراف–١٤٣).

ومنها الإمهال والتأخير ، يقول ابن منظور : ((الإنظار : التأخير والإمهال . يقال : أَنْظرتَهُ أُنظِره . ونَظَرَ الشيءَ : باعه بِنَظِرَةٍ . وأَنْظَرَ الرجلَ : باع منه الشيء بِنَظِرَةٍ . واستَنظَره : طلب منه النَّظِرَةَ واستمهله . ويقول أحد الرجلين لصاحبه : بيْعٌ ، فيقول : نِظْرٌ أي أنظِرْني حتى اشتريَ منك . وتَنَظَّرْهُ أي انْتَظِرْهُ في مُهْلَةٍ))[٣] .

وهذا ما نلحظه في رجاء الشيطان من الله سبحانه وتعالى أن يمهله إلى يوم القيامة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (الأعراف–١٤) .

وجاء بمعنى الإنتظار للشيء ، يقول ابن منظور : ((والنَّظَرُ : الانتظار . يقال : نظَرْتُ فلاناً وانتظَرْتُه بمعنى واحد ، فإذا قلت انتَظَرتُ فلم يُجاوِزك فعلك فمعناه وقفت

---

(١) نظرة جديدة في دلالة الكلمة القرآنية ، د. عبد الصبور شاهين (بحث) : ص٦٦ .
(٢) لسان العرب (نظر) : ٢١٥/٥ .
(٣) لسان العرب (نظر) : ٢١٩/٥ .

وتمهلت. ومنه قوله تعالى: ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ (الحديد-١٣) ، قرئ : انْظُرُونا وأنْظِرُونا بقطع الألف ، فمن قرأ[١] انظُرُونا ، بضم الألف موصولة، فمعناه انتظِرُونا ، ومن قرأ أنظِرُونا[٢] بقطع الألف : فمعناه آخرونا وقال الزجاج : قيل معنى أنظِرُونا انتظِرُونا أيضاً ... وقال الفرّاء : تقول العرب أنظِرْني أي انْتَظِرْني قليلاً ، ويقول المتكلم لمن يُعْجِلُه : أنظِرْني أبتَلِعْ رِيقي أي أمهِلني))[٣] .

وجاء أيضاً بمعنى الرحمة ، يقول ابن منظور : ((والنَّظرةُ : الرحمة . وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (آل عمران-٧٧) ؛ أي لا يرحمهم))[٤] .

وصفوة القول أنَّ ابن منظور يستدلّ على هذه الألفاظ التي تندرج في ضمن المشترك اللفظي بآيات قرآنية مباركة يؤكد فيها اختلاف الدلالات ويثبت لكل لفظة دلالاتها الخاصة على وفق السياق الخاص بها .

ويمكن الاستدلال على وقوع المشترك في اللغة العربية بما هو أبسط مما قيل، أليست هذه اللغة مدحت بأن مفرداتها غنية بالمعاني ثرية بمدلولاتها ؟ أليست الكلمة أجمل عندما تدلي بمعانٍ عدة لترتقي بعد ذلك في ترتيب سياقها في الجملة والتعبير بشكل أكثر دقة ، لإفهام السامع أن المعنى المراد من اطلاق هذه الكلمة هو كذا ، لا شيء آخر ؟ .

---

(١) وهي قراءة الستة الباقين ، ينظر : السبعة في القراءات : ٦٢٦ ، اعراب القراءات السبع وعللها : ٣٥٠/٢، والقراءات وعلل النحويين فيها : ٦٧٣ ، والتيسير في القراءات السبع : ٢٠٨ .

(٢) وهي قراءة حمزة ، ينظر : السبعة : ٦٢٥ ، واعراب القراءات السبع وعللها : ٣٥٠/٢ ، والتيسير : ٢٠٨.

(٣) لسان العرب (نظر) : ٢١٦/٥ ، وينظر : معاني القرآن للفرّاء : ١٣٣/٣ ، ومعاني القرآن للزجاج : ٩٨/٥ ، واعراب القراءات السبع وعللها : ٣٥٠/٢-٣٥١ . والقراءات وعلل النحويين فيها : ٦٧٣/٢.

(٤) لسان العرب (نظر) : ٢١٨/٥ .

إن وجود المشترك في اللغة العربية ما هو إلا لرفع شأنها ، وتأكيد على تميزها عن غيرها ويبقى للسياق أثره الحاسم في تحديد المعنى المراد من اللفظ اللغوي الذي يرد في الآيات القرآنية المباركة .

لوحظ من خلال ما تقدمَّ أنَّ عامل السياق له أثر كبير فيما يطلق عليه بالمشترك اللفظي ، فلابدَّ لأمثلة المشترك من أن تستعمل في سياق معين لكي تفهم معانيها المحتملة . وهنا يبرز عامل القرينة الذي يرجح أحدى الدلالات المشتركة .

ومن قبيل ذلك أيضاً ما جاء في – لسان العرب – بشأن مادة (عزز) ، إذ أورد ابن منظور لهذه المادة معانيَ عديدة ، منها الرفعة والامتناع ، يقول : ((والعِزُّ والعِزَّة : الرفعة والامتناع ، والعِزَّة لله ؛ وفي التنزيل : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المنافقون–٨) ؛ أي له العِزَّة والغلبة سبحانه))[١] ، ومنها أيضاً الغلظة، إذ يقول ابن منظور : ((وعَزَّ يَعِزُّ ، بالكسر ، عِزّاً وعِزّةً وعَزازَة ، ورجل عَزِيزٌ من قوم أعِزَّة وأعِزَّاء وعِزازٍ . قال تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (المائدة–٥٤) ؛ أي جانبهم غليظٌ على الكافرين لَيِّنٌ على المؤمنين))[٢] .

ومن معانيه أيضاً المنيع ، يقول ابن منظور : ((ورجلٌ عزِيزٌ : مَنِيع لا يُغلب ولا يُقْهر ، وقوله عز وجل : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ (الدخان–٤٩) ؛ معناه ذُق بما كنت تَعدُّ في أهل العِزّ والكرم ... وقال الزجاج : نزلت في أبي

(١) لسان العرب : (عزز) : ٣٧٤/٥ .
(٢) لسان العرب (عزز) : ٣٧٤/٥ .

جهل ، وكان يقول : أنا أعَزُّ أهلِ الوادي وأمنعُهم ، فقال الله تعالى : ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ، معناه ذُقْ هذا العذاب إنك أنت القائل أنا العَزِيزُ الكريم)) [١] .

وجاء في معناه أيضاً ، التقوية ، إذ قال ابن منظور : ((وعَزَزْتُ القومَ وأعْزَزْتُهم وعَزَّزْتُهم : قَوَّيْتُهم وشَدَّدتهم . وفي التنزيل العزيز : ﴿ فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ (يس-١٤) ؛ أي قَوَّينا وشَدَّدنا)) [٢] .

ومن معانيه أيضاً ، القهر والغلبة ، إذ قال ابن منظور : ((وعَزَّه يَعُزُّه عَزّاً : قهره وغلبه . وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ (ص-٢٣) ؛ أي غلبني في الاحتجاج)) [٣] .

نرى إذن أنَّ القرآن الكريم يمثّل العامل المهم في حسم دلالة الألفاظ وتحديد التباين في المعاني فيما بينها ويلحظ في ذلك أن السياق القرآني غالباً ما كان يحدِّد الدلالة المقصودة من دلالات اللفظ المتعددة ، وكان السياق بهذا ، يمثل صمام الأمان الذي يحول دون الوقوع في الخلط واللبس ، كما يقول أولمان[٤] . أو بقطع دلالة اللفظة وتحديد معناها .

يُستبانُ من خلال ما تقدم أنَّ أثر القرآن الكريم في تطور الدلالة اللغوية للألفاظ واضحٌ جلي ، وشواهده متعددة .

فكان القرآن الكريم قد أحاط بكل عوامل التغير في المعنى ، والتطور في الدلالة ، فجاء التعبير القرآني الذي هو الغاية في كل شيء ، فصنع دلالات كثيرة وجديدة من واقع اللغة نفسها ، الأمر الذي أدى إلى نشوء هذه الظاهرة اللغوية التي تعد مظهراً مهماً من مظاهر الإعجاز البياني للقرآن .

---

(١) المصدر نفسه : ٣٧٥/٥ . وينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣٢٦/٤ .

(٢) لسان العرب (عزز) : ٣٧٦/٥ .

(٣) المصدر السابق : ٣٧٨/٥ .

(٤) ينظر : دور الكلمة في اللغة : ١٢٦ .

وهذا ما استثمره ابن منظور في معجمه موائماً في ذلك بين غاية المعجم في تحديد دلالة اللفظة اللغوية والبحث عن الدلالات والمعاني الأخرى لها أو ما تتحمله اللفظة موضع الحديث من دلالات أخرى ومعانٍ متنوعة ، وكان دور القرآن هنا واضحاً في توسيع دلالة الألفاظ وتنوع دلالتها لكونه المصدر الرئيس الذي يُلجأ إليه في توسع هذه الدلالة وتنوع معانيها وإلباسها حللاً جديدة يقتضيها السياق وقصدية المعنى الذي يراد تبليغه فكان القرآن بذلك مصدراً لإغناء الثروة اللغوية وتوسيع دلالات الألفاظ العربية .

ثالثاً : الأضداد :--

الأضداد في اللغة جمع الضدِّ ، والضدّ : ((كل شَيء خالف شيئاً ليغلبه ، والسواد ضد البياض ، والموت ضد الحياة ، والليل ضد النهار)) [١] .

وفي الاصطلاح ، هو دلالة اللفظ على معنيين مُتنافِيَّين[٢] (متضادين) ، وذلك كدلالة لفظ الجَون على الأبيض والأسود .

والأضداد ، بهذا المفهوم ، تختلف عما يدرسه المحدثون تحت مصطلح (التضاد) ، إذ يشير هذا المصطلح إلى وقوع التضاد بين دلالتي لفظين مختلفين ، وليس بين دلالتي لفظ واحد ، وذلك كالتضاد بين لفظي الأبيض والأسود .

---

(١) لسان العرب (ضدد) : ٢٦٣/٣ .

(٢) ينظر : الأضداد في كلام العرب ، أبو الطيب اللغوي ، تحقيق ، د. عِزَّة حسن ، دمشق ، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م : ١/١ .

لكن من غير قصد العرب وضع معنيين متناقضين لكلمة واحدة بمساواة بينهما ، فأحد المعنيين لحي من العرب ، والثاني لحي آخر[١] . أو إن أحد المعنيين هو الأصل في الوضع لكن تداخلا ، وحصول ذلك على جهة الاتساع[٢] .

وأمّا لغويو العرب القدماء ، فقد عُنوا بدراسة هذه الظاهرة عناية كبيرة ، وأفردها بعضُهم بمصنَّفاتٍ مستقلة ، حاولوا فيها أن يجمعوا كلَّ ألفاظ الأضداد ، ومن هؤلاء اللغويين : قُطْرُب[٣] (ت بعد٢٠٦هـ) والأصمعي (ت٢١٦هـ) وابن السِّكِّيت (ت٢٢٤هـ) وأبو حاتم السَّجستاني (ت٢٥٥هـ) والصاغاني[٤] (ت٦٥٠هـ) والتَّوزِي[٥] (ت٢٣٣هـ) وابن الأنباري[٦] (ت٣٢٨هـ) وأبو الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ) وابن الدهان[٧] (ت٥٦٩هـ) ، كما تناول آخرون هذه الظاهرة في أثناء مصنفاتهم كابن قتيبة[٨] والثعالبي[٩] والسيوطي[١٠] .

وقد أنكر وقوع هذه الظاهرة في اللغة العربية بعض اللغويين كثعلب[١١] وابن دُرُسْتَويه[١] في حين أثبتها أكثرهم[٢] .

---

(١) الأضداد ، محمد بن القاسم الأنباري : ص١١ .

(٢) ينظر : المزهر : ٤٠١/١ .

(٣) نشر كتابه هانس كوفلر في مجلة إسلاميكا – العدد الثالث – المجلد الخامس ، ١٩٣١م .

(٤) نشر كتب هؤلاء جميعاً د. أوغست هفنر في مجلد واحد ، وطُبع بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت ، ١٩١٢م . ونشرته دار الشروق ببيروت مصوراً عن هذه الطبعة .

(٥) حققه د. محمد حسين آل ياسين، ونشرته مجلة المورد–العدد الثالث–المجلد الثامن، ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م.

(٦) حققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، وطبع في مطبعة حكومة الكويت ، ضمن سلسلة التراث العربي التي تصدرها وزارة الإعلام بالكويت ، ١٩٨٦م .

(٧) حققه الشيخ محمد حسن آل ياسين ، ضمن مجموعة نفائس المخطوطات ونشرته مكتبة النهضة ، بغداد (د.ت) .

(٨) ينظر : أدب الكاتب ، تحقيق محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥ : ص٢٠٨–٢١٢ .

(٩) ينظر : فقه اللغة وسر العربية : ص٣٤٨–٣٤٩ .

(١٠) ينظر : المزهر : ٣٨٧/١–٤٠٢ .

(١١) ينظر : شرح أدب الكاتب ، الجواليقي ، تقديم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ، دار الكاتب العربي ، بيروت (د.ت) : ص١٨٢ .

ونستطيع أن نجمل أهمُّ أسباب وقوع هذه الظاهرة في العربية ، في ضوء ما قرّره علماء اللغة العرب قدامى ومحدثين ، فيما يلي :

- عموم المعنى الأصلي .
- التغيُّر أو الانتقال الدلالي .
- دلالة اللفظ على معنى وسط .
- احتمال الصيغة الصرفية للدلالتين المتضادتين .
- الخوف من الحسد .
- التفاؤل والتشاؤم[٣] .

ويمكننا القول إن ظاهرة الأضداد من أقدم الظواهر اللغوية التي تنبَّه عليها علماء العربية ، لأنّها أثارت إعجابهم بقدرة اللفظ الواحد على تأدية معنيين متضادين، لذا كان تبلور مصطلح لهذه الظاهرة متقدماً ويمكننا أن نعدَّه من أقدم مصطلحات اللغة صياغة ودليل ذلك تسمية علماء العربية لمصنفاتهم بهذا المصطلح. وإن من التعسف إنكار هذه الظاهرة اللغوية لإن هذا الإنكار ليس له ما يسوغه ، فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني ، وربما ((تكون أقرب إلى الذهن من أية علاقة أخرى)) [٤] ، فكل كلمة تثير معناها المضاد[٥] ، بل إنّ التضاد والتناقض سمة من

---

(١) ينظر : المزهر : ٣٩٦/١ .

(٢) ينظر : علم الدلالة : ١٩٥ .

(٣) ينظر في تفصيل القول في هذه العوامل : فقه اللغة ، د. علي وافي ، ص١٩٤-١٩٨ ، وفي اللهجات العربية : ص٢٠٨-٢١٥ ، وكلام العرب : ص١١٢-١١٣ ، وعلم الدلالة : ٢٠٤-٢١٤ ، والتضاد في ضوء اللغات السامية ، د. ربحي كمال ، دار النهضة العربية ببيروت ، ١٩٧٥م ، ص١٠-١٧ ، والمشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً : ص١٤٨-١٦٩ ، والكلمة دراسة لغوية ومعجمية : ١٨٧-١٨٩ ، وفصول في فقه اللغة : ص٣٤٢-٣٥٧ ، والدلالة اللغوية عند العرب : ١٢٧-٣١١ ، وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة ، ص٢٦٦-٢٦٨ ، وفي علم الدلالة : ٤٢-٤٣ .

(٤) في اللهجات العربية ، د. إبراهيم أنيس : ٢٠٧ .

(٥) ينظر : فقه اللغة ، د. كاصد الزيدي : ١٥٢ .

سمات الفكر ، وسمة من سمات الكون والحياة ، ومهما يكن من أمر ، فلا يمكن إنكار الأضداد في اللغة العربية لمجيء ذلك في كلام العرب وفي القرآن الكريم ، بل إنّ الرغبة في خدمة القرآن الكريم كانت من الدوافع المهمة في نشوء حركة التأليف في الأضداد . وقد أشار إلى ذلك أبو حاتم السجستاني (ت٢٤٨هـ) إذ قال فيه : ((... حملنا على تأليفه أنَّا وجدنا من الأضداد في كلامهم والمقلوب شيئاً كثيراً ... فأردنا أنْ يكون لا يرى من لا يعرف لغات العرب أن الله عزّ وجل حين قال : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴾ (الأعراف : ٩٥) ، مدح الشاكين في لقاء ربهم وإنَّما المعنى يستيقنون))[١] .

وقد أورد ابن منظور ألفاظاً كثيرة ونصّ على أنها من الأضداد ومن ثم أورد معانيها المتضادة مشفوعاً بأدلة من السماع المتمثل بآيات الذكر الحكيم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي ومن ذلك ما جاء في – لسان العرب – : ((وأسّرَّ الشيء : كتمه وأظهره ، وهو من الأضداد ، سرَرْتُه : كتمته ، وسررته : أعلنته ... أسررت الشيء أخفيته ، وأسررته أعلنته ، قال الشاعر :

فَلَمَّا رَأى الحَجَّاجَ جَرَّدَ سَيْفَه أسَرَّ الحَرُورِيُّ الذي كان أضْمَرا

ومن الإظهار قوله تعالى : ﴿ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ (يونس– ٥٤) ؛ أي أظهروها)) [٢] .

ومن الجدير بالذكر هنا إنّ بعض العلماء تنبهوا إلى أهمية السياق في معرفة ضدية الألفاظ ، وشبهوا الأضداد بالمشترك اللفظي من حيث تحديد المعنى بالسياق ومن هؤلاء ابن الانباري ، إذ قال : ((ومجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التي

---

(١) الأضداد ، أبو حاتم السجستاني : ٧٢ ، وينظر : علم الدلالة : ١٩٩–٢٠٠ .

(٢) لسان العرب (سرر) : ٣٥٧/٤ .

تقع على المعاني المختلفة ، وإن لم يكن متضادة ، فلا يعرف المعنى المقصود منها إلا بما يقدم الحرف ويتأخر بعده ...)) [١] .

وفي بيانه لدلالة لفظة (أُخْفِيها) التي وردت في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ (طه-١٥) ، يقول ابن منظور : ((وخَفَيتُ الشيءَ أخفِيه : كَتَمْتُه . وخَفَيْتُه أيضاً : أظْهَرْتُه ، وهو من الأضداد))[٢] .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا إن بعض العلماء لم يصرح بضدية هذه اللفظة وذهبوا إلى أنَّها لا تحتمل غير معنى الإظهار ، ومن هؤلاء ابن جني ، إذ يقول : ((قوله عز اسمه : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ تأويله ، والله أعلم ، عند أهل النظر : أكاد أُظهرهُا . وتلخيص حال هذه اللفظة : أي أكاد أُزيل عنها خفاءها، وخفاءُ كل شيء : غِطاؤه ..)) [٣] .

وتبعه في هذا الرأي تلميذه الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) الذي قال : ((أنَّ قوله تعالى (أُخْفِيهَا) يَؤُول إلى معنى الإظهار ، لأنَّ المراد : أكاد أسْلُبها خفاءها . والخفاء : الغشاء والغطاء ، مأخوذ من خفاء القربة ، وهو الغشاء الذي يكون عليها. فإذا أسلب عن الساعة غطاؤها المانع من تجليها ظهرت للناس فرأوها . فكأنه تعالى قال: أكاد أُظهرها)) [٤] .

---

(١) الأضداد : ٣-٤ . وينظر : (نفسه) ، ٩٤ ، والمزهر ، للسيوطي : ٣٩٩/١ .

(٢) لسان العرب (خفا) : ٢٣٤/١٤ .

(٣) سر صناعة الإعراب : ٤٣/١ ، وينظر : الأضداد في اللغة ، محمد حسين آل ياسين : ١٩١ .

(٤) تلخيص البيان في مجازات القرآن ، الشريف الرضي ، تحقيق ، محمد عبد الغني حسن ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٥م : ص٢٢١ .

فابن جني – كما هو واضح – يرى أنّ الهمزة في قراءة[١] (أُخْفِيهَا) بالضم هي همزة السلب ، وذلك بأن تسلب معنى الفعل الثلاثي وتقلبه إلى المعنى المضاد، كما يقول في موضع آخر : ((وأفْعَلت هذه وإن كانت في غالب أمرها ، إنَّما تأتي للإثبات والإيجاب ... فقد تأتي أفْعَلْتُ أيضاً يُراد بها السَّلب والنفي ، وذلك نحو أشكيتُ زيداً ، إذا زُلْتُ له عما يشكوه)) [٢] .

وعلى هذا فالضدّية هنا لا تعود إلى اللفظة ذاتها ، وإنَّما إلى اختلاف الصيغة الصرفية بين (فَعَلَ وأفْعَلَ) .

ومما استشهد به ابن منظور أيضاً ما ذكره بشأن لفظة (شَرَى) الواردة في الآية المباركة قال تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ (يوسف–٢٠) إذ قال : ((... شَرَيَتُ الشيءَ أشريه شِراءً إذا بعْتَهُ وإذا اشتَرَيْتُه أيضاً ، وهو من الأضداد)) [٣] .

فقد نصَّ ابن منظور على ضدية هذه اللفظة التي تستعمل في البيع والشراء.

ومما استشهد به ابن منظور أيضاً في باب الأضداد ما أورده بشأن لفظة (عزر) الواردة في قوله تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف–١٥٧) ، إذ قال : ((وأصل التَّعْزير: التأديب ، ولهذا يسمى الضربُ دون الحد تَعزيراً إنما هو أدَبٌ . يقال : عَزَرْتهُ وعَزَّرْتُه ، فهو من الأضداد ، وعَزَّرَه : فخَّمه وعظَّمه ، فهو نحْوُ الضد))[٤] .

---

(١) وقراءة (أكاد أخفيها) بالفتح هي قراءة شاذة قرأ بها الحسن وسعيد بن جبير وأبو الدرداء ، ينظر : معاني القرآن للفرّاء : ١٧٦/٢ ، ومختصر شواذ القراءات ، ابن خالويه : ٨٧ . وقراءة الضم هي قراءة .

(٢) سر صناعة الأعراب : ٤٢/١ ، وينظر الخصائص : ٧٥/٣–٨٣ .

(٣) لسان العرب (شري) : ٤٢٨/١٤ .

(٤) لسان العرب (عزر) : ٥٦٢/٤ .

قال الزمخشري : ((أصل التعزير المنع ومنه التعزير وهو الضرب دون الحد لأنه مَنع من معاودة القبيح)) [١] وصحيح أن هذه اللفظة من الأضداد ، إلا أنه لما يصار إلى تعزير أحد فذلك نوع من أنواع مؤازرته لينتصر على نفسه، كي لا يعاود ارتكاب الفعل المحظّر مرة أخرى ، ولعل من ذلك حديث نبينا عليه وعلى آله الصلاة والسلام : ﴿أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فقال رجل ، يا رسول الله ، أنصره إذا كان مظلوماً ، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره ؟! قال : تحجزه أو تمنعه من الظلم ، فإن ذلك نصره)) [٢] .

وصفوة القول إن ظاهرة الأضداد من أهم الظواهر اللغوية في تراثنا اللغوي، وقد دافع عن وجودها كبار علمائنا ولغوبينا القدامى مع ما قد تسببه من لَبس بين المتخاطبين ، فقد ذهب ابن الأنباري إلى أنَّ ((كلام العرب يصحَّح بعضه بعضاً ، يرتبط أوله بآخره ، ولا يُعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ، لأنهما يتقدمان ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، ولا يراد بها حال التكلم والإخبار إلا معنىً واحد)) [٣] .

رابعاً : الحقيقة والمجاز :-

حظيت قضية الحقيقة والمجاز باهتمام اللغويين والبلاغيين والأصوليين ، فقد تم تداولها كلٌّ من وجهة نظر خاصة ، فما يهمُّ اللغوي منه كيفية انتقال الألفاظ من الحقيقة إلى المجاز ، وما ينتج عن هذا الانتقال من ظواهر دلالية . وقد درس البلاغي الحقيقة والمجاز ليكشف عن العلاقة الرابطة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي البعيد ، لتلمس عناصر الجمال الفني . أمّا الأصوليون فقد ((كان غرضهم الوصول

---

(١) الكشاف : ٥١٨/٢ .

(٢) صحيح البخاري : ٤٠٠/١٢ .

(٣) الأضداد ، ابن الأنباري : ٢ ، ونقله السيوطي في المزهر : ٣٩٧/١-٣٩٨ .

إلى تأصيل الاستعمال الحقيقي والمجازي للألفاظ في تراكيبها المختلفة ، لاستنباط الأحكام الشرعية منها ، والنظر في مدى ثبوت الحقائق الثلاث : اللغوية ، والعرفية ، والشرعية)) [١] ، ويفتتح معظم الأصوليين مباحثهم بالبحوث اللغوية ، لكونها معيناً دلالياً يعين في الكشف عن معاني الآيات القرآنية ، وتأدية الوظائف الفقهية[٢] .

والحقيقة في اللغة هي ((ما يصير إليه حَقُّ الأمر ووجُوُبه . وبلغ حقيقة الأمر أي يَقِينَ شأنه)) [٣] .

وللحقيقة في الاصطلاح عدة تعريفات في كتب اللغة والبلاغة والأصول . يقول ابن جني في حدِّ الحقيقة والمجاز والفرق بينهما : ((الحقيقة : ما أُقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة ، والمجاز : ما كان بضد ذلك)) [٤] . ونجد عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) يُعرِّف الحقيقة بأنها : ((كلّ كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع – وإن شئت قلت : في مواضعة – وقوعاً لا يستند فيه إلى غيره))[٥].

ونجد في تعريف السكاكي (ت٦٢٦هـ) للحقيقة الدقة في التنظير فهي عنده ((الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع)) [٦] .

ويقسّمها إلى لغوية وشرعية وعرفية ، فالحقيقة لدلالتها تستدعي صاحب وضع قطعاً ، فمتى تعين عندك نسبت الحقيقة إليه ، ((فقلت : لغوية إن كان صاحب

---

(١) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ، د. علي زوين : ١٣٠-١٣١ .

(٢) ينظر : أصول الفقه ، محمد رضا المظفر : ٣ .

(٣) لسان العرب (حقق) : ٥٢/١٠ .

(٤) الخصائص : ٤٤٢/٢ .

(٥) أسرار البلاغة : ٣٠٣ .

(٦) مفتاح العلوم : ٥٨٨ .

وضعها واضع الدقة ، وقلت : شرعية إذا كان صاحب وضعها الشارع ، ومتى لم يتعين قلت : عرفية)) [١] .

والمجاز في اللغة هو الموضع ، من جُزْتُ الطريقَ ، وجازَ الموضعَ : إذا سار فيه ، وسلكه ، وقطعه وخَلَّفه[٢] . وقد عَرَّف عبد القاهر الجرجاني المجاز تعريفاً اصطلاحياً قال فيه : ((المجاز فعل من جاز الشيء يجْوزُه إذا تعدّاه . وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصلُ اللغة ، وصف بأنّه مجاز على معنى أنّهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً)) [٣] .

يتبين من هذا التعريف وجود علاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، فالمجاز ((اسم للمكان الذي يُجاز فيه كالمحاج والمَزَار ، واشباههما ، وحقيقته هو الانتقال من مكان إلى مكان ، فجعل ذلك لنقل الألفاظ من محلٍ إلى محل...)) [٤] .

وسأبدأ الكلام بالحديث عن الدلالة الحقيقية بأقسامها الثلاثة : اللغوية ، والشرعية ، والعرفية ، ثم ننتقل إلى الدلالة المجازية .

أولاً :- الدلالة اللغوية :

وهي الدلالة الأصلية ، أو كان تسمى أيضاً (الدلالة المعجمية) ، وهي الدلالة الوضعية عند الأصوليين ، وتعني دلالة اللفظ على معنى بنفسه ، قال الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) : ((هي كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه

---

(١) مفتاح العلوم : ٥٨٩ .

(٢) لسان العرب (جوز) : ٣٢٦/٥ .

(٣) أسرار البلاغة : ٣٤٢ .

(٤) المثل السائر ، ابن الأثير : ١٣١/١ .

للعلم بوضعه)) [١] . فهي إذن تتعلق بدلالة اللفظة في الوضع اللغوي ، وفهم العرب لها في عصور فصاحتهم .

وقد فسّر ابن منظور ألفاظاً قرآنية كثيرة مستنداً على سعة علمه باللغة ، وكان يذكر معاني المفردة التي يعرض لها بالشرح ويعرض كافة وجوهها ، وكان يقّلب اللفظ بين تلك الأوجه ، ثم يحدد الوجه الذي يراه قريباً لتفسير اللفظة القرآنية.

ومن ذلك ما أورده ابن منظور في بيانه لمعنى (السُبات) في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ (النبأ-٩) ، فقد أخذ بتقليب المعنى على مختلف الوجوه ، إذ قال : ((وسَبَتَ يَسْبُتُ سبتاً : اسْتَراحَ وسَكَنَ . والسُّباتُ : نوم خَفِيّ ، كالغشية ... والسُّباتُ : النّومُ ، وأصْلهُ الراحة ... والسَّبْتُ : القَطْع ، فكأنه إذا نام ، فقد انقطع عن الناس . وقال الزجاج : السُّباتُ أن ينقطع عن الحركة ، والروحُ في بدنه ، أي جعلنا نومكم راحة لكم)) [٢] .

وهذه الآراء التي ذكرها ابن منظور في معجمه – لسان العرب – قد سبقه إليها اللغويون ، فالرأي الأول الذي يقول إنَّ السبات بمعنى الراحة والنوم والسكينة ينسب لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، والثاني الذي يقول أنَّ السبات بمعنى القطع ، ينسب إلى أبي بكر الانباري (ت٣٢٨هـ) [٣] .

وهذا يعني أنَّ ابن منظور يرى وجوب الحاجة لأن يستعين بهذه الجهود القرآنية التي أصولها اللغة ، ولبنتها القواعد التفسيرية الأولى ، للكشف عن المضامين المقصودة ، والدلالات التي يحتويها التعبير القرآني ، وبخاصة إذا علمنا أنّ النص

---

(١) التعريفات : ٤٦-٤٧ .

(٢) لسان العرب (سبت) : ٣٧/٢ .

(٣) ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس ، لابن الانباري : ١٤٥/٢ .

نسيج متشابك يحتاج إلى وسائل كثيرة تحاول تفسيره وتحليله إلى عناصره الأولى ، أو ربما النفاذ إلى داخله أو فيما وراءه[١] .

وتبدو عناية ابن منظور واضحة بالتعليل اللغوي في توجيهه لدلالة المفردة القرآنية ، ويتضح ذلك في بيانه الدلالة اللغوية للفظة (الفجر) الواردة في قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ (القدرة–٥) ، إذ قال : ((ويسمى الفَجْرُ فجراً لانْفِجارِه، وهو انصداع الظلمة عن نور الصبح)) [٢] . فقد أبان الدلالة اللغوية للفظة (الفجر) الواردة في الآية الكريمة .

وقد أطلق بعض الباحثين المعاصرين على هذه الظاهرة اسم (التفسير بالسياق السببي التعليلي) ، ((وهو يشمل على ما يرد في المعجم من تعليل لاستعمال الصيغة اللغوية ، وما يرافقها من تغيير في الاستعمال نتيجة لتغيير المواقف والظروف والأسباب ...)) [٣] .

ثانياً : الدلالة الشرعية :

لقد كان الإسلام حدثاً عظيماً في تاريخ العرب ، ذا أثر بليغ في مسيرة حياتهم الدينية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والأدبية . وكان لهذا الحدث المبارك وللرسول العربي الكريم ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ تأثير كبير في لغة العرب، الأمر الذي أدى إلى اكتساب ألفاظ قديمة في لغة العرب دلالات جديدة اكسبها إياه الدين الجديد ، كالصلاة والإيمان والنفاق والفسوق ... الخ . وتعين على ما تقدم بروز دلالات جديدة

---

(١) ينظر : البحث الدلالي في تفسير الميزان : ٣٨ .

(٢) لسان العرب (فجر) : ٤٧/٥ .

(٣) الدلالة السياقية عند اللغويين ، عواطف كنوش : ٩٠ ، وينظر : المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، د. محمد أحمد أبو الفرج : ١٢٢–١٢٣ ، والبحث الدلالي في تهذيب اللغة : د. لطيفة عبد الرسول : ٢١٧ .

لألفاظ كانت مستعملة لديهم وذلك بتأثير من مظاهر الدين الحنيف الجديد ، والرسول الكريم ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ نقلتها من معانيها الموضوعة إلى المعاني الجديدة والمبتكرة . فضلاً عما ظهرت على لسان النبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ من كلمات بنظم عجيب وأحكام بديع ، لم تسمعه من عربي قبله .

وقد أورد اللغويين طائفة من تلك الكلمات منها قوله ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ ((الآن حمي الوطيس)) ، وقوله ((لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)) ، وقوله ((إياكم وخضراء الدمن)) [١] .

وقد تنبّه إلى ذلك الأمر أكثر من باحث معاصر ، يقول الدكتور مازن المبارك : ((ونحن لو تجاوزنا الألفاظ الإسلامية وما يتصل بها لوجدنا الألفاظ التي أصابها تطور دلالي أو أصابت حظاً من تطور الدلالة ألفاظاً قليلة ، لوجدنا أنّ التطور الذي أصابته لم يخرج بها غالباً عن دلالتها الأولى ، وإنّما نقلها من محيط دلالتها الأولى من معنى عام إلى معنى خاص)) [٢] .

فهذه الدلالات الجديدة للألفاظ الإسلامية إذن تُعدُّ أوّل باب من أبواب التجوز في حياة اللغة بعد الإسلام ، وهذا التجوّز يؤكد لنا الأثر الإسلامي الحيّ في اللغة العربية ودلالاتها[٣] .

وقد نالت هذه الألفاظ أهمية كبرى في بحوث العلماء القدامى ، وقدموا في هذا الاتجاه دراسات كان لها أثر كبير في بيان الترابط بين المصطلحات الشرعية واللغوية[٤] ، وإذا كان التغيير الدلالي هو التغيير في المعنى ، و((القيمة الدلالية

---

(١) المزهر : ٣٠٢/١ .

(٢) نحو وعي لغوي : ١٢١ .

(٣) ينظر : دراسات في القرآن ، السيد أحمد خليل : ٣٦ .

(٤) ومن أهم هذه الكتب – كتاب الزينة في المصطلحات الإسلامية العربية ، للرازي (ت٣٢٢هـ) ، وعقد ابن فارس في كتابه (الصاحبي) باباً سماه (باب الأسماء الإسلامية) : ٨١-٧٨ .

للكلمة تكمن في معناها)) [١] ، فيجب أن ندرك مدى التغيير الدلالي الذي أحدثه القرآن الكريم في اللغة العربية وآفاق مدلولاته المتجددة ، فقد أدى إلى ظهور الكثير من المدلولات الحقيقية والمجازية ، وانعكس ذلك بوضوح في المنهج التحليلي في فهم النص القرآني وتعدد مناهج التفسير [٢] .

ومجمل القول إنّ القرآن الكريم كان له أثر واضح في تغيير دلالات ألفاظ كثيرة ، واكتسابها معاني جديدة ، وقد سميت تلك الألفاظ لاحقاً بالألفاظ الإسلامية. ((وهذا لا يعني إنها وضعت وضعاً جديداً ، وإنّما كانت على طريقة ما أَلِفهُ العرب ووسعته لغتهم مجازاً ونقلاً واشتقاقاً ، فالألفاظ الإسلامية كانت معروفة عند أهل اللغة بمعناها اللغوي قبل أن يتوسع القرآن الكريم في دلالاتها على المعاني الأخرى، وهذه المعاني لا تبتعد عن ذلك الأصل ولا تنقطع عنه بل هي جزء منه ووجه له ، وقد ورد أغلبها في القرآن الكريم بمعناها الأصلي في آيات ، وبمعانيها المجازية في آيات أخرى)) [٣] .

ومن ذلك مثلاً الألفاظ التي جاء بها القرآن الكريم دالة على أسماء العبادات التي شرعها الله من ذلك : الصلاة وما فيها من الحدود وما يلزمها من الشروط والواجبات وكثير من هذا قد سنه رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – .

فالصلاة بمعنى العبادة المشروعة المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم ، إنما هي معنى إسلامي جاء به القرآن ولم تكن العرب تعرف هذا اللفظ بهذا المعنى ، بل استعملته بغير هذا المعنى دلالة على أشياء كثيرة منها اشتق هذا اللفظ فكثير من أهل اللغة ذهب إلى أنَّ الأصل اللغوي لمعنى الصلاة : أنها من الدعاء يقال صليت عليه أي دعوت له . وقالوا سميت الصلاة ببعض أجزائها وهو الدعاء الذي تشمل عليه

---

(١) علم الدلالة ، غيرو ، ترجمة ، انطوان أبو زيد ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ١٩٨٦م .

(٢) ينظر : دراسات في القرآن : ١٠٦ .

(٣) معجمات دلالية لألفاظ القرآن ، د. حاتم الضامن ، بحث منشور في المعجمية العربية : ٢٦٥-٢٦٦ ، وينظر الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، تاريخ وتطور ، عبد الرحمن مطلك : ١٢٤ .

وعلى معنى الدعاء جاء قوله تعالى[١] : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ (التوبة-١٠٣) .

وقال الزجاج : الأصل في الصلاة اللّزُوم ويقال قد صَلِي – كعَلِمَ – واصْطَلَى إذا لَزِمَ ، ومن هذا مَنْ يُصْلَى في النار أي يُلْزَم النارَ[٢] .

وقال بعضهم : أصل الصلاة من الصلاء وقال معنى صلى الرجل أي أنه أزال عن نفسه بهذه العبادة الصلاء الذي هو نار الله الموقدة وهي على هذا مثل قولهم : مرّض – بالتضعيف – أي أزال المرض[٣] .

وقيل أصلها في اللغة التعظيم ، وسميت الصلاة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الله تعالى وتقدس ومنه قولهم في التشهد (الصلوات لله) أي الأدعية التي يراد بها تعظيم الله وهو مستحقها لا تليق بأحد سواه[٤] .

وقيل أنها من الصلوين وهما مكتنفا الذنب من الناقة وغيرها ، وأول وصل الفخذين من الإنسان ، وهما يتحركان عند الإنحناء والقيام في الصلاة[٥] .

وقيل أنها من الصلا ، وهو وسط الظهر من الإنسان ، ومن كل ذي أربع ؛ لأن الإنسان يبسط صلاه عند الصلاة[٦] .

وقد جاءت الصلاة في القرآن منسوبة إلى الله وهي في حقه جل علاه بغير هذه الدلالة الشرعية قطعاً . فالصلاة من الله الرحمة لعباده والثناء عليهم . كما في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ (الأحزاب-٤٣) فيصلي هنا معناها

---

(١) لسان العرب (صلا) : ٤٦٦/١٤ .

(٢) المصدر السابق (صلا) : ٤٦٥/١٤ .

(٣) ينظر : المفردات : ٢٨٥ ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم : ٨٣/٢ .

(٤) لسان العرب (صلا) : ٤٦٦/١٤ .

(٥) لسان العرب (صلا) : ١٤-٤٦٦ . ومعجم ألفاظ القرآن : ٨٣/٢ .

(٦) معجم ألفاظ القرآن : ٨٣/٢-٨٤ .

يـرحم وملائكتـه يـدعون للمسـلمين والمسـلمات . وكقولـه تعـالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ (البقرة-١٥٧) ؛ أي رحمة وثناء منه تعالى عليهم . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ (الأحـزاب-٥٦) فالصـلاة مـن الله رحمة ومن الملائكة دعاء واستغفار .

وكذلك استعملها القرآن الكريم بالمعنى الجديد الذي تخصصت بموجبه في الإسلام ، وأصبحت تدل على المعنى الشرعي على ((العبادة المخصوصة التي من مظاهرها القيام والركوع والسجود والدعاء والتسبيح)) [١] ، فهي ((أركان مخصوصة وأذكار معلومة بشرائط محصورة في أوقات مقدرة)) [٢] . و((الصلاة من العبادات التي لم تنفك شريعة منها وإن اختلفت صورها بحسب شرع فشرع))[٣].

وصورتها في الإسلام معروفة ، وقد تعلّمها المسلمون من الرسول الكريم ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ ، وتشتمل على الأقوال والأفعال التي تفتتح بالتكبير وتختتم بالتسليم ، وتمثل ركناً من أركان العبادة في الإسلام أُمر المسلمون بها في عدد كثير من الآيات القرآنية الكريمة كما في قوله تعالى: ﴿ ... فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ (النساء-١٠٣) .

وبذلك فقد تخصصت لفظة (الصلاة) بركن من أركان العبادة المعروفة في الإسلام بما تشتمل عليه من أقوال وأفعال معينة ، بعد إن كانت تدل على مجرد الدعاء .

---

(١) القيم الخلقية والاجتماعية في الشعر العربي : ص٣٣٧ .

(٢) التعريفات : ٧٦ .

(٣) المفردات : ٢٨٥ .

ثالثاً : الدلالة العرفية :

هي ما نقل من بابه بعرف الاستعمال[١] ، أو كما يقول الشريف الجرجاني : ((هي ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول ، وتلقته الطبائع بالقبول)) [٢] . فهي إذن إنتقالة زمنية من الدلالة الوضعية بعد شيوعها ؛ لأن الأصل وضع الاسم بمعنى عام ثم يخصصها الناطقون باللغة – بعرف الاستعمال – ببعض مسمياته كاختصاص (الدابّة) ، فهي في الوضع اللغوي لكل ما يدب على الأرض[٣] .

وعند النظر في معجم – لسان العرب – نجد ابن منظور يتجه إلى انّ عُرف الاستعمال الشائع ، من الاتجاهات التي تتقرر في ضوئها الدلالة المستفادة من اللفظ، وأن الحقيقة والمجاز يتقرران أيضاً في ضوء هذا العرف بغض النظر عن الأصل ، فالاعتبار في مفهوم الألفاظ هو ما استقرّ عليه استعمالها .

فهو يحتج بكلام العرب وأساليبهم ويبحث لغة القرآن من خلال لغة العرب، أو قل إنّه يستنطق مفردات القرآن الكريم وتراكيبه لإبراز الدلالات والمعاني الثرة لهذه اللغة المقدسة . ولابدَّ لمن يتصدى لأسلوب القرآن الكريم أن يكون على حظٍ من معرفة خصائص العربية وتنوع مجالاتها في القول ، فالدلالة القرآنية ((هي أبعد مقصوداً وأوسع مفهوماً من أن يستدل عليها بالكلمة ومعناها ، أو العودة إلى المعجمات اللغوية ، ذلك بأنّها تستنبط من دلالات التركيب وما يقتضيه المعنى القرآني في النظم والسياق)) [٤] .

ومن أمثلة ذلك ما أورده ابن منظور بشأن لفظة ((الغائط)) ، إذ قال : ((الغائطُ : المطمئن من الأرض الواسع ... والتَغْوِيطُ : كناية عن العَذِرة نفْسها لأنهم كانوا يُلْقُونها بالغِيطان ، وقيل : لأنهم كانوا إذا أرادوا ذلك أتوا الغائط وقضوا الحاجة ، فقيل

---

(١) الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري : ٥٠ .

(٢) التعريفات : ٦٤ .

(٣) الفروق اللغوية : ٥٠ .

(٤) الميزان في تفسير القرآن ، للطباطبائي : ٢٦٢/٧-٢٦٣ .

لكل من قضى حاجته : قد أتى من الغائط ، يُكنى به عن العَذِرة . وفي التنزيل العزيز : ﴿ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ ﴾ (النساء-٤٣) ؛ وكان الرجل إذا أراد التَّبَرُّزَ أرتادَ غائطاً من الأرض يَغيبُ فيه عن أعين الناس ، ثم قيل للبِرازِ نَفْسِه ، وهو الحَدثُ : غائط كناية عنه ، إذ كان سبباً له)) [١] .

والذي يقصد به مما تقدم هو أن يكون الاسم في أصل استعماله لمعنى ثم يشتهر في عرف استعمالهم بمعنى مجازي آخر خارج عن معناه الأول ؛ بحيث لا يفهم من اللفظ عند إطلاقه غيره كلفظ (الغائط) فهو في أصل اللغة للموضع المطمئن من الأرض ، بيد أنه قد أشتهر في عرف الاستعمال بالخارج المستقذر من الإنسان ، حتى أنه لا يفهم من ذلك اللفظ عند إطلاقه غيره[٢] .

وقد استشهد صاحب – لسان العرب – على هذا النوع من الدلالة من خلال ما أورده بشأن لفظة (دابة) الواردة في الآية المباركة : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ ﴾ (النور – ٤٥) ، إذ قال : ((والدَّابَّة : اسم لما دَبَّ من الحَيَوان ، مُمَيَّزةً وغيرَ مميزة ... والدابَّة : التي تُرْكَبُ ؛ وقَدْ غَلَب هذا الاسم على ما يُركَبُ من الدَّوابِّ ، وهو يقع على المُذَكَّرِ والمُؤَنَثِ ، وحقيقته الصفَةُ.))[٣].

لقد تبين من كلام ابن منظور عن لفظة (الدابَّة) إنها كانت تطلق على كل ما يدب على الأرض ، ثم صارت في اصطلاح العرف عَلَماً على هذا الحيوان –أعني– الحمار .

---

(١) لسان العرب (غوط) : ٣٦٥/٧ .

(٢) ينظر : دراسة المعنى عند الأصوليين : ١٠٤ .

(٣) لسان العرب (دبب) : ٣٧٠/١ .

والتغير السابق غير مقصود في اللغة وإنّما هو استعمال مجازي يكتب له الشيوع والشهرة بين جميع الناطقين ، أو بين أبناء إقليم معين أو زمان معين ، ولذلك وصفت الحقيقة اللغوية هنا بأنها عرفية عامة(١) .

ومما تقدَّم نقول إنَّ ما قام به علماؤنا العرب المسلمون في مؤلفاتهم ومصنفاتهم وأخص بالذكر منهم علماء الأصول ، كان له الأثر البالغ في تنمية الوعي اللغوي وتوجيهه .

ثانياً : الدلالة المجازية :

هي التي تقابل الدلالة الحقيقية ، والتي أطلق عليها عبد القاهر الجرجاني معنى المعنى ، أو كما يقول : ((أنْ تعقل من اللَّفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر)) (٢) ، فالدلالة المجازية تمثل الدلالة الثانية ، إذ يخرج الكلام إلى معانٍ جديدة غير تلك التي يوجبها ظاهره ، فإذا كانت المعاني الناشئة بالألفاظ لا تحتاج إلا إلى العلم بالمواضعة ، ((فإنَّ العلم بالمعاني الثواني المدلول عليها بالمعاني الأوَل المدلول عليها بالألفاظ إنَّما يتحصل بطريق الاستنباط والاستدلال والتعقل))(٣).

ومن البديهي أن المجاز في القرآن الكريم مجاز في اللغة ، لأنَّ اللغة لا تنكره ، ولكنه مجاز غني . لأنه يصور المعنى ويجسده ، والتصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، ((فهو يُعبّر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ... ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة)) (٤) .

---

(١) ينظر : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، رمضان عبد التواب : ١١٥ .

(٢) دلائل الإعجاز : ٢٦٣ .

(٣) التصوير البياني ، محمد أبو موسى : ٧ .

(٤) التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب : ٣٤ .

وقد أكثر العلماء من الخوض في المجاز الأمر الذي جعلهم يقفون على مشكلة وقوع المجاز في القرآن الكريم ، أهو جائز أو لا يجوز ؟ .

وقد اختلف المسلمون حول قضية المجاز في القرآن الكريم ، وكان الخلاف حول الآيات التي تُوهم المشابهة بين الله تعالى ومخلوقاته . فمنهم من حملها على ظاهرها وعدّها من باب الحقيقة ، ومنهم من صرفها عن ظاهرها فكانت عنده من المجاز . وقد رفض أهل الظاهر استعمال المجاز في القرآن الكريم ووافقهم على هذا بعض الشافعية ، وقسم من المالكية ، وأبو مسلم الأصبهاني (ت٣٧٠هـ) من المعتزلة[١] . وقد جاء هذا الرفض للمجاز في القرآن الكريم بحجة أنّ المجاز أخو الكذب ، والقرآن مُنَزَّه عنه ، يقول السيوطي : ((وقد أنكر قوم وقوع المجاز فيه ، وقالوا : إنَّه صنو الكذب ، والقرآن مُنَزَّه عنه ، وإنَّ المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير ، وذلك محال على الله تعالى)) [٢] .

والملاحظ هنا إنَّ هذا الاختلاف كان مبكراً في حياة الأمة ، يشهد لذلك قول الجاحظ (ت٢٥٥هـ) في ردّه على من ينكر المجاز سواء في القرآن أو في غيره[٣]، ولم يكتف الجاحظ بذلك ، بل إنَّه جعل المجاز مفخرة من مفاخر العرب في لغتهم ، وهو من باب الإتساع في اللغة الذي يعطيها مدلولات جديدة ، يقول : ((وهذا الباب هو مفخرُ العرب في لغتهم ، وبه وبأشباهه اتسعت)) [٤] .

وناقش ابن قتيبة هذه المسألة ، وساق حديثاً طويلاً ذكر فيه اختلاف اليهود والنصارى حول أمثال هذه الصور التي تُوهم التشبيه واختلافهم في فهمها ، فمنهم من حملها على المعنى الظاهري فوقع في التشبيه والتجسيم ، ومنهم من أوّلها تأويلاً

---

(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن ، للزركشي : ٢٥٥/٢ ، ومجاز القرآن ، د. محمد حسين علي الصغير : ٦٥.

(٢) معترك الأقران في مجاز القرآن : ١٨٦/١ .

(٣) ينظر : الحيوان : ٤٢٦/٥ .

(٤) المصدر نفسه : ٤٢٦/٥ ، وينظر : التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة ، د. وليد القصاب : ١٩ .

مجازياً ، وتفرقوا بعد ذلك إلى فرق وأحزاب[١] . ثم انتقل بعد هذا الحديث إلى اختلاف المسلمين في هذا الأمر ، فناقش المسألة مناقشة مستفيضة مستدلاً على ما يراه بسنن القول عند العرب ، يقول : ((وأمّا الطاعنون على القرآن بالمجاز ، فإنّهم زعموا أنّه كَذِبٌ لأنَّ الجدار لا يُريدُ ، والقرية لا تسأل ، وهذا من أشنع جهالاتهم ، وأدلِّها على سوء نظرهم ، وقلة أفهامهم ، ولو كان المجاز كذباً ، وكل فعل يُنسب إلى غير الحيوان باطلاً ، كان أكثر كلامِنا فاسداً ، لأنَّا نقول : نَبت البقلُ ، وطالت الشّجرة ، وأينعت الثمرة ، وأقام الجبل ، ورخُصَ السِّعر ...)) [٢] .

ويبدو ضعف الرأي بـ (عدم جواز وقوع المجاز في القرآن الكريم) واضحاً من خلال اتفاق الجمهور والإمامية وأغلب المعتزلة على إثبات وقوع المجاز في القرآن[٣] .

وأمثلة المجاز في معجم لسان العرب كثيرة ومتنوعة ، وتؤكد على حرص ابن منظور في تقصي الدلالة المجازية من الألفاظ اللغوية القرآنية التي يضطلع بشرحها وتفسيرها ، ذلك أنّ القرآن الكريم ابلاغ ، ينذر ويبشر ، فهو – إذن – يتوجّه إلى المتلقي ليؤثر فيه ، ولذلك يستعمل أقصى ما تستطيعه اللغة من تأثير ويطرق كل السبل المفضية إلى ذلك ، وفي مقدمتها المجاز ، الذي يرتفع على المعنى المعجمي للألفاظ إلى مستويات أُخرى من التلوين والتصوير . ومجاز القرآن في الذروة من البيان العربي ، وقد ((كان إعجازه البياني مورداً متأصلاً من موارد إعجازه الكلي ، وتفوقه البلاغي حقيقة ناصعة من تفوقه في الفن القولي)) [٤] .

---

(١) ينظر : تأويل مشكل القرآن : ١٠٣ وما بعدها .

(٢) ينظر : تأويل مشكل القرآن : ١٣٢ .

(٣) ينظر : الخصائص : ٢/٤٤٢-٤٤٧ ، وتلخيص البيان في مجازات القرآن ، في جملة مواضعه ، وأسرار البلاغة : ٣٠٣-٣١٠ ، ٣٢١ ، ٣٣٥ ، ٣٣٩ ، والكشاف للزمخشري ، في أكثر مواضعه ، والبرهان في علوم القرآن : ٢/٢٥٥ .

(٤) مجاز القرآن ، د. محمد حسين علي الصغير : ٥٩ .

ومما استشهد به ابن منظور في هذا الباب ما ذكره بشأن مادة (عضد) ، إذ قال : ((العَضُدُ والعَضْدُ والعُضُدُ والعَضِدُ من الإنسان وغيره : الساعد وهو ما بين المرفق إلى الكتف والكلام الأكثر العَضُدُ ... والعَضُدُ : القوة لأنَّ الإنسان إنّما يَقْوى بعضده فسميت القوة به. وفي التنزيل: ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ (القصص-٣٥)؛ قال الزجاج : أي سنعينك بأخيك . قال : ولفظ العضد على جهة المثل لأن اليد قِوامُها عَضُدُها . وكل مُعين ، فهو عَضُدٌ)) [١] .

وقد بين ابن منظور أنّ (العضد) بمعنى القوة هو من المعاني المجازية وهو من قبيل المجاز المرسل والعلاقة بين العضد والقوة هي علاقة سببية .

وتفسير العضد بالمعين والناصر قريب . وذكر الراغب الاصفهاني استعارة العضد للمعين ، كاليد ، وأصله ما بين المرفق إلى الكتف[٢] .

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما استشهد به صاحب اللسان بشأن لفظة (خَمْراً) الواردة في قوله تعالى : ﴿ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗا ﴾ (يوسف-٣٦) ، إذ قال : ((...إن الخمر هنا العنب ... وأراه سماها باسم ما في الإمكان أن تؤول إليه ، فكأنه قال إني أعصر عنباً ؛ قال الراعي :

يُنازِعُني بها نُدمانُ صِدْقٍ شِواءَ الطَّيرِ ، والعِنَبَ الحَقِينا

يريد الخمر ... فسماه باسم ما يؤول إليه مجازاً .)) [٣] .

فالخمر لا تعصر ، وإنما يعصر العنب الذي يتحول إلى خمر بعد شروط يذكرها الفقهاء في ذلك . أما الحكمة في التعبير بالمجاز في الآية عدا ما يتحقق من الإيجاز أنها تحدد ما سوف يقوم به صاحب الرؤيا من عمل . ولو أنه قال : إني

---

(١) لسان العرب (عضد) : ٢٩٢/٣-٢٩٣ ، وينظر : معاني القرآن وإعرابه : ١٠٨/٤ .

(٢) المفردات (عضد) : ٥٧١ .

(٣) لسان العرب (خمر) : ٢٥٥/٤ . وينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٨٩/٣ .

أراني أعصر عنباً لم يتحقق المراد من المعنى وهو أنه سيكون ساقي الملك ، فقد يكون عصير لغاية أخرى غير الخمر . كما أن الخمر قد تكون من شيء آخر غير العنب . ومجيء الآية على هذا النحو من التعبير فيه آداء كامل شامل[١] .

ومن أمثلة المجاز أيضاً ما استشهد به صاحب اللسان في تسمية المطر رزقاً الذي ورد في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ (الجاثية-٥) ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات-٢٢) ، يقول ابن منظور : ((وقد يسمى المطر رزقاً ... وهذا اتساع في اللغة كما يقال التمر في قَعْر القَلِيب يعني به سَقْيَ النخل)) [٢] .

فالمجاز هنا هو في كلمة ((رزقاً)) ؛ والرزق لا ينزل من السماء ؛ ولكن الذي ينزل منها مطر ينشأ عنه النبات الذي منه طعامنا ورزقنا ، فالرزق مسبب عن المطر على سبيل المجاز المرسل .

ومما استشهد به صاحب لسان العرب أيضاً في باب المجاز ما ذكره بشأن لفظة (ذوق) الواردة بصيغة الأمر في قوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ (الدخان-٤٩)، إذ قال : ((وهذا من المجاز أن يستعمل الذَّوق وهو ما يتعلَّق بالأجسام في المعاني كقوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ ، وقوله : ﴿ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ ﴾ (التغابن-٥) ... ويقال : ما ذُقت ذواقاً أي شيئاً ، وهو ما يُذاق من الطعام)) [٣] .

---

(١) ينظر : فنون التصوير البياني ، د. توفيق الفيل ، دار السلاسل ، الكويت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م : ص٥٨.

(٢) لسان العرب (رزق) : ١١٥/١٠ .

(٣) لسان العرب (ذوق) : ١١٢/١٠ ، وينظر : معاني القرآن وإعرابه : ١٤١/٥ .

لقد استعملت لفظة (الذوق) في السياق القرآني والتي هي أصلاً تستعمل في الأشياء المحسوسة كتذوق الطعام والشراب في تذوق الأشياء المعنوية ، الأمر الذي كشف لنا حال الكفار وشدة عذابهم في النار وتجرعهم ألوان العذاب والشقاء.

ومن ذلك أيضاً ما أورده بشأن لفظة (تنفس) الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ (التكوير–١٨) ، يقول : ((إذا أرتفع النهار حتى يصير نهاراً بيّناً فهو تَنَفُّسُ الصبح))[١] .

وفي تبيانه للفظة (جناح) التي وردت في قوله تعالى : ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ (الإسراء – ٢٤) ، يقول ابن منظور : ((أي ألِنْ لهما جانِبَكَ)) [٢] .

وصفوة القول إنَّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب وعلى طرائقهم وأساليبهم في التعبير ، ولغة العرب فيها الحقيقة والمجاز ، وفي هذا تأكيدٌ على أنَّ في القرآن الكريم من ضروب المجاز ما لا يحصى ، الأمر الذي أدى إلى إثراء اللغة العربية بتلك الدلالات الجديدة والمبتكرة . وقد أستأنس بذلك ابن منظور في معجمه (لسان العرب) واستشهد لذلك بآيات مستفيضة من القرآن الكريم .

---

(١) لسان العرب (نفس) : ٢٣٨/٦ ، وينظر : معاني القرآن للفرّاء : ٢٤٢/٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٢٢٦/٥ .

(٢) لسان العرب (جنح) : ٤٢٨/٢ ، وينظر : معاني القرآن للفرّاء : ١٢٢/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج : ١٩٢/٣ .

الفصـــــل السادس

﴿ أثر القرآن الكريم في القضايا النحوية والصرفية والصوتية في المعجم وبيان دلالاتها ﴾

- أثر القرآن في القضايا النحوية والصرفية والصوتية ..

لقد جاء في بعض الروايات أنَّ أبا الأسود الدُّؤَلي هز أول من أصَّلَ العربية وضع قياسَها ، واختلف إليه الناسُ يتعلمون منه العربية ، فشرَع بتفريغ ما كان قد أصَّلَه فوضَعَ باب الفاعل والمفعول به ، وحروف الرفع والنَّصب والجرِّ والجزم[١] .

ومحمد بن الحسين الزبيدي ، يشير في كتابة : الطبقات ، إلى دور قام به تلامذة أبي الأسود الدَّؤَلي فيقول : "أوّل مَنْ أصَّل ذلك – يعني علم النّحو – وأعملَ فكرَه فيه أبو الأسود ظالم بن عمرو الدَّؤَلي ، ونصر بن عاصم الليثي ، وعبد الرحمن بن هرمز ، فوضعوا للنَّحو أبواباً ، وأصَّلوا له أصولاً ، فذكروا عوامل الرَّفع والنَّصب والجرّ والجزم ، ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجب ، وكان لأبي الأسود الدُّؤَلي ، في ذلك فضل السبق ، وشرف التقدُّم ، ثمَّ وصلَ ما أصَّلوه من ذلك التَّالون لهم ، فكان لكل واحدٍ منهم الفضل بحسب ما بسط من القول ، وحدَّ من القياس ، وفتَّق من المعاني ، وأوضح من الدلائل ، وبيّن من العِلَل"[٢] .

ويمكننا أن نضيف إلى مسألة الخوف على اللغة ، مسألة لا تقل أهمية عنها ، وهي تتعلق بأهم أركان قيام الدولة الإسلامية ، وهو القرآن الكريم ، فحكُم قراءة القرآن الكريم في صلاة الفرد باللغة العربية واجبٌ شرعاً ، ومن الصعب أن يتعلَّم الأعجميُّ المسلمُ العربية بغير قواعد واضحة تهدف في الأساس الأوّل إلى تعليم لغة القرآن الكريم ، فلعلَّ هذا ما يفسِّر لنا تدخُّل الإمام علي بن أبي طالب ﴿ عليه السلام ﴾ ، في الأمر ، لأنّه بحُكم موقعه ، الديني والقيادي ، يدرك أهمية إيجاد الطرائق التي تُيسر على غير العرب أمرَ تعلُّمِ اللغة ، فأسس مبدأ تقعيد اللغة .

---

(١) ينظر : طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، ١٢/١ ، ومراتب النحو لأبي الطيب اللغوي : ١١/١ .

(٢) طبقات النحويين واللغويين : ١٣/١٢ .

ويستطيع أيُّ عاقلٍ أن يتأمَّل ، ويتدبَّر ، ويقول إنه لابدَّ من مقدمات عقليّة عرفها العرب منذ زمنٍ موغلٍ في جاهلّيته ، عرَّفت إليهم معايير المنطوق العربي نثراً ، كما عرَّفته إليهم شعراً . وقد شاعت هذه المعرفة شيوعاً تربوياً عامَّاً تساوى فيه الجميع ، حتى إذا جاء الإسلام ، وكان ما كان من أمر اللحن فرأى الإمام علي ﴿ عليه السلام ﴾ ما يستدعي إعادة العمل بتلك المقدمات التي نَسِيَ القومُ مسَّمياتها ، ونطقوا وفق أحكامها ومعاييرها ، ثمَّ أرسِيَت هذه المقدِّماتُ أصولاً ، وبنى عليها أبو الإسلام ومن تَبِعَه تفريعاتها وأحكامهم .

وإننا إذ نقول هذا ، فإننا لا نتوجَه إلى الجحد بتلك الجهود النحوية التي بَذَلها أبو الأسود وتلامذتهُ قرابة نصف قرنٍ من الزمن ، لِنَدَّعي أنّها "حديثُ خرافة"[١] . كما يقول الشانئون ولا هي من اختراع "بعض فقهاء المذهب البصري"[٢] ، كما يقول البعض .

ولكن هذا الجهد التأسيسي ، التأصيلي ، فإنّه قد دخلَ مرحلة التاريخ الصحيح مع طبقة أساتذة الخليل وسيبويه[٣] ، إذ تهيَّأ للنحو أن يشتدَّ قوامُه ، ويعتدل بناؤه ومن قبل تأكيد الإقرار بالجهد ، فإننا نقول ، لو لم تكن تلك الجهود التي أسَّسَت علم النَّحو وأصَّلته ، لم استطاعَ عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ) وتلامذته أن يشرعوا فيما شرعوا فيه من أبواب النحو .

فالقرآن الكريم هو أصل السعي في هذا المضمار ، وهو مصدرٌ معدودٌ أوَّل في مصادر التدوين وتقعيد لغة العرب والحرص عليه حرصٌ على سلامة العربيَّةِ من اللحن والضياعِ والعجمةِ .

---

(١) ضحى الإسلام ، أحمد أمين : ٢٨٥/٢ ، ط١٠ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٢) مجوعة مستشرقين ، دار المعارف الإسلامية : ٤٢٢/١ ، ترجمة أحمد الشنتناوي ، وإبراهيم زكي خورشيد ، وعبد الحميد يونس ، ط٢ ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

(٣) تاريخ الأدبي العربي ، كارل بروكلمان : ١٢٨/٢ .

والذي يعنينا من هذا التوجه النحوي أن ننطلق إلى دراسة النص القرآني في تأمل ، باحثين عن أسراره النحوية ، ونكاته الدلالية ، ولاشكّ في أنَّ التأمل في الآيات القرآنية والوقوف على تراكيبها يفضي بنا إلى علائق وحدود هي فوق العلائق والحدود النحوية في تفردها وخصوصيتها ؛ لأنَّ النظم القرآني معجز باتصال آياته وسوره ، وعلائقها الخفية والظاهرة ، حيث توضع الكلمة مكانها فيه، ((لتكون مبعث ايحاء ، ومكمن رمز ، ومنطلقاً لمعان هي مزيد من لغة العقل والعاطفة))[١] .

إنَّ كلام الله – جلّت قدرتُه – الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كان حقيقاً أن يكون أرقى النصوص اللغوية العربية فصاحة وبلاغة ، وأسماها شأناً، وأعلاها مقاماً ، فهو يعدُّ مصدراً مهماً من مصادر الاستقراء لدى علماء العربية في تقعيد أحكامهم النحوية واللغوية ، وليس ذلك بغريب ، فهو من لدن عزيز حكيم ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لذا أصبحت آياته محط أنظارهم ((وليس هناك نص مما يستشهد به يشبهه في قوة إثباته ، وتواتر روايته ، والقطع بصحته في متنه ولفظه)) [٢] . قال السيوطي : ((لا خلاف ان كل ما هو من القرآن يجب أن يكون متواتراً في أصله وأجزائه ... وذهب كثير من الأصوليين إلى أن التواتر شرط في ثبوت ما هو من القرآن بحسب أصله)) [٣] ، فجاز إذن الاستشهاد بمتواتره وشاذه[٤] .

ونظراً إلى اهتمام أصحاب الكتب التي اعتمد عليها صاحب اللسان بالشواهد عامة ، وبالقرآن خاصة ، نجد وفرة الشواهد القرآنية والقراءات فيه على نحو لافت للنظر ، وهذا أمر بديهي ، لأن التأليف في اللغة والنحو عند القدماء كان الهدف منه

---

(١) المعاني الثانية في الأسلوب القرآني ، د. فتحي أحمد عامر : ٣٣ .

(٢) القراءات واللهجات ، عبد الوهاب حمودة ، ط١ ، مصر ، ١٣٦٨هـ-١٩٤٨م : ص١٢٩ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن : ١/٧٧-٧٨ .

(٤) خزانة الأدب : ١/٢٣ .

خدمة القرآن الكريم ، فاحتلت الشواهد القرآنية مساحة واسعة من اللسان ، وردت للاستشهاد بها على أغراض مختلفة ، منها صحة الألفاظ ، وتفسير المعاني ، واستنباط القواعد النحوية والصرفية وغير ذلك . ويرد الشاهد القرآني فيه ممهداً له بعبارة تفرده وتميزه من غيره من الشواهد ، فيضع بين يدي الآيات من مثل عبارة (وفي التنزيل العزيز) [١] ، أو (قال الله تعالى) [٢] ، أو (وفي قوله تعالى) [٣] ، أو (قال سبحانه) [٤] . أو غير ذلك من العبارات التي تدل على ان الشاهد هو قرآن كريم[٥] .

وابن منظور شأنه شأن غيره من اللغويين في الاعتماد على القرآن الكريم والاستشهاد بآياته في المسائل النحوية والصرفية واللغوية . وفيما يأتي نحاول أن نَتَلَّمسَ أثر القرآن العظيم في بعض المسائل النحوية .

أولاً : استعمل الشاهد القرآني في (لسان العرب) للاستدلال على صحة قاعدة نحويّة، فكان ابن منظور يورد الشاهد القرآني وحده مستشهداً به في المسألة النحوية في بعض الأحيان ، وفي أحايين أُخرى يزيد عليه شواهد أخرى ، ومن الأول ما أورده بشأن الفرق بين حكم (رُبَّ) و(ربّما) في كلام العرب قال : ((والفرق بين رُبّما ورُبَّ : ان رُبَّ لا يليه غير الاسم ، وأما رُبَّما فإنه زيدت ما ، مع ربّ ، ليَلِيهَا الفِعْلُ ... وأكثرُ ما يليه الماضي ولا يَلِيه مِن الغابِر للمضارع إلا ما كان مُسْتَيقَناً ، كقوله تعالى : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ (الحجر-٢))) [٦] .

---

(١) اللسان (بيض) : ١٢/٧ .

(٢) المصدر نفسه (سأل) : ٣١٩/١١ .

(٣) المصدر نفسه (سبل) : ٣٢٠/١١ .

(٤) المصدر نفسه (سوأ) : ٩٦/١ .

(٥) ينظر : الدراسات النحوية في معجم لسان العرب ، د. عبد الإله إبراهيم :١٥٣-١٥٤ .

(٦) لسان العرب (ربب) : ٤٠٨/١ ، وينظر : الدراسات النحوية في معجم لسان العرب : ١٥٤ .

وقد يذكر أكثر من شاهد قرآني ، وقد تصل في بعض الأحيان إلى عشرات الشواهد ، ومن الأمثلة على ذلك ، ذكره أربعة شواهد في الاستشهاد على أنَّ (إلى) بمعنى (مع) ، قال : ((وتكون إلى بمعنى مع كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾ (النساء–٢) ، معناه مع أموالكم ... وقال عز وجل :﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (الصف–١٤) ، أي مع الله . وقال عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ (البقرة–١٤) . وأما قوله عز وجل : ﴿ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ (المائدة–٦) . فإن العباس وجماعة من النحويين جعلوا إلى بمعنى مع ههنا ...)) [١] إن ورود مثل هذه الشواهد القرآنية الكثيرة في المسألة الواحدة دليل على اطراد هذه القاعدة .

ثانياً : وللقرآن الكريم أثره في تقعيد الحكم النحوي وإثباته فابن منظور قد لا يكتفي بالاستشهاد بالقرآن الكريم فقط ، وإنّما يزيد على ذلك القراءات القرآنية التي لها علاقة بالشاهد القرآني ، ومن أمثلة ذلك استشهاده بقوله تعالى : ﴿ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ (ص–٣) ، على حذف اسم لات المرفوع وابقاء خبرها المنصوب ، وهو الغالب في كلام العرب[٢] . فـ(حين مناصٍ) خبرها ، واسمها محذوف والتقدير : ولات الحينُ حينَ مناصٍ . وقد ورد في الكلام ابقاء اسم لات وحذف خبرها وهذا قليل ، وعليه القراءة التي أوردها شاهداً على ذلك ، فقال : ((وقرأ بعضهم : (ولاتَ حينُ مناصٍ) [٣] ، فرفع

---

(١) لسان العرب (إلى) : ١٥/٤٣٤ .

(٢) مغني اللبيب عن كُتب الأعاريب : ١/٣٣٥-٣٣٦ .

(٣) وهي قراءة أبي السّمال العدوي ، مختصر شواذ القراءات : ١٢٩ ، ومعجم القراءات : ٥/٢٥٥ .

(حـينُ) . واضـمر الخبـر)) [١] . والتقـدير : (ولاتَ حـينُ منـاصٍ لنـا) [٢] ، أي : ولات حينُ مناصٍ كائناً لنا .

وكان للقرآن الكريم وقراءاته في معجم لسان العرب الأثر الكبير في ذكر الوجوه المتعددة للمسألة النحوية الواحدة ، ومن ذلك القراءة التي نقلها بعد قوله تعالى : ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (يوسف-٦٤) ، قال : ((وقرئ ((خَيرٌ حِفْظا))[٣] نصب على التمييز ، ومن قرأ (حافظاً) جاز أن يكون حالاً ، وجاز أن يكون تمييزاً)) [٤] ، وهذا القول الذي نقله في إعراب (حفظاً) و(حافظاً) في الآية المباركة هو قول الزجاج نقله عنه عن طريق الأزهري[٥] .

وثمة مواضع كثيرة أخرى خص بها ابن منظور الشاهد القرآني من غير أن يسوق إلى جانبه شواهد أخرى[٦] .

ثالثاً : كان القرآن مصدراً لا يراد المسائل النحوية التي أثير عليها خلاف بين النحاة سواء كان خلافاً فردياً بين عالمين أو خلافاً بين مدرستين نحويتين ، وحفظها والمهم في هذا الأمر غير كون اللسان أصبح مصدراً لنقل مسائل الخلاف النحوي أنه تناول مسائل لم يتناولها مؤلّفو كتب الخلاف النحوي كأبي البركات الأنباري والعكبري وذلك من خلال ما دار من نقاش وجدل حول الآيات المباركات التي كان يستشهد بها ابن

---

(١) لسان العرب (ليت) : ٨٧/٢ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس : تحقيق : د. زهير غازي زاهد : ط٣ ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م : ٤٥١/٣ .

(٣) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر ، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم (حافظاً) ، السبعة في القراءات : ٣٥٠ .

(٤) لسان العرب (حفظ) : ٤٤١/٧ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه : ١٨٨/٣ ، وتهذيب اللغة : ٤٥٩/٤ .

(٦) ينظر : لسان العرب ، (عقب ، طسس ، ألا ...) والدراسات النحوية في معجم لسان العرب : ١٥٥ .

منظور في معجمه . ومن المسائل التي تطرق إليها ابن منظور ولم تذكر في الانصاف ، مسألة منع وصف الاسم الموصول إلا بعد تمام الصلة عند البصريين ، وجواز ذلك عند الكوفيين ، فقد نقل هذا الخلاف بعد ما أورد قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام-١٥٤) ، فقد نقل عن الزجاج[١] أنه يجوز أن يكون تماماً على المحسن ، أراد تماماً على المحسنين ، ويجوز تماماً على الذي أحسنه موسى من طاعة الله ، واتباع أمره ، ويجوز تماماً على الذي هو أحسن الأشياء . قال وأجاز الفرّاء أن يكون أحسن في موضع خفض، وأن يكون من صفة الذي ، وهو خطأ عند البصريين لأنهم لا يعرفون الذي إلا موصولة ، ولا توصف إلا بعد تمام صلتها[٢] . وقد ذكر صاحب الائتلاف هذه المسألة على نحو موجز مختاراً رأي البصريين[٣] .

رابعاً : كان القرآن الكريم مصدراً لإيراد الشواهد الأخرى من حديث الرسول الكريم ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ ومن الشعر العربي ، زيادة في الإيضاح والتقرير للظاهرة النحوية ، على وفق المنهج التعليمي الذي سار عليه النحاة لإفادة التطبيق أو توضيح القاعدة . وكانوا يراعون في ذلك ، وضع الشاهد القرآني في الصدارة ، لا لتوثيقه فحسب بل لقدسيته وهيمنته على نفوس المسلمين أيضاً . ولم يغرب ذلك عن بال ابن منظور ، فكانت السابقة في شواهده للغة القرآن . ويتجلى ذلك بوضوح في معالجته

---

(١) معاني القرآن وإعرابه : ٣٠٦/٢ .

(٢) لسان العرب (تمم) : ٦٨/١٢ ، وينظر : معاني القرآن للفرّاء : ٣٦٥/١ . والدراسات النحوية في معجم لسان العرب : ١١٣-١١٤ .

(٣) ائتلاف النصرة : ١٣٨ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٤٣/٧ .

لمسائل اللغة والنحو وتفريعاتها . ومن ذلك استشهاده بالحديث النبوي الشريف فضلاً عن الشاهد القرآني ، كما جاء في حديثه عن الفعل الجامد (بئس) ، واتصال (ما) به قال: ((ومن العرب من يصل بئس بما . قال الله عزل وجل : ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة-١٠٢)، وروي عن النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، أنه قال : بئسما لأحدكم أن يقول نَسِيتُ أنه كَيْتَ وكَيْتَ ، أمَا إنه ما نَسِيَ ولكنه أُنْسِيَ)) [١] .

ومن ذلك أيضاً زيادته حديثاً شريفاً على الشاهد القرآني مرجحاً به رأياً كاستشهاده بقول الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – مع القرآن الكريم عندما أورد الآية الكريمة : ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ (البقرة-١٣٠) ، فقد نقل عن الأزهري ما نقله عن الزجاج في اختلاف النحويين في معنى (سَفِهَ) وانتصاب (نفسَهُ) ، فقد نقل عن الأخفش أن معناها (سفّه نفسه) ، وعن يونس أن (سفه) لغة تفيد المبالغة كفعّل . وعن أبي عبيدة: معنى سفه نفسه أهلك نفسه وأوبقها . ونقل عن الكسائي والفرّاء في إعرابها أن (نفسه) منصوب على التفسير . ونقل عن بعض النحويين : أن قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ معناه إلا من سفه في نفسه ، أي : صار سفيهاً.

لقد نقل تلك الأقوال المختلفة ، ثم نقل قول الزجاج مرجحاً إياه معتمداً بذلك على حديث مرفوع عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ، قال : ((وقال الزجاج : القول الجيد عندي في هذا ، أن سفه في موضع جَهِلَ ، والمعنى والله أعلم، إلا من جَهِلَ نَفْسَه ، أي : لم يُفكِّرَ في نفسِه ، فوضع سَفِهَ في موضع جَهِلَ . وعُدِّيَ كما عُدِّيَ ، قال : فهذا جميع ما قاله النحويون في هذه الآية ، قال : ومما يقوّي قول

---

(١) لسان العرب (بأس) : ٢٢/٦ ، وينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر : ٢١٦/٤ ، والدراسات النحوية في معجم لسان العرب : ١٥٩ .

الزجاج الحديث الثابتُ المرفوع حين سئل النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ، عن الكِبْر فقال : (الكِبْرُ أن تسْفَهَ الحَقَّ وتَغْمِطَ النـاَس) فجعل سَفِهَ واقعاً معناه أن تَجْهَلَ الحق فلا تراه حقّاً ، والله أعلم)) [١] . وهذا ما يسمى عند النحويين بالتضمين ، وهو من الأمور التي يتعدى به الفعل القاصر ، وهو توجيه سديد بعيد عن التأويل ، اختاره ابن هشام في المغني وضَمَّنَ سفه معنى أُهْلِك .

وابن منظور كعادته نقل هذه الآراء عن التهذيب ولم يبدِ بها رأيه الخاص ويبدو أنه يميل إلى ما ذكره الأزهري في هذه المسألة ؛ لأنه نقل النص كما هو ولم يغير أو يبدل فيه ، اختصاراً أو تقديماً وتأخيراً ، كما كان يفعل مع بقية نصوص التهذيب .

خامساً : وقد يزيد على القرآن الكريم شاهداً شعرياً أو أكثر . ومن ذلك ، ما ذكره بشأن منع (بابل) من الصرف ، لأنه علم مؤنث أكثر من ثلاثة أحرف ، واستشهد بقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ ﴾ (البقرة–١٠٢) وقول الأعشى :

ببابِلَ لم تُعْصرْ فجاءت سُلافَةً تُخالِطُ قِنْدِيداً ومسكاً مُخَتَّما[٢] .

ومن الأمثلة على زيادته شاهدين من الشعر على الشاهد القرآني مما أورده في نصب (بغى) مفعولين كما في قوله تعالى : ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ (إبراهيم–٣) ، وقول الأعشى :

حتى إذا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ صَبَّحها ذُؤَالُ نَبْهانَ ، يَبغِي صَحْبَه المُتَعا .

أي يبغي لصحبه الزاد ؛ وقال واقد بن الغطريف :

لئن لَبَنُ المِعْزَى بماء أم مُوَليل بَغانَي داءً ، إنني لَسَقِيمُ[١]

---

(١) لسان العرب (سفه) : ٤٩٨/١٣ ، وينظر : تهذيب اللغة : ١٣٣/٦ ، (سفه) ، والنهاية في غريب الحديث والأثر : ٣٨٧/٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ٢١١/١ ، والدراسات النحوية في معجم لسان العرب : ١٥٧ .

(٢) لسان العرب (بغا) : ٧٧/١٤ ، وينظر : الدراسات النحوية في معجم لسان العرب : ١٥٧ .

وقد يزيد ثلاثة أبيات من الشعر على الشاهد القرآني ، ومن ذلك ما ذكره في (كان) إذا أفادت إتصال الزمان من غير انقطاع كما في قوله تعالى : ﴿ **وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ (النساء–٩٦) ؛ أي : لم يزل على ذلك ، قال المتلمس :

وكُنَّا إذا الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّه ، أقَمنا له من مَيْلِهِ فَتَقَوَّما

وقال الفرزدق :

وكنا إذا الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّه ضَرَبْناه تحتَ الأُنْثَيَيْنِ على الكَرْدِ

وقول قيس بن الخطيم :

وكنتُ امْرَأً لا اسْمَعُ الدَّهْرَ سُبَّةً أُسَبُّ بها ، إلا كَشَفتُ غِطاءَها

وقد زاد على هذه الشواهد ثلاثة شواهد قرآنية أخرى قال : ((وفي القرآن العظيم أيضاً : ﴿ **إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا** ﴾ (الإنسان–٢٢) ، وفيه: ﴿ **إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا** ﴾ (المدثر–١٦) ، وفيه : ﴿ **كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا** ﴾ (الإنسان–١٧)))[٢] .

إن ورود هذه الشواهد القرآنية الكثيرة ، المعضدة بشواهد أخرى كثيرة من الشعر العربي القديم على دلالة (كان) الناقصة على الدوام والاستمرار ، ووروودها بكثرة أيضاً على مسائل أخرى في اللسان ، هو توثيق لتلك القواعد التي رسخ أسسها علماؤنا الأفذاذ ، لأن كثرة الشواهد على الظاهرة دليل واضح على شيوع تلك الظاهرة في كلام العرب موازنة بظواهر أخرى حظها من السماع قليل .

---

(١) لسان العرب (بغا) : ٧٧/١٤ ، وينظر : الدراسات النحوية في معجم لسان العرب : ١٥٧ .

(٢) المصدر السابق (كون) : ٣٦٧/١٣ ، وينظر : الدراسات النحوية في معجم لسان العرب : ١٥٨ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن سيبويه لم يذكر إلا دلالة (كان) على الماضي بخلاف ما نسب إليه ابن الشجري[١] . وان المبرّد[٢] استشهد على دلالتها على الدوام بشاهدين فقط هما قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء-٩٦) ، وقوله : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ (النساء-١٤٨) . ومن هنا يأتي دور المصادر الأخرى ، ومنها المعجمات العربية في رفد الدراسة النحوية[٣] .

سادساً : ومن الأمور التي نلمس أثرها في بناء المعجم العربي هي إجازة بعض كلام العرب لورود مثله في القرآن الكريم ومن ذلك إجازة قولهم : (خرج فلان بين سمع الأرض وبصرها) ، أراد بين سمع أهل الأرض وبصرهم ، فحذفت (الأهل) كقوله – تعالى – :﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ (يوسف-٨٢) ، أي : أهل القرية[٤] .

إن ما تمَّ تقديمه في استشهاد ابن منظور بالآيات القرآنية غيض من فيض ، إذ لا يمكن للباحث أن يورد كل ما جاء منها في معجم لسان العرب لغزارتها ، فلا تجد مسألة نحوية تخلو من عدة شواهد عليها ، إلا أن الصورة التي يمكن أن تضع حدودها لاستجلاء أثر القرآن الكريم في اللغة العربية بصورة عامة وفي المعجم بصورة خاصة ، هي أن الشاهد القرآني يقع في المقام الأول ، وأنه الدرع الحصين لأية قاعدة لغوية أو نحوية .

أما القراءات القرآنية فكان لها الأثر الكبير في اللغة العربية ، وسأبدأ أولاً بتناول تعريفها ، ثم التحدث عن دورها في بناء المعجم العربي .

---

(١) الأمالي الشجرية : ١٩٤/٢ ، وينظر : ابن الشجري ومنهجه في النحو : ١٤٠ .

(٢) الشواهد القرآنية في النحو عند المبرد ، علي محمد يوسف (رسالة ماجستير) ، جامعة بغداد ، كلية التربية ، ١٩٨٨م .

(٣) الدراسات النحوية في معجم لسان العرب : ١٥٨ .

(٤) لسان العرب (سمع) : ١٦٦/٨ . وينظر : الدراسات النحوية في معجم لسان العرب : ١٥٩ .

القراءات : جمع قراءة ، وهي في الأصل مصدرٌ للفعل ((قرأ)) . يقال : قرأ فلان يقرأ ، قراءة ، كل ما جمعته فقد قرأته ، ولذلك أطلعت القراءة من باب تسمية الشيء ببعضه[١] .

أما في الاصطلاح العلماء فقد تعددت التعريفات ، ومن ذلك ما قيل إن القراءات القرآنية هي :

١. علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها ، بعزو الناقلة[٢] .

٢. علم يلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى ، واختلافهم في الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين ، والفصل والوصل ، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع[٣] .

الملاحظ في هذين التعريفين اشتراط النقل والسماع ؛ لأن القراءة سنة متبعة[٤] . وفي ذلك قيل أيضاً: ((وأن يحذر الإقراء بما يحسن في رأيه دون النقل أو وجه إعراب أو لغة ، دون رواية)) [٥] .

٣. اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كِتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما[٦] .

٤. القراءة عبارة عن مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراءة مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه ، سواء كانت هذه المخالفة في نطق الحروف أو في نطق هيئاتها[٧] .

---

(١) ينظر : لسان العرب (قرأ) : ١٢٩/١ .

(٢) منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري : ص٣ . تحقيق : محمد الشنقيطي وأحمد شاكر ، دار زاهد القدسي .

(٣) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، أحمد عبد الغني الدمياطي ، ص٥ ، دار الندوة الجديدة ، بيروت .

(٤) الإتقان في علوم القرآن : ٧٥/١ .

(٥) منجد المقرئين ، ابن الجزري : ٤-٥ .

(٦) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ٤٦٥/١ .

(٧) مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني : ٤٨٩/١ .

حصر هذان التعريفان القراءات بالاختصاص بما اختُلف فيه من ألفاظ القرآن الكريم ، في حين وسعت تعريفات أخرى دائرة شمول القراءات إلى المتفق عليه أيضاً ، ومن ذلك :

٥. هو علم تُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية ، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله[١] .

٦. علم مذاهب الأئمة في قراءات نظم القرآن[٢] .

ويمكن إجمال هذه التعريفات بالقول : إن القراءات القرآنية هي ((مذاهب الناقلين لكتاب الله عز وجل في كيفية أداء الكلمات القرآنية)) [٣] .

قد يختلط على قارئ هذه الحدود الفارق الدقيق بين كل من القرآن الكريم والقراءات ، لهذا فإن الزركشي كان من الذين وضحوا ذلك عندما قال : ((القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزّل على محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – للبيان والإعجاز ، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كِتْبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما)) [٤] .

ومن أهم أسباب نشوء القراءات القرآنية ، هو اختلاف لهجات العرب ، فالقرآن الكريم نزل بعضه بلهجة من لهجات العرب المعروفة ، ليتيح للعرب جميعاً أن يلجؤوا إليه ويتدبروا معانيه ، ويكثروا من التلاوة فيه ، وكان الصحابة – رضي الله عنهم – يختارون منها التي سمعوها ما وافق لهجتهم[٥] . ثم تطورت حتى صارت علماً قائماً

---

(١) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، عمر بن زين الدين قاسم بن محمد بن علي الانصاري النشار (ت ٩٣٨هـ) : ٧ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط.الأولى ، ١٩٨١ .

(٢) ترتيب العلوم ، محمد بن أبي بكر المرعشي : ص١٣٥ ، تحقيق محمد السيد أحمد ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط.الأولى ، ١٩٨٨ .

(٣) القراءات القرآنية ، عبد الحليم بن محمد الهادي قابة ، ص٢٦ ، مراجعة مصطفى الخن ، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ، ١٩٩٩ .

(٤) البرهان في علوم القرآن : ٤٦٥/١ .

(٥) معجم القراءات القرآنية : ٧٢/١ .

بذاته ، بذل العلماء جهداً كبيراً في روايتها وتناقلها ودراستها ، مع عناية فائقة بالضبط والإتقان وحسن الأداء[١] . ووضعوا للقراءة الصحيحة شروطاً هي : ((كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصح سندها)) [٢] .

فالقراءة سنة متبعة لأنها مروية عن الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم –: جاء في اللسان : ((القراءة سنة ولا يقرأ إلا بما قرأ به القراء)) [٣] . وجاء : ((ولم يقرأ أحد من القراء سَكَارَى بفتح السين ، وهي لغة ، ولا تجوز القراءة بها لأن القراءة سُنَّة))[٤].

قال بشأن قوله تعالى : ﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ (الإنسان– ٢١).

وجاء فيه مشيراً إلى شرط موافقة القراءة لرسم المصحف : ((وقد قرئ عاليَتهم بالنصب ، وعاليتُهم بالرفع ، والقراءة بهما لا تجوز لخلافهما المصحف))[٥].

والقراءات القرآنية يستشهد بها ، صحيحها وشاذها[٦] . وهي مصدر مهم من مصادر الاستشهاد في مسائل العربية عند البصريين والكوفيين على السواء[٧] . وأن الاعتماد عليها في الاستشهاد من شأنه أن يغني اللغة العربية ، إذ يمدها بفيض غزير من الاستعمالات بمختلف الأساليب ، لعلاقتها الوثيقة باللهجات العربية . ولها الفضل

---

(١) القراءات القرآنية وأثرها في علوم العربية ، د. محمد سالم محسن ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م : ص٧ .

(٢) النشر في القراءات العشر : ٩/١ .

(٣) لسان العرب (عثا) : ٢٩/١٥ .

(٤) المصدر نفسه (سكر) : ٣٧٣/٤ .

(٥) لسان العرب (علا) : ٨٤/١٥ ، وهذا القول للزجاج ، ينظر معاني القرآن وإعرابه : ٢٠٣/٥ .

(٦) المحتسب : ٣٢/١-٣٣ .

(٧) الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه : ١٤٣ .

في الحفاظ على كثير من اللهجات العربية القديمة التي اصبحت في ذمة التأريخ[١] . ولهذا تعد كتب القراءات وثائق مهمة لدراسة اللهجات العربية . والتعويل عليها في توجيه تلك القراءات لغويّاً ونحويَاً .

لقد اهتمت المعجمات اللغوية بالآيات القرآنية ، وقراءاتها واعتمدت عليها في كثير من جوانب الكشف عن معاني المواد اللغوية وبيانها ، وهي تمثل جانباً مهماً من الشواهد . وكان لكل صاحب معجم منهج خاص به في الاستشهاد بالقراءات القرآنية . فالخليل مثلاً كان مهتماً بالشاهد القرآني وقراءاته في تفسير المواد اللغوية، زد على ذلك تفسيره للآيات ، والتعليق عليها ، فهو صاحب اختيار ونظر . وابن دريد في كتابه الجمهرة ، شديد التحرج في تفسير الألفاظ القرآنية ، لا يطلق الكلام على عواهنه ، ولا يخوض مع الخائضين في أوجه التفسير المحتملة ، وعنايته بالقراءات لا تقل عن عناية الخليل بها . وهكذا الحال مع سائر المعجميين العرب ، ومنهم أصحاب المعجمات التي اعتمد عليهم ابن منظور في تأليف معجمه، إذ لا تقل عنايتهم بالقراءات القرآنية كالسابقين لهم . فالأزهري الذي يبدو في معجمه إماماً من أئمة اللغة وعالماً في التفسير والحديث والفقه يربط بين اللغة العربية ، والقرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، ولذا فلا غرابة أن نجد في كتابه اهتماماً خاصاً وعناية متميزة بالقراءات فاق اهتمام كبير من المعجميين وَبَزَّ عنايتهم بها ، إلى جانب نظرات ثاقبة في التفسير تنبيء عن علم غزير وفهم عميق ونشاط ملحوظ[٢] .

وقد أشار إلى ذلك الباحثون[٣] . منهم المرحوم الدكتور رشيد العبيدي الذي أوضح عناية الأزهري بالقراءات القرآنية عناية كبيرة ، ذاكراً أنه كان لا يقف على آية

---

(١) القراءات القرآنية وأثرها في علوم العربية : ٨٢/١ .

(٢) القراءات القرآنية في المعجمات اللغوية حتى نهاية القرن السابع الهجري ، عبد الرحمن مطلك الجبوري، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٩٠ .

(٣) ينظر : الجاسوس على القاموس ، أحمد فارس الشدياق : ٤٨ ، والبحث اللغوي عند العرب : ١٣٦ .

إلا نظر فيما ورد فيها من القراءات عن أئمة القراء والرواية ، وكان له طريقة خاصة فيه ، وكان يتقن مذاهب القرّاء ومميزاتها وخصائص كل قراءة . وبين التزامه بالسنة في القراءات ، وتحاشيه الأخذ بقراءة اللغويين والنحويين لأنها تخرج عما روي عن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وأشار أيضاً إلى عنايته بنقل أوجه الخلاف في القراءات وما يتفق عليه أكثر القراء ، وغير ذلك[١] . وليس غريباً على الأزهري أن يهتم بالقراءات ، فقد عرف عنه اهتمامه بها ، فهو مؤلف كتاب (القراءات وعلل النحويين فيها) [٢] .

يتبين من خلال ما تقدم إنَّ المصادر الأساسية التي اعتمد عليها ابن منظور في تأليف معجمه كانت حافلةً شواهدها بالقراءات القرآنية .

إذ انتقلت هذه الاهتمامات إلى اللسان ، فشهدت صفحاته كثرة ورودها ، والاستشهاد بها في المسائل النحوية والصرفية واللغوية . فكان ذاكراً ما ذكرته مصادره منها ، حاشداً ذلك في كتابه ، لذا يمكن عدُّ معجم – لسان العرب – مصدراً من مصادر القراءات لما بذل مؤلفه من جهود واضحة في جمع هذا العدد الكبير منها ، مستشهداً بها على المسائل المختلفة في مواضعها من المواد اللغوية .

وأحاول هنا استجلاء أهم ملامح أثر الاستشهاد بالقراءات القرآنية في لسان العرب وموقفه منها بقدر ما يخصّ الأمر موضوع دراستي .

١ ـ أثر الاستشهاد بالقراءات القرآنية في المسائل النحوية :ـ

ورد في لسان العرب – استشهاد بالقراءات القرآنية في معرض توجيه صرف بعض الألفاظ ، ومنع صرفها ، من ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَجِئْتُكَ مِن

(١) الأزهري في كتابه تهذيب اللغة، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، ١٩٧٣ : ٢٩٨–٣٠١ .
(٢) تهذيب اللغة (حرف) : ١٣/٥ .

﴿ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ (النمل–٢٢) ، قال ابن منظور : ((القراء على إجراء (سبأ) ، وإن لم يُجُروه كان صواباً، قال: ولم يُجْرِه أبو عمرو بن العلاء))[١] .

وترد القراءة القرآنية في – لسان العرب – أحياناً تعضيداً لشاهد شعري قَصْدَ الاستدلال على توجيه مسألة نحوية فيه ، ومن ذلك ما جاء بشأن لفظة (أذرعات) : ((وأنشد بعضهم :

تَنوَّرتُها من أذْرِعاتٍ ، وأهلُها بيَثْرِبَ أدنى دارِها نَظَرٌ عالي

ينشد بالكسر بغير تنوين من أذرعاتِ ، وأما الفتح فخطأ لأن نصب تاء الجمع وفتحه كسر ، قال : والذي أجاز الكسر بلا صرف فلأنه اسم لفظُه لفظُ جماعة ، والقول الجيِّد عند جميع النحويين الصرف ، وهو مثل عَرفات ، والقرّاء كلهم في قوله تعالى : ﴿ مِّنْ عَرَفَٰتٍ ﴾[٢] على الكسر والتنوين ، وهو اسم لمكان واحد ولفظه لفظ جمع)) [٣] .

ومن أمثلة شواهد – لسان العرب – من القراءات القرآنية ما استشهد به ابن منظور على مجيء الفعل (استبان) لازماً إذ قال : ((قال أبو منصور : والاستبانة يكون واقعاً[٤] ، يقال : أستبنت الشيء ، وإذا تاملته حتى تَبيّن لك . قال الله تعالى :

---

(١) لسان العرب (سبأ) : ٩٤/١ ، وينظر : معاني القرآن الفرّاء : ٢٨٩/٢–٢٩٠ ، وتنظر القراءة في السبعة في القراءات : ٤٨٠ .

(٢) يريد في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (البقرة–١٩٨) .

(٣) لسان العرب (ذرع) : ٩٧/٨ .

(٤) مصطلحان كوفيان يراد بالأول الفعل المتعدي وبـ(غير الواقع) اللازم ، ينظر : معاني القرآن للفرّاء : ٢٠/١ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٩٨/٢ ، ٣ / ٣٩ ، ١٧١ ، ومجالس ثعلب : ٥٨٨/٢ ، ٧٤١ ، والمدارس النحوية ، شوقي ضيف : ٢٠٠ ، والمصطلح النحوي : ١٨٠ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ ، والأستبانة – حينئذ ، تكون غير واقع))[١] .

٢- *توجيه القراءات القرآنية :-*

أورد – لسان العرب – في أحايين كثيرة توجيهاً للقراءات القرآنية ، يعد مسوغاً للحالات الإعرابية لبعض الألفاظ التي ترد في القراءة ، ومن ذلك ما أورده عن (خالصة) في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (الأعراف–٣٢) ، جاء في اللسان : ((فقد قرئ[٢] : (خالصةً) و(خالصةٌ)... وأما اعرابُ (خالصةٌ) فهو على أنه خبرٌ بعد خبرٍ ، كما تقول : زيدٌ عاقلٌ لبيبٌ . المعنى : قل هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا ، خالصةٌ يوم القيامة، ومن قرأ (خالصةً) نصبه على الحال على أنَّ العامل في قوله ((في الحياة الدنيا)) في تأويل الحال ، كأنك قلت : قل هي ثابتة للمؤمنين ، مستقرة في الحياة الدنيا خالصةٌ يوم القيامة)) [٣] .

٣- *إتخاذ موقف من القراءة يمكن أن يوصف بـ(الترجيحي) :-*

في هذا النمط يظهر موقف – لسان العرب – من القراءات القرآنية لا يقف عند حدود التوجيه ، بل يتعداه إلى ما يمكن أن يكون مظهراً من مظاهر قبول القراءة ورفضها ، من خلال أوصاف توصف بها بعض القراءات تدل على ذلك من نحو : (وهي القراءة الجيدة ، والأجود ، وهو أعجب الوجهين وغيرها) ومن أمثلة ذلك ، ما

---

(١) لسان العرب (بين) : ٦٨/١٣ .

(٢) قراءة الرفع لابن عباس ونافع . والنصب للستة الباقين ، السبع في القراءات : ٢٨٠ ، والبحر المحيط: ٤/ ٢٩١ .

(٣) لسان العرب (خلص) : ٢٧/٧ .

جاء في لسان العرب بشأن كلمة (يَخْطَفُ) في قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ (البقرة–٢٠) ، إذ جاء ((... وأكثر القراء قرؤوا[١] : (يَخْطَفُ) من ((خَطِفَ يَخْطَفُ)) وهي القراءة الجيدة ، التي اجتمع عليها أكثر القراء . وروي عن الحسن أنَّه قرأ (يخِطِّف) بكسر الخاء ، وتشديد الطاء مع الكسر ، وقال بعضهم (يخَطِّف) بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها)) [٢] .

ومن ذلك أيضاً ما جاء في لسان العرب : ((وقال الله : ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى ﴾ (المؤمنون–١١٠) . فهو سُخرّياً[٣] وسِخْرِيّاً ، والضم أجود))[٤].

وجاء في – لسان العرب – أيضاً : ((ومن قرأ[٥] قول جل وعز : ﴿ خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ (الانفطار–٧) بالتخفيف ... قال الفرّاء : من خفف فوجهه – والله أعلم – فصرفك إلى أي صورة شاء إما حَسَن وإما قبيح وإمّا طويل وإمّا قصير . ومن قرأ: (فَعَدَّلك) فشدد – وهو أعجب الوجهين إلى الفرّاء وأجودهما في العربية – ومعناه : جعلك معتدلاً لا مُعدَّل الخلق . قال : واخترت (عدّلك) : لأنَّ (في) للتركيب أقوى في

---

(١) يَخْطَفُ : هي قراءة القرّاء السبعة . ينظر : السبعة في القراءات : ١٤٨ ، ونظر قراءة الحسن في شواذ القراءات : ٥٣ .

(٢) لسان العرب (خطف) : ٧٥/٩ .

(٣) قرأ نافع وحمزة والكسائي (سُخرياً) . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر (سِخرياً) السبعة في القراءات : ٤٤٨ .

(٤) لسان العرب (سخر) : ٣٥٣/٤ .

(٥) قرأ (عَدَلك) بالتخفيف لعاصم وحمزة والكسائي ، وأما قراءة التشديد (فَعَدَّلك) فهي لابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر . السبعة في القراءات : ٦٧٤ .

العربية من أن تكون (في) للعدل ، لأنك تقول : عدلتُك إلى كذا وصرفتك إلى كذا وهذا أجود في العربية من أن تقول : عدلتك فيه وصرفتك فيه))[١] .

٤- تخطئة القراءة القرآنية :-

ورد في – لسان العرب – منحىً لتخطئة بعض القراءات القرآنية ، وسأبين أبرز ملامح هذا الاتجاه في الآتي ذكره :

أ- **حمل بعض القراءات محمل الشذوذ والضعف** . جاء في اللسان : ((قول الله عزّ وجلّ :﴿ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ ﴾ (الصافات : ٥٤-٥٥) ، القُرّاء كلهم على هذه القراءة[٢] ، الا ما رواه حسين الجعفي عن أبي عمرو أنه قرأ (هل أنتم مطْلعونِ – ساكنة الطاء ، مكسورة النون – فأُطلِع) بضم الألف وكسر اللام على (فأُفْعِلَ) ؛ قال الأزهري : وكسر النون في (مُطْلِعونِ) شاذ عند النحويين أجمعين ووجهه ضعيف ، ووجه الكلام على هذا المعنى هل أنتم مُطْلِعِيّ وهل أنتم مُطْلِعوه، بلا نون، كقولك هل أنتم آمرِوُهُ وآمِرِيَّ ؛ وأما قول الشاعر :

هُمُ القائِلونَ الخَبْرَ والآمِروُنَه ، إذا ما خَشُوا من مُحْدَثِ الأمْرِ مُعْظَمَا*

فوجه الكلام والآمرون بهِ ، وهذا من شواذ اللغات ، والقراءة الجيدة الفصيحة: هل أنتم مطَّلِعون فاطَّلَعَ ...)) [٣] .

وعزوا قراءة (مطلعونِ) إلى أبي عمرو بن العلاء عن طريق رواية حسين الجعفي هو خلاف المشهور ، فالمشهور عن أبي عمرو أنه قرأ (مُطْلِعونَ) بفتح النون

---

(١) لسان العرب (عدل) : ٣١٥/١١ .

(٢) ينظر : السبعة في القراءات : ٥٤٨ . وعُزيت قراءة (مطلعون . فاطلع) إلى أبي عمرو وأبي البرهسم وعمار ابن أبي عمار وابن عباس ، تنظر : هذه القراءة في شواذ القراءات : ٤٠٥-٤٠٦ ، ومعجم القراءات القرآنية : ٢٣٦/٥ .

(*) وصف سيبويه البيت بقوله ((وزعموا أنه مصنوع)) : الكتاب : ١٨٨/١ .

(٣) لسان العرب (طلع) : ٢٣٦/٨ .

. قال ابن مجاهد : ((كلهم قرأ (مُطَّلعونَ . فأطَّلع) الا أنَّ ابن حيان أخبرنا عن أبي هشام عن حسين الجعفي عن أبي عمرو أنه قرأ : ﴿ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطَّلَعَ ﴾ الألف مضمومة والطاء ساكنة واللام مكسورة والعين مفتوحة)) [١] .

ب- وَسْم بعض القراءات بأنها جارية على لغةٍ رديئةٍ لا يُعْبأ بها :

جاء في - لسان العرب - : ((وقال الله جل وعز : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الفاتحة-١) ، قال الفرّاء : اجتمع القراء على رفع (الحمدُ لله) ، فأما أهل البدو فمنهم من يقول : (الحمدَ للهِ) ، ومنهم من يقول (الحمدِ لله) بخفض الدال ، ومنهم من يقول : (الحمدُ لُله) فيرفع الدال واللام ، قال أبو العباس : الرفع هو القراءة ، لأنه المأثور ، وهو الاختيار في العربية . وقال النحويون : من نصب من الأعراب (الحمدَ لله) فعلى المصدر أحْمدُ الحمدَ لله ، وأمّا من قرأ[٢] : (الحمدِ لِله) فأن الفرّاء قال : ((هذه كلمة كثرت على ألسن العرب حتى صارت كالاسم الواحد، فثقل عليهم ضمها بعد كسرة فأتبعوا الكسرة الكسرة . وقال الزجاج : لا يلتفت إلى هذه اللغة ولا يعبأ بها ، وكذلك من قرأ : الحمدُ لُلهِ في غير القرآن فهي لغة رديئة))[٣] .

جـ- إنكار بعض القراءات القرآنية وعدم تجويز الوجه الذي قرئت به :

---

(١) السبعة في القراءات : ٥٤٨ .

(٢) (الحمدِ لِله) قراءة رويت عن زيد بن علي عليه السلام والحسن البصري ورؤبة . و(الحمدُ لُله) قراءة إبراهيم بن عبلة . و(الحمدَ لله) قراءة رؤبة بن العجاج : ينظر : مختصر شواذ القراءات: ١ ، والمحتسب : ٣٧/١-٣٨.

(٣) لسان العرب (حمد) : ١٥٥/٣ ، وينظر : معاني القرآن للفرّاء : ٣/١ ، ومعاني الأخفش : ٩/١-١٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ٤٥/١ .

من ذلك ما جاء بشأن قوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (البقرة-١١٧) ، إذ جاء : ((وقال الليث : قرئ ﴿بديعَ السموات والأرض﴾ بالنصب على معنى التعجب لما قال المشركون ، على معنى بَدْعاً ما قلتم وبديعاً أخترقتم ، فنصبه على التعجب والله أعلم أهو كذلك أم لا ؛ فأما قراءة العامة فالرفع ، ويقولون هو اسم من أسماء الله سبحانه ، قال الأزهري : ما علمت أحداً من القرّاء قرأ بديعَ بالنصب، والتعجب فيه غير جائز ، وإن جاء مثله في الكلام فنصبه على المدح كأنه قال أذكر بديع السموات والأرض)) [١] .

والذي وقفت عليه أنَّ قراءة النصب هي لصالح الشاميّ[٢] وعليه لا وجه لقول الأزهري من أنه لا يعلم أحداً من القراء قرأ بالنصب .

ومن ذلك أيضاً ما جاء بشأن قوله تعالى : ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقرة-٨٣) ، إذ جاء : ((ومعنى قوله : ﴿وقولا للناس حُسْناً﴾ أي قولاً ذا حُسْنٍ والخِطاب لليهود أي اصْدُقوا في صفة محمد ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ . وروى الأزهري عن أحمد بن يحيى أنه قال : قال بعض أصحابنا اخْترنا حَسَناً[٣] لأنه يريد قولاً حسَناً ، قال : والأُخرى مصدر حَسُنَ يَحسُن حُسْناً ، قال : ونحن نذهب إلى أن الحَسَن شيءٌ من الحُسْن ، والحُسْن شيءٌ من الكل ، ويجوز هذا وهذا، قال: وأختار أبو حاتم حُسْناً ، وقال الزجاج : من قرأ حُسْناً بالتنوين ففيه قولان أحدهما وقولوا للناس

---

(١) لسان العرب (بدع) : ٧/٨ ، وينظر : العين (بدع) : ٢٤٢/٢ .

(٢) ينظر : مختصر في شواذ القراءات : ٣٩ .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وعاصم وابن عامر (حسنا) بالضم والتخفيف ، وقرأ حمزة والكسائي (حَسناً) بالفتح والتثقيل ، السبعة في القراءات : ١٦٣ ، وقرأ أُبي وطلحة بن عوف (حُسْنى) على وزن (فُعْلى) البحر المحيط : ٢٨٤/١-٢٨٥ .

قولاً ذا حُسْنٍ ، قال: وزعم الأخفش أنه يجوز أن يكون حُسْناً في معنى حَسَناً ، قال : ومن قرأ حُسْنى فهو خطأ لا يجوز أن يقرأ به)) [١] .

ولعل وجه تخطئتهم قراءة (حُسْنى) ، هو أنَّ (حُسْنى) ينبغي أن يكون معرفاً بالألف واللام . قال الأخفش مبيناً هذا الأمر : ((لأن (الحُسْنى) لا يُتَكَلَّمُ بها إلا بالألف واللام لو قلت : جاء لي أحسُن وأطولُ لم يحسنْ ، حتى تقول جاءني الأحسنُ والأطولُ . فكذلك هذا . تقول : جاءتني الحسن والطول))[٢] .

ووافقه فيه الزجاج إذ قال : ((لا ينبغي أن يقرأ به ، لأنه باب الأفعل والفُعلى، نحو : الأحسن والحُسنى ، الأفضل والفضلى ، لا يستعمل إلا بالألف واللام، كما قال الله جل وعز : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ (الأنبياء-١٠١) ، وقال : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس-٢٦) .)) [٣] .

٥- الانتصار للقراءات القرآنية :-

نجد في معجم – لسان العرب – إنتصاراً لبعض القراءات القرآنية التي ينكرها بعض النحاة لظنهم أنها تخالف سنن العربية . من ذلك ما جاء بشأن قوله تعالى : ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (الأنعام-٩٤) ، إذ جاء فيه: ((قرأ نافع وحفص عن عاصم والكسائي : ((بينَكم)) ، نصباً وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ، وابن عامر وحمزة ((بينُكم)) رفعاً . وقال أبو عمرو : لقد تقطع بينُكم ، أي وصلكم . ومن قرأ (بينَكم) فأنَّ أبا العباس روى عن ابن الأعرابي أنه قال : معناه : تقطع الذي

---

(١) **لسان العرب (حسن)** : ١١٦/١٣ ، **وينظر : معاني القرآن للأخفش** : ١٢٧/١ ، **ومعاني القرآن وإعرابه:** ١٦٣/١ .

(٢) **معاني القرآن للأخفش** : ١٢٧/١ .

(٣) **معاني القرآن وإعرابه** : ١٦٤/١ .

كان بينَكم . وقال الزجاج : من فتح فالمعنى : لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم وروي عن ابن مسعود أنه قرأ : ﴿لقد تقطع ما بينَكم﴾ . واعتمد الفرّاء وغيره من النحويين قراءة ابن مسعود ، لمن قرأ ((بينَكم)) [١] وكان أبو حاتم ينكر هذه القراءة ، ويقول : من قرأ ((بينَكم)) لم يجز إلا بموصول ، كقولك : ما بينكم . قال : ولا يجوز حذف الموصول وبقاء الصلة ، ولا يجيز العرب : إنْ قام زيد ، بمعنى : إنَّ الذي قام زيدٌ ، قال أبو منصور : وهذا الذي قاله أبو حاتم خطأ ؛ لأن الله جَلّ ثناؤه خاطَبَ بما أنزَل في كتابه قوماً مشركين فقال : ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ ؛ أراد لقد تقطع الشِّرْكُ بينكم أي فيما بينَكم ، فأضمر الشركَ لِما جرَى من ذِكْر الشُّركاء ، فافهمه)) [٢] .

والذي يبدو لي من خلال ما أورده ابن منظور نقلاً عن الأزهري ، أن الأزهري مصِيبٌ في ردّه على أبي حاتم وانتصاره لقراءة (بينكم) نصباً ، لأن القراءتين – أعني قراءة (بينُكم) رفعاً ، وقراءة (بينكم) نصباً – كلتيهما متفقتان في المعنى ، فضلاً عن أنّ السماع عن العرب يعضد قراءة (بينَكم) نصباً ، قال ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) تعليقاً على الآية موضوعة البحث : ((واختلفت القراء في قوله (بينكم) فقرأته عامة قراء أهل المدينة نصباً بمعنى : لقد تقطع ما بينكم ، وقرأ ذلك عامة قراء مكة والعراقيين (لقد تقطع بينُكم) رفعاً بمعنى : لقد تقطع وصلكم . والصواب من القول عندي في ذلك أن يقال : أنهما قراءتان مشهورتان بأتفاق المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب

---

(١) تنظر القراءات في معاني القرآن للفرّاء : ٣٤٥/١ ، والسبعة في القراءات : ٢٦٣ ، والبحر المحيط : ١٨٣/٤ .

(٢) لسان العرب (بين) : ٦٢/١٣-٦٣ ، وينظر : معاني القرآن للفرّاء : ٣٤٥/١-٣٤٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ٢٧٣/٢ .

الصواب ، وذلك أنَّ العرب قد تنصب (بينَ) في موضع الاسم ، ذكر سماعاً منها : ايابي نحوَك ، ودونَك – وسواءَك نصباً في موضع الرفع ، وقد ذكر عنها سماعاً الرفع في (بين) إذا كان الفعل لها ، وجعلت اسماً وينشد بيت مهلهل :

كأن رحامهم أشطانُ بئرٍ بعيدٍ بينُ جاليها جرور

برفع (بين) إذا كانت اسماً ، غير أن الأغلب عليهم في كلامهم النصب فيها في حال كونها صفة[١] وفي حالة كونها اسماً)) [٢] .

نخلص مما مرَّ ذكره إن موقف معجم – لسان العرب – من القراءات القرآنية يتمثل بـ :

١- الاعتداد بالقراءات القرآنية ورسم المصحف ، كون القراءة سنة لا تخالف، وترتب على ذلك استشهاد مستفيض بها في المسائل النحوية : تبييناً وتوجيهاً.

٢- وبإزاء هذا الموقف نلحظ موقفاً مغايراً ينطوي على تخطئة بعض ما قرئ به ، وحمل بعض منها على الشذوذ وتضعيف بعض ، وإنكار بعض آخر .

٣- الانتصار لبعض القراءات التي خطئت من لدن بعض النحاة اللغويين والاحتجاج لها وتوجيهها توجيهاً نحوياً بما يعضد الوجه الذي قرئت به بالاحتكام إلى أقوال مشاهير النحاة .

وأود الإشارة ههنا إلى أنَّ تخطئة القراءات القرآنية أمر لا ينبغي أن يصار إليه من حيث إنَّ كل ما قرئ به من القرآن الكريم جاز الاستشهاد به متواترهُ وآحاده وشاذه[٣] ، يزاد على ذلك أن كثيراً مما يسمى (شاذاً) ((ضارب في صحة الرواية بجرانه ، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه))[٤] على حد تعبير ابن جني.

---

(١) مصطلح كوفي يراد به (الظرف) ، ينظر : معاني القرآن للفرّاء : ١/٣٦٢-٣٦٣ ، ٣٤٥ ، ومجالس ثعلب : ٦٤/١ ، والمذكر والمؤنث لابن الانباري : ٤٠٥ .

(٢) جامع البيان : ٢٧٩/٧-٢٨٠ .

(٣) الإقتراح في علم أصول النحو : ٤٨ .

(٤) المحتسب : ٣٢/١-٣٣ .

أمّا عن أثر القرآن الكريم وقراءاته في المعجم العربي ، فمن المعروف أن أساليب القبائل وتعبيراتها وألفاظها كانت مختلفة ، ولما كان القصد من إنزال القرآن الكريم هداية الأمة وإرشادها لتكون حاملة هذه الرسالة الإلهية إلى الإنسانية جمعاء ، كان لابد من قراءة القرآن الكريم على وجه يكفل له تحقيق أهداف هذه الرسالة ، ومن هنا اقتضت الحكمة الإلهية أن تتعدد القراءات القرآنية لأغراض وحكم جليلة ، ولتسهل تلاوة القرآن الكريم على تلك القبائل على اختلاف لهجاتها ، فحصل بذلك التخفيف عنها ، فما ذاع في أرجاء الجزيرة من القرآن الكريم ، شاع التعبير عنه بما تضمّنه من ألفاظ على كل لسان ، فكان قدراً مشتركاً بين القبائل كافةً ، تعبر به في غدوها ورواحها ، فأكسبت القراءات الأمة من ذلك عنصراً من أهم مقوماتها ومكوّناتها ، وهو نوع من أنواع وحدة اللغة ، إذ خفت حدة خلافات اللغات واللهجات، وآذنت بالزوال .

فتلاوة القرآن الكريم بعدة قراءات مرحلة مهمة أسهمت كثيراً في تحطيم الحواجز اللغوية بين العرب ، بل أدت في خاتمة المطاف إلى شبه وحدة بين الألسن العربية .

وهنا يكمن السر ، فقد يتساءل البعض : كيف يمكن لتعدد القراءات أن يكسر الحواجز اللغوية بين العرب ، والقراءات متعددة أصلاً ؟ .

الجواب عن ذلك سهل وهو أمر طبيعي ، لأن إلتزام جميع الأمة بعدد معيّن من القراءات – سواءًا كان سبعاً أم عشراً – لابد أنه سيحد من التوسع ، ومن قراءة كل فرد أو قبيلة على هواها .

هذا من ناحية القراءات الجائزة تلاوة القرآن الكريم بها ، لكن لا يمكن إغفال دور القراءات الشاذة أيضاً ، في تعرّف اللهجات العربية ، لأن ((القراءات الشاذة هي أغنى مأثورات التراث بالمادة اللغوية التي يلمح فيها المرء صورة تاريخ هذه اللغة الخالدة)) [١] .

---

(١) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، عبد الصبور شاهين : ٧-٨ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

وحفظت القراءات القرآنية كثيراً من لغات العرب ولهجاتهم من الضياع والاندثار ؛ لأنها استعملت أفصح ما عندهم ، وبذلك خلدت لغتهم وذكرهم، وفي ذلك من المنة عليهم ما لا يخفى[١] .

ثانياً : أثر القرآن في المسائل الصرفية والصوتية :

توطئـــة :

لقد أولى ابن منظور عناية بالجانب الصرفي والصوتي في معجمه فكان كثيراً ما يورد المسائل الصرفية والصوتية في أثناء ذكره معاني المفردات اللغوية . وكان للقرآن الكريم دورٌ عند ابن منظور في إيراد هذه المسائل الصرفية والصوتية؛ وذلك للاستدلال بها على إثبات حكم صرفي أو تناول ظاهرة صرفية أو صوتية استدعى ورودها في ذلك الشاهد القرآني تناولها بأوجهها المختلفة وما أثارته من نقاش وجدل بين العلماء .

وسأحاول أن أعرض لبعض تلكم المباحث التي وجدنا أن للقرآن فيها أثراً في توجيه الحديث وجهة معينة أثرت من ثمَّ في بناء مادّة معجم لسان العرب من حيث أصبح مصدراً لتناول المباحث الصرفية والصوتية وما تضمَّنَه هذا التناول من نقاش وحوار وجدل ونقل لآراء العلماء السابقين . أمّا أثر الشاهد القرآني في البحث الصرفي

---

(١) ينظر : صفحات في علوم القراءات ، عبد القيوم السندي : ١٤٠ ، دار البشائر الإسلامية والمكتبة الإمدادية ، بيروت ومكة المكرمة ، ط الثانية ، ٢٠٠١ .

بوصفه مصدراً من مصادر تقعيد القواعد أو الاستدلال على صحتها فيمكن إظهاره في الآتي :

١ - الاشتقاق :

جاء في لسان العرب بشأن مادة (صعد) : ((الصَّعُودُ : المشقة ، على المثل، وفي التنزيل : ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ (المدثر-١٧) ؛ أي على مشقة من العذاب ... والصَّعُودُ : العقبة الكؤودُ ، وجمعها الأَصْعِدَةُ . ويقال : لأُرْهِقَنَّكَ صَعُوداً أي لأُجَشِّمَنَّكَ مَشَقَّةً من الأمر ، وإنما اشتقوا ذلك لأن الارتفاع في صَعُود أشَقُّ من الإنحدار في هَبُوط ؛ وقيل فيه : يعني مشقة من العذاب ...)) [١] .

وجاء فيه أيضاً بشأن مادة (قرن) ، قوله : ((وأقْرَنَ له وعليه : أطاق وقوِيَ عليه وأعتَلى . وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾ (الزخرف-١٣) ؛ أي مُطِيقينَ ؛ واشتقاقه من قولك أنا لفلان مُقْرِن أي مُطيق . وأقْرَنْتُ فلاناً أي قد صِرْت له قِرْناً .)) [٢] .

٢ - المصدر :

جاء في لسان العرب : ((والخِلْفةُ : مصدر الاختلاف ، وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ ﴾ (الفرقان-٦٢) ... يكون قوله

---

(١) لسان العرب (صعد) : ٢٥١/٣ . وينظر : معاني القرآن وإعرابه : ١٩٢/٥ .

(٢) لسان العرب (قرن) : ٣٤٠/١٣ . وينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣٠٩/٤ .

تعالى خِلْفَةً أي من فاته عمل في الليل أستدركه في النهار فجعل هذا خلَفاً من هذا.))[١] .

ومن ذلك ما جاء شاهداً على مجيء المصدر بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع ، ذكر ابن منظور في مادة (ضيف) : ((ويجمعُ الضَّيْفُ على ضُيُوف وضيفان . وفي لغة : هي ضَيْفٌ ، وهو وهما وهم وهُنَّ ضَيْفٌ ، قال –عزّ وجلّ – : ﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي ﴾ (الحجر–٦٨) ...))[٢] .

وقد ضمت الشواهد القرآنية في اللسان ألفاظاً على عدد من الأبنية المصدرية للأفعال فأشار إليها ابن منظور إشارة صريحة ، كما سيتضح في تناولنا لهذه الشواهد المباركة التي إزدان بها الكتاب وسنختارُ عينة منها بغية الإيجاز بعد تقسيمها على أبنية للأفعال الثلاثية المجردة ، ومن ثم أبنية للأفعال المزيدة .

أولاً : أبنية مصادر الأفعال الثلاثية المجردة :

(فَعْل) : بفتح الفاء وسكون العين[٣] .

ومما جاء من الشواهد القرآنية على هذا البناء – أعني بناء (فَعْل) بفتح الفاء وسكون العين – ما ذكره ابن منظور في تفسيره لمادة (غور) ، إذ قال : ((غارَ الماءُ غوراً وغوَّر : ذهب في الأرض وسفل فيها ... وماءٌ : غائر ، وصف ، بالمصدر ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا ﴾ (الملك–٣٠) ، سمي بالمصدر كما يقال ماءٌ سكبٌ وأذُنٌ حشرٌ ودرهمٌ ضربٌ أي : ضرب ضرباً))[٤] .

---

(١) لسان العرب (خلف) : ٨٦/٩ ، وينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٥٨/٤–٥٩ .

(٢) لسان العرب (ضيف) : ٢٠٩/٩ ، وينظر : معاني القرآن وإعرابه : ١٤٩/٣ .

(٣) ينظر : الكتاب : ٥/٤–١٣ ، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٢١٢ .

(٤) لسان العرب (غور) : ٣٤/٥ .

وفي موضع آخر يذكر ابن منظور[١] أن المصدر يُشبه اسم الفاعل لجواز وقوع كل واحدٍ منهما موقع صاحبه وقد استشهد على ذلك بقول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ أي أنَّ : غوراً مصدرٌ صَحّ مجيئه مكان (غائراً) الذي هو اسمُ فاعل .

وإلى ما ذهب إليه صاحب اللسان قد ذهب إليه علماءُ آخرون فقد ذكر أبو عبيدة في مجازه أنّ (غوراً) في قوله تعالى المذكور آنفاً مَجازُه (غائراً) وأن الغور مصدر وأشار إلى أن العرب قد تفعل ذلك[٢] .

وذهب الزّجاج إلى أنَّ (غوراً) في الشاهد القرآني الذي تقدم ذكره بمعنى (غائراً) وذكر أنه مصدر يوصف به الاسم فتقول : ماء غور ، ومادان غورٌ ، ومياه غور ، كما تقول : هذا عدلٌ وهذان عَدلٌ وهؤلاء عدلٌ[٣] .

ويعلل ابن جني استعمال المصدر (غوراً) مكان (غائراً) فيذكر أنّ ذلك من قبل أنَّ مَن وَصَفَ بالمصدر فقال : هذا رجلٌ زَور ونحو ذلك ، فإنما ساغ ذلك لأنه أراد المبالغة ، وأن يجعلهُ هو نفس الحدث لكثرة ذلك منه[٤] .

وعلى ذلك فإن جعل (غور) مكان (غائر) قد قُصد منه المبالغة والمصدر أوكد في الاستعمال تقول : جاء زيدٌ رَكْضاً ، وجاء زيد راكضاً ، لأن ركضاً يدل على توكيد الفعل[٥] .

ثانياً : أبنية مصادر الأفعال المزيد :

---

(١) لسان العرب (نعش) : ٣٥٦/٦ .
(٢) ينظر : مجاز القرآن : ٢٦٢/٢ .
(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٢٠١/٥ .
(٤) ينظر : الخصائص : ١٨٩/٣ .
(٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٢٤٠/٣ .

وفيما يأتي مثال مما استشهد به صاحب اللسان من الشواهد القرآنية المباركة التي تَضَمَّنَت ألفاظاً جاءت أوزانها على وفق أبنية مصادر الفعل المزيد :

(فِعّال) : بكسر الفاء وتشديد العين : وهو من الأبنية السماعية لمصدر الفعل الثلاثي المزيد . وذلك : ((فعّل – يفعّل)) نحو : كلّمته كلاّماً[١] .

الفعل الثلاثي المضعّف العين أي على (فَعّل–يفعّل) يكون مصدره على تفعيل، نحو : هذّب ، تهذيب – ذبّح ، تذبيح ، بيد أنه ورد في اللسان أبنية مصادر للفعل الثلاثي الذي ضعّفت عينه على غير هذا البناء المصدري . وقد عدَّ سيبويه مثل هذه المصادر على أنها لغة من لغات العرب إذ قال : ((وأما فعّلت فالمصدر منه على التفعيل . جعلوا التاء في أوله بدلاً من العين الزائدة في فعلت وجعلوا الياء بمنزلة ألف الإفعال فغيروا أوله كما غيروا آخره . وذلك قولك : كسّرته تكسيراً ، وعذّبته تعذيباً ، وقد قال ناس : كلّمته كِلاَّماً وحمّلته حِمّالاً))[٢] .

وما أشار إليه سيبويه من أنَّ ناساً يجعلون مصادر الأفعال الثلاثية التي على (فعَّل) يجعلونها على (فعّال) قد ذكره صاحب اللسان ، إذ قال : ((الكَذِبُ نقيض الصدق ، كذب يكذبُ كَذِباً وكِذباً وكَذبةٌ وكِذاباً وكِذّابا ، ... وكذّب الرجل تكذيباً وكِذّاباً : جعله كاذباً ، وقال له كذبتَ ، وكذلك كذّبّ بالأمر تكذيباً وكِذّاباً ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴾ (النبأ–٢٨) وفيه : ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴾ (النبأ–٣٥) ؛ أي كذباً ، قال الفرّاء : خففهما علي بن أبي طالب ﴿ عليه السلام ﴾ جميعاً[٣] وثقلهما عاصم وأهل المدينة[٤] ، وهي لغة يمانية فصيحة يقولون:

---

(١) ينظر : الكتاب : ٤/٧٨–٨٠ ، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٢٣٨ .

(٢) الكتاب : ٤/٧٩ ، وينظر : شرح الشافية : ١/١٦٦ .

(٣) تنظر قراءة الإمام (علي) – عليه السلام – في إعراب القرآن للنحاس : ٣/٦٠٩ ، والبحر المحيط : ٨/٤١٥ ، معجم القراءات القرآنية : ٨/٤٩ .

(٤) معجم القراءات القرآنية : ٨/٤٨ .

كـذّبت بـه كـذّابا وخرقـت القمـيص خرّاقـا ، وكـلُّ فعّلـت فمصـدره فِعّـال فـي لغـتهم ، مشددة))[١].

لقد ذكر الخليل أن الكِذّاب بالتشديد لغة ، وان قولـه جل وعز : ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴾ بمعنـى تكـذيباً وأشـار إلـى أن العـرب تقول كذّبتـه تكـذيباً ثـم تجعل بدل التكذيب كذابا[٢] .

يظهر من قول الخليل أن استعمال (كذّاباً) بدل (تكذيباً) قد قصد إليه قصداً ؛ لأن المصدر القياسي هو (تكذيب) وهنا في الآية الكريمة (كذّاب) والدليل على ذلك ما أشار إليه الزجاج من أنّه في مصادر (فَعَّلت) أجود[٣] .

ويبـدو مـن كـلام الخليـل والزجـاج : أن (كـذاباً) مصـدر سـماعي يخـص قبائـل معينـة من القبائل العربيـة . وقد نسبها ابن منظور نقـلاً عن الفرّاء إلـى قبائل اليمن . وبهذا يتضح أثر القرآن الكريم في حفظ لهجات القبائل العربية العريقة بين ثنايا ألفاظه المباركة الأمر الذي أسهم في إغناء مادة المعجم العربي من حيث أصبح مصدراً مهماً في توثيق اللغة العربية ولهجاتها . وفي هذا ردٌّ على الرأي القائل أن القرآن الكريم كان مقتصراً في نظمه على لهجة قريش وحسب ، إذ استبان من خلال ما تقدم دعم الرأي القائل أنَّ ثمة مزيجاً من لهجات متعددة في القرآن الكريم، عمادها الاصطفاء بغية الوصول إلى أقصى الدقة في التعبير ، وآية ذلك ما وجد في القرآن الكريم من كلمات نسبت إلى قبائل غير قريش .

٣- التذكير والتأنيث :

---

(١) لسان العرب (كذب) : ١/٧٠٤-٧٠٦ .

(٢) ينظر : معجم العين (كذب) : ٥/٣٤٦ .

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٥/٢١٣ .

جاء في لسان العرب فيما يخص هذه القضية ، الآتي : ((والفّلك ، بالضم : السفينة ، تذكر وتؤنث وتقع على الواحد والاثنين والجمع ، ... قال الله في التوحيد والتذكير : ﴿ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ (الشعراء-١١٩) ، فذكَّر الفُلْك وجاء به مُوَحَداً، ويجوز أن يؤَنث واحده كقول الله تعالى : ﴿ جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ (يونس-٢٢)، فقال : جاءتها فأنث ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ ﴾ (البقرة-١٦٤) ، فأنث ويحتمل أن يكون واحداً وجمعاً ، وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ (يونس-٢٢) ، فجمع وأنّث فكأنه يُذهب بها إذا كانت واحدة إلى المَرْكَب فيذكر وإلى السفينة فيؤنث))[١] .

وجاء فيه أيضاً : ((الذَّهبُ : التِّبْرُ ... وأهل الحجاز يقولون : هي الذهب ، وبلغتهم نزلت : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة-٣٤) ، ولولا ذلك لَغَلَبَ المُذَكَّرُ والمُؤنَّثَ)) [٢] .

٤- الاستدلال على استعمال بناء صرفي :

جاء في لسان العرب : ((عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْماً ، نقيض جَهِلَ ، ورجلٌ علاّمة ، وعلاّم ، وعَلِيمٌ ؛ فإن أنكروا العليم فإنَّ الله يحكي عن يوسفَ : ﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف-٥٥) ، وأدخلت الهاء في علاّم للتوكيد))[٣] .

---

(١) لسان العرب (فلك) : ٤٧٩/١٠ .

(٢) لسان العرب (ذهب) : ٣٩٤/١ .

(٣) لسان العرب (علم) : ٤١٦/١٢ .

٥- *الدلالة الصرفية :*

وفي مجال اهتمام – لسان العرب – بالدلالة القرآنية ، جاء فيه : ((وأشْرَقَ القومُ : صاروا في وقت شروق الشمس ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾ (الحجر-٧٣) ؛ أي : حيث طلعت عليهم الشمس)) [١] .

٦- *الاستدلال على معنى صرفي معين :*

جاء في معجم لسان العرب استعمال بعض أبنية الأفعال التي تدل على معانٍ صرفية معينة ، ومن هذه المعاني هو معنى المطاوعة ، واستعمال القرآن الكريم للفعل المطاوع وحده يعزز ما نهجه بعض أئمة اللغة والنحو في الحديث عن أفعال المطاوعة . ومما جاء في هذا الباب ما أورده ابن منظور بشأن مادة (وسق) ، إذ قال : ((الوسوق : ما دخل فيه الليل وما ضمَّ ، وقد وسق الليل واتسق، وكل ما انتظم فقد اتسق ... قال الفرّاء : اتساق القمر : امتلاؤه واجتماعه واستواؤه))[٢] .

وقد ورد الفعل (اتسق) مطاوعاً لوسق بمعنى اكتمال الشيء وانتظامه في قوله تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾ (الانشقاق: ١٦-١٨) ، وقد نص على المطاوعة الزمخشري[٣] والشوكاني[٤] .

ومنه أيضاً ما أورده ابن منظور بشأن مادة (أمر) ، قال : ((الائتمار والاستئمار : المشاورة ... ويقال لكل من فعل فعلاً من غير مشاورة : ائتمر كأن نفسه

---

(١) لسان العرب (شرق) : ١٠/١٧٥ .

(٢) لسان العرب (وسق) : ١٠/٣٧٩ .

(٣) الكشاف : ٤/٢٣٥-٢٣٦ .

(٤) فتح القدير ، تحقيق عبد الرحمن عميرة : ٥/٤٠٤ ، ط١ ، ١٩٩٤ ، دار الوفاء للطباعة ، المنصورة-مصر .

أمرته بشيء فأتمر أي أطاعها))[١] . وكأن ائتمر من الأضداد . وقد ورد (يأتمرون) مطاوعاً لـ(أمر) بمعنى الائتمار أي قبول الأمر في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ (القصص-٢٠) ، نص على المطاوعة الطاهر بن عاشور بقوله: ((الائتمار قبول أمر الأمر فهو مطاوع أمره)) [٢] ، ويستشف معنى المطاوعة من قول الزجاج : ((أي يأمر بعضهم بعضاً بقتلك)) [٣] فينصاع الجميع للأمر . وفيه تحذير من الرجل الصالح لموسى عليه السلام كي ينجو بنفسه من الكفار .

أمّا عن أثر الشاهد القرآني في البحث الصوتي ، على أنه مصدر مهم في الاستدلال على صحة بعض الظواهر الصوتية العربية التي تمثلت في الإبدال والإدغام والهمز وغيرها من المسائل الصوتية التي حظيت باهتمام علماء العربية قديماً وحديثاً ، على أننا سنتناول بعض من هذه المسائل الصوتية المهمة لإستجلاء أثر القرآن الكريم عليها ، فتمثلت في الآتي :

١ - الإبدال :-

يُعدُّ الإبدال من المباحث الصوتية الواضحة معالمها في الشواهد القرآنية التي تضمّنها اللسان ، وفيما يخص الإبدال في شواهد اللسان القرآنية فقد كان :

أ- ابدالاً حرفياً .

ب- ابدالاً حركياً .

جـ- ابدالاً لفظياً .

أ- الإبدال الحرفي :

---

(١) لسان العرب (أمر) : ٣٠/٤ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير : ٩٦/٢٠ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه : ٣٨/٤ .

وفيه يتم إبدال حرف مكان حرف كما هو موضح في الآتي :

١- بين الجيم والخاء :

وهما حرفان متباعدا المخرج والصفة ، فالجيم يخرج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى ، ويخرج الخاء من الحلق[١] ، والجيم حرف مجهور والخاء مهموس[٢] . ومع أن الحرفين متباعدان في المخرج ومختلفان في صفة الجهر والهمس إلا إنّهما يشتركان في صفة الانفتاح . فقد ذكر سيبويه أن الحروف المطبقة هي الصاد والضاد والطاء والظاء وأن المنفتحة كلٌّ ما سوى ذلك[٣] .

وقد وردت ألفاظ تبودل فيها هذان الحرفان ، يقال : خلع وجلع إذا ذهب حياؤه[٤] ، ورجلٌ نفّاج ونفّاخ : إذا كان صاحب فخْر وكبّر[٥] .

لقد استشهد ابن منظور على إبدال هذين الحرفين من القرآن العزيز فذكر أنّ الجؤار مثل الخوار وجأر الثور والبقرة يَجأرُ جؤاراً بمعنى صاحا وخار يخور بمعنى

---

(١) ينظر : الكتاب : ٤٣٣/٤ ، اللسان (حرف الجيم) ، (حرف الخاء) .

(٢) ينظر : الكتاب : ٤٣٤/٤ .

(٣) ينظر : الكتاب : ٤٣٦/٤ .

(٤) ينظر : القلب والإبدال : ٢٩ .

(٥) ينظر : كتاب الإبدال : ٢١٤/١ .

واحد رفعا صوتهما ، وأن قوله تعالى : ﴿ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ﴾ (الأعراف- ١٤٨) ، قرأ بعضهم[١] : ﴿عجلاً جسداً له جُؤار﴾ بالجيم[٢].

وفي موضع آخر يذكر أن الخوار هو من أصوات البقر والغنم والظباء والسهام وأن قوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ﴾ (طه – ٨٨) هو من ذلك[٣] .

لقد ذكر الخليل أنَّ الخوار : صوت الثور ، وما اشتد من صوت البقرة والعجل تقول خار يخور خَوْرًا وخؤاراً[٤] . وجأرت البقرة جؤاراً : رفعت صوتها[٥]. وذهب الأخفش إلى أنّ كلاً من الجُوار والخُوار من لغات العرب[٦] .

وذكر الزجاج أنهما بمعنى واحد[٧] . وتبعه في ذلك النحاس[٨] . وأشار الجوهري إلى أن الجؤار مثل الخوار فيقال جأر الثور أي صاح ، واستشهد بقوله تعالى المذكور آنفاً[٩] ، وذكر الزمخشري أن علياً ﴿ عليه السلام ﴾ قرأ (جؤاراً) بالجيم والهمزة ، من جأر إذا : صاح[١٠] .

---

(١) ينظر : مختصر شواذ القراءات : ٤٦ ، والبحر المحيط : ٣٩٢/٤ ، وهي قراءة أبي السّمال .
(٢) ينظر : اللسان (جأر) : ١١٢/٤ .
(٣) المصدر نفسه : (خور) : ٢٦١/٤ .
(٤) ينظر : العين (خور) : ٣٠٣/٤ .
(٥) المصدر السابق (جأر) : ١٧٣/٦ .
(٦) ينظر : معاني القرآن : ٣١٠/٢ .
(٧) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣٧٧/٢ .
(٨) ينظر : إعراب القرآن : ٦٣٨/١ .
(٩) ينظر : الصحاح : (جأر) .
(١٠) ينظر : الكشاف : ١٦٠/٢ .

إنّ ما ذكره ابن منظور في معجمه جاء موافقاً لما ذكره أهل اللغة والتفسير وإن الإبدال بين الجيم والخاء قد تحقق بقراءة (جؤار) وهي في المصحف الشريف (خوار) بالخاء .

٢- بين العين والنون :

وهذان الحرفان متباعدان في المخرج ، فالعين حرف حلقي يخرج من أوسطه ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون[١] .

وكلٌّ منهما مجهور[٢] ، وقد يكون اشتراكهما بصفة الجهر مسوغاً لما حصل بينهما من إبدال في طائفة من الألفاظ فقد قيل أعطيتُه أعْطيه إعطاءٌ وأنطيتُه أنطيه إنطاءً بمعنى واحد ومنه قول الأعشى :

جيادك في القيظ في نَعمةٍ تُصانُ الجلالَ وتُنطى الشعيرا[٣]

لقد أبدل العين بالنون في ما استشهد به صاحب اللسان من آي القرآن الكريم فذكر أن أنطيت لغة في أعطيت ، وأن قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ (الكوثر-١) ، قرئ بالنون[٤] ، وإن (منطي) في الحديث : ﴿وإنّ مال الله مسؤول ومنطيّ﴾[٥] بمعنى معطي وذكر أن الإنطاء الإعطاء بلغة أهل اليمن[٦] .

---

(١) ينظر : الكتاب : ٤٣٣/٤ ، واللسان : (حرف العين) ، (حرف النون) .

(٢) ينظر : المصدر السابق : ٤٣٤/٤ .

(٣) ينظر : كتاب الإبدال : ٣١٨/٣ .

(٤) ينظر : مختصر في شواذ القراءات : ١٨١ وهي قراءة النبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ .

(٥) ينظر : النهاية في غريب الحدث والأثر : ٧٦/٥ .

(٦) لسان العرب (نطا) : ٣٣٣/١٥ .

لقد أشار الزمخشري إلى القراءة التي ذكرها أبن منظور أي (أنطيناك) بالنون ونسبها إلى رسول الله ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾[١] إنَّ جعل العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء هو ما يسمى بالاستنطاء وهي في لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار[٢] .

لقد تحقق إبدال العين نوناً في قراءة (أنطيناك) التي نسبت إلى النبي الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام بدلاً من قراءة (أعطيناك) الموافقة لرسم المصحف الشريف ، ولعله من المفيد من الناحية التاريخية أن أشير إلى أن إبدال العين في (أعطى) ومشتقاتها سارٍ في اللغة العامية العراقية وهو من الشهرة بمكان إذ قلما يسمع (أعطيني) وكثر ما يسمع (انطيني) . وتكاد تكون لفظة (أعطى) ومشتقاتها الوحيدة التي أبدل عينها نوناً في اللغة العامية العراقية ولعل ذلك يشير إلى تأثير لغة القرآن الكريم وقراءاته في لهجة أهل العراق .

ب- الإبدال الحركي :

نعني بالإبدال الحركي أو كما يسمى (اختلاف الصوائت القصيرة) أن تنطق اللفظة بتعاقب الحركات على أحد أحرفها فنجده مفتوحاً تارة – مثلاً – ومضموماً أو مكسوراً تارة أخرى . وهكذا . والحركات في العربية هي الفتحة والكسرة والضمة .

ولهذه الحركات أهمية كبيرة في اللغة العربية ، فقد ذكر سيبويه أن الفتحة والكسرة والضمة يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به . وأنّ الفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمة من الواو[٣] . وعلى ذلك فالحركات في العربية تيسر انتقال اللسان من حرف صامت إلى حرف صامت بعده كما في (سَمِع) فالفتحة قد يَسّرت الانتقال

---

(١) **ينظر : الكشاف : ٨٠٦/٤ .**

(٢) **ينظر : المزهر : ٢٢٢/١ .**

(٣) **ينظر : الكتاب : ٢٤١/٤-٢٤٢ .**

من صوت السين الصامت إلى صوت الميم الصامت أيضاً . ولولاها لما كان النطق ممكناً في هذه اللفظة وعلى هذا البناء .

لقد قسم اللغويون الأصوات الصائتة إلى أصوات صائتة قصيرة التي هي الحركات وأصوات صائتة طويلة التي هي الألف والواو والياء على أن تكون الواو ساكنة مسبوقة بضمة والياء ساكنة مسبوقة بكسرة وهي ما تسمى بأحرف المد[١] .

ويُعزى سبب تسمية الأصوات الصائتة القصيرة بالحركات إلى أنها تحرك الحرف وتعلقه عن موضعه بأجتذابه إلى الحرف الذي هي بعضه ، فإذا كان الحرف ساكناً وحركته بالفتحة اجتذبته الفتحة نحو الألف ، وإذا حركته بالكسر اجتذبته الكسرة نحو الياء ، وإذا حركته بالضم اجتذبته الضمة نحو الواو ، فلما فعلت تلك الأصوات الناقصة بالحرف من التحريك والقلقلة سميت حركات[٢] .

ولعلّه من المناسب أن أشير إلى أنّ عدد الصوائت في العربية قليل بالنسبة إلى عدد الصوامت ومع ذلك فقد كانت اللفظة العربية ثريّةً بالصوائت فلفظة (كَتَبَ) تتألف من ثلاثة أصوات صامتة وعدد مماثل من الصوائت وعلى ذلك كانت اللغة العربية لغة موسيقية[٣] .

وفضلاً عن ذلك فإنَّ للحركات وظائف صرفية ودلالية فالبَرُّ ما يقابل البحر والبِرُّ اللطف ، والبُرَّ الحنطة[٤] .

وعلى ما تقدم يتضح أهمية الحركات في كيان اللغة العربية ؛ إذ لا يمكن أن تقوم اللغة العربية بدونها ، ولقد استشهد ابن منظور بكثير من الشواهد القرآنية المباركة

---

(١) ينظر : المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : ٣٤-٣٥ ، فقه اللغة العربية (د. كاصد الزيدي) : ٤٣٦ ، التشكيل الصوتي في اللغة العربية : ٣٨ ، والنظرية اللغوية العربية الحديثة : ٣٣ .

(٢) ينظر : سر صناعة الإعراب : ٣٠/١ ، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : ٣٢٥ .

(٣) ينظر : دلالة الألفاظ : ١٩٥ ، وفقه اللغة العربية ، د. كاصد الزيدي : ٤٠٧ .

(٤) ينظر : المثلث : ٣٥٧/١ .

التي تعاقبت على أحرف ألفاظها الحركات ما بين الفتح والكسر ، والفتح والضم أو العكس كما هو موضح في الآتي :

أولاً : الإبدال بين الفتح والكسر :

والمراد به أن تبدل حركة الفتحة بحركة الكسرة أو العكس ويتمثل ذلك في:

- أيَّان ، بفتح الهمزة وكسرها :

جاء في – لسان العرب – : ((آن الشيء أيناً : حان ، ... وأيَّان : معناه أيُّ حين وهو سؤال عن زمان مثل متى ... وفي التنزيل : ﴿ **أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا** ﴾ (الأعراف – ١٨٧) ، بمعنى متى وحكى الزجاج فيه (إيّانَ) بكسر الهمزة وفي التنزيل العزيز : ﴿ **أَيَّانَ يُبْعَثُونَ** ﴾ (النحل–٢١) ، أي لا يعلمون متى البعث . قال الفرّاء: قرأ[١] أبو عبد الرحمن السّلمي إيّان يبعثون بكسر الألف وهي لغة لبعض العرب يقولون متى إوانُ ذلك والكلام أوان ...)) [٢] .

إنَّ ما أشار إليه أبن منظور قد تناوله العلماء من اللغويين والمفسرين فقد ذكر أبو عبيدة أن مجاز أيّان يبعثون هو متى يُحْيَون[٣] .

وقد نقل أبن منظور عن الفرّاء أن كسر ألف (أيان) لغة لبعض العرب ، ولم يسَّمهم بيد أنه ذكر أن الكسر لغة لسُليم[٤] .

وذهب الراغب إلى أنّ (أيّان) هو عبارة عن وقت الشيء وأن معناه يقارب معنى متى ، وذكر أنه قيل في أصله : أي أوان ، أي : أيُّ وقت فحذف الألف ثم جعل الواو ياء فأدغم فصار أيّان[٥] .

---

(١) تنظر : القراءة في المحتسب : ٩/٢ ، ومختصر في شواذ القراءات : ١٢ .

(٢) لسان العرب (أين) : ٤٥/١٣ ، وينظر : معاني القرآن للفرّاء : ٩٩/٢ ، وشواذ القراءات : ١٩٩ .

(٣) ينظر : مجاز القرآن : ٣٥٧/١ .

(٤) ينظر : معاني القرآن : ٩٩/٢ ، إعراب القرآن للنحاس : ٢٠٨/٢ .

(٥) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (أيّان) : ١٠٣ .

ونستدل مما ذهب إليه الراغب أنه لم يجعل معنى أيّان متى إنما هو عنده يقارب معنى متى وفي هذا ما يدل على دقة استخدام الألفاظ العربية للدلالة على المعاني .

وذكر الزمخشري أنّ (أيّان) قرئ بكسر الهمزة وأن معنى (أيان يبعثون) أنه لا علم لهم بوقت بعثهم[١] . وأشار الطبرسي إلى قراءة الكسر ووصفها بأنها ممّا قرئ في الشواذ وذهب إلى أنّ الفتح أفصح وأصح[٢] .

لقد ذكر أبن منظور أن الكسر لهمزة (أيان) هي لغة لبعض العرب وقد نسبها الفرّاء كما تقدم إلى سُليم . وفي قراءة عبد الرحمن السلمي بكسر همزتها تتحقق ظاهرة الإبدال الحركي بين الفتحة والكسرة . والذي أشار إليه الطبرسي بأن فتح همزة (أيان) هو الأفصح والأصح هو الرأي الأوفق لأنّ قراءة الفتح هي قراءة المصحف الشريف والذي عليه قراءة العامّة .

ثانياً : الإبدال بين الضم والكسر :

وفيه يتم الإبدال بين الضمة والكسرة أو العكس ، وقد تمثل هذا الإبدال في مجموعة من ألفاظ الشواهد القرآنية منها :

- (الرِّجز) بكسر الراء وضمها :

ذكر أبن منظور[٣] أنَّ الرِّجز بكسر الراء القَذَرُ مثل الرِّجس والرِّجز والرُّجز بكسر راء الأولى وضمها في الثانية عبادة الأوثان وأشار إلى أنَّ الزجاج[٤] قال : قرئ : (والرِّجز والرُّجز)[٥] بالكسر والضم ومعناهما واحد .

---

(١) ينظر : الكشاف : ٦٠٠/٢ .

(٢) ينظر : مجمع البيان : ٣٥٥/٦ .

(٣) ينظر : لسان العرب (رجز) : ٣٥٢/٥ .

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٢٤٥/٥ .

(٥) قرأ حفص والمفضل عن عاصم (والرُّجز) بضم الراء ، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم (والرِّجز) بكسر الراء ، السبعة في القراءات : ٦٥٩ .

إنَّ المراد من قول الزجاج هو قول الله تعالى :﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ (المدثر–٥) ، وما جاء في قول الزّجاج الذي نقله ابن منظور قد تناوله الخليل فقال: ((الرِّجزُ : العذابُ وكلُّ عذابٍ أُنزل على قوم فهو رجز ... والرّجزُ عبادة الأوثان ويقال اسم الشرك كلّه رجزٌ وقرئ ﴿والرُّجز فاهجر﴾ بكسر الراء وضمها وهما واحد ويراد به الضم)) [١] .

ونسب الفرّاء قراءة الكسر إلى عاصم والأعمش والحسن وقراءة الضم إلى أهل المدينة وذهب إلى أنّ الرجز بمعنى الأوثان عند مجاهد وبمعنى العذاب عند الكلبي ، وهو يرى أن القراءتين لغتان وأن المعنى فيهما واحد[٢] .

ويبدو أن لإبدال الضمة بالفتحة أثراً في دلالة اللفظة كما جاء عند الفرّاء وهذا الأثر نلمسه أيضاً عند الراغب الأصفهاني فقد أشار إلى أنَّ الرجز هو صَنَم وقيل هو كناية عن الذنب فسمّاه بالمآل كتسمية النَّدَى شَحْماً[٣] .

ومعنى (الرِّجز) بكسر الراء وضمها عند الزمخشري هو العذاب[٤] ، وذهب الطبرسي إلى أنَّ الرُجز بالضم قراءة الحسن وهو اسم صَنَم وبالكسر بمعنى العذاب[٥] .

نلحظ من أقوال بعض اللغويين والمفسرين أنهم قد فرّقوا بين ما يدل عليه (الرّجز) بضم الراء وبين ما يدل عليه عندما تكسر راؤه فهو اسم صَنَم في حالة الضم وهو بمعنى العذاب في حالة الكسر وهما بمعنى العذاب عند الزمخشري . والرِّجز بالكسر بمعنى العذاب بلغة طيء[٦] ونسبها السيوطي إلى هذيل[٧] .

---

(١) العين : ٦٦/٦ (رجز) .
(٢) ينظر : معاني القرآن : ٢٠٠/٣–٢٠١ .
(٣) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٣٤٢ (رجز) .
(٤) ينظر : الكشاف : ٦٤٥/٤ .
(٥) ينظر : مجمع البيان : ٣٨٣/١٠ .
(٦) ينظر : اللغات في القرآن : ١٧ .
(٧) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ١٣٤/١ .

ويمكن القول إنَّ المعاني تكاد تكون متفقة لأنَّ عبادة الأوثان والأصنام والشرك ، كلُّ أولئك يؤدي إلى معنىً مشتركٍ عاقبته العذاب ، ولذلك رأى الفرّاء أن القراءتين لغتان وأن المعنى فيهما واحدٌ . ولعله من المفيد الإشارة إلى أن لفظة (رجز) وردت في القرآن الكريم (١٠) عشر مرات ، في تسع منها بكسر الراء وفي الأخيرة بضمها وهي اللفظة مدار البحث . وأحسب هنا أن المعنيين المذكورين آنفاً كليهما مرادانِ فالهجران منصرفٌ إليهما . والله أعلم .

ج- الإبدال اللفظي :

وهو النوع الثالث من الإبدال بعد الإبدال الحرفي والحركي اللذين سبق تناولهما . وإذا كان الإبدال الحرفي والحركي ذا علاقة بجزءٍ من أصوات اللفظة كما آتضح ذلك من دراسة الألفاظ التي حصل لها هذان الإبدالان فإنَّ تغييرات صوتية شاملة تحصل في حالة الإبدال اللفظي ، إذ تبدل لفظة كاملة بلفظة أخرى ، وما اللفظة إلا مجموعة أصوات .

ففي الإبدال الحرفي لم يتغير سوى جزء من أصوات الكلمة ، كما في سراط التي يبدل سينها صاداً فتكون (صراط) وفي الإبدال الحركي كذلك كما في إبدال الفتحة بالكسرة في لفظة (أيان) .

بيد أننا نجد التغيير يشمل أصوات الكلمة جميعها في حالة الإبدال اللفظي مثل إبدال لفظة (صيحة) بـ(زقية) .

وعلى ذلك فإن إطلاق تسمية الإبدال اللفظي لمثل هذه الحالة يوافق الصواب وهي تسمية سديدة صحيحة .

وقد عد بعض الباحثين المعاصرين هذا الإبدال القسم الثالث بعد الإبدال الحرفي والحركي وأطلق عليه تسمية (اختلاف اللفظ) هي تسمية صحيحة بيد أنه مثل له بأمثلة لا تتفق – كما أرى – مع المراد من تسمية اختلاف اللفظ ، ولكي تتضح

الصورة أورد نص ما ذكره الباحث المعاصر : ((اختلاف اللفظ : والذي أراه : أننا نستطيع أن نجعل قسماً ثالثاً للإبدال ، علماً أن القسم الأول هو : الإبدال الحرفي ، والقسم الثاني هو : الإبدال الحركي ، وأما القسم الثالث فهو : الإبدال اللفظي في ضوء اختلاف اللفظ ومثال ذلك :﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ (البقرة–٢١٩) وقرأ حمزة والكسائي (إثم كثير) بالثاء ... وقرأ الباقون : (اثم كبير) بالباء ...)) [١] .

ويتضح من هذا المثال أن الاختلاف الذي حصل ، حصل لحرف الثاء في (كثير) الذي أبدل باءًا في (كبير) . وعلى ذلك فالمثال يمكن أن يعدَّ من أمثلة الإبدال الحرفي بين الباء والثاء . وقد وردت ألفاظ قد تبودل فيها الحرفان فقيل : الدبر والدثر بمعنى المال الكثير [٢] .

وذكر الجوهري أن الأغثر قريب من الأغبر [٣] ، واستشهد ابن منظور من القرآن العزيز بما تمثل به إبدال الباء ثاء بقوله تعالى : ﴿ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ (الأحزاب–٦٨) ، وذكر أنه – أي – الشاهد القرآني يروى بالباء الموحدة [٤] .

والذي يمكن أن يُعّد من الإبدال اللفظي أو اختلاف اللفظ ما يأتي مما استشهد به ابن منظور من آي القرآن العزيز :

- صيحة ، زقية :

ذكر ابن منظور أنَّ الزقو والزقي مصدر زقا الديك والطائر والمكاء والصدّى والهامة ونحوها يزقو ويزقي زقوًا وزُقاء وزُقّوا وزُقياً وزِقياً : صاح ، وكذلك الصبيَّ إذا

---

(١) حجة القراءات لأبي زرعة دراسة تحليلية ، هشام سعيد النعيمي : ٤٦–٤٧ . ونظر القراءة في السبعة في القراءات : ١٨٢ .

(٢) ينظر : المزهر : ٥٣٨/١ .

(٣) ينظر : الصحاح (غثر) : ٧٦٥/٢ .

(٤) ينظر : لسان العرب (كثر) : ١٣٢/٥ .

أشتد بكاؤه ... وكلُّ صائح زاقٍ ... والزقية : الصيحة ، وروي عن أبن مسعود أنه كان يقرأ[١] : ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا زَقْيَةً وَاحِدَةً ﴾ (يس-٢٩) في موضع صيحة[٢] .

إن ما ذكره ابن منظور من أن عبد الله بن مسعود قد قرأ (إلا زقية) قد أشار إليه الفرّاء وذكر أنّ الزَّقية والزقوة لغتان ، يقال زقيت وزقوت[٣] . وذكر النحاس أنّ قراءة (زقية) مخالفة للمصحف فضلاً عن أن اللغة المعروفة : زقا يزقو : إذا صاح فكان يجب على هذا أن يكون إلا زقوة[٤] .

وإذا كان النحاس (رحمه الله) لم يتناغم مع قراءة (زقية) فإنَّ الطبرسي يُعلل القراءة بقوله : ((وأما الزقية فمن زقا الطائر يزقو ويزقي زقاءً وزقواً إذا صاح وهي الزقية والزقوة وكأنه إنما استعمل ها هنا صياح الديك ونحوه تنبيهاً على أنّ البعث بما فيه من عظيم القدرة في استثارة الموتى من القبور سهل على الله تعالى كزقية زقاها طائر)) [٥] .

ومع أن تعليل الطبرسي لمقبول بيد أني أرى أنَّ ما ذهب إليه النحاس هو الأوفق والأنسب لأن جرس الألفاظ يُضفي بلاغة على الأسلوب الذي تنتظم فيه الألفاظ . وقد يكون ذلك ما حمل النحاس على عدم التناغم مع (زقية) فآثر (صيحة) ولا يعني ذلك أن القراءة غير صحيحة بيدَ أنها شاذة . والله تعالى أعلم .

وقد وضح من خلال إبدال لفظة (صيحة) بـ(زقية) أنّ الإبدال قد شمل اللفظة بكاملها ولم يقتصر على إبدال حرف بآخر كما مرّ في الإبدال الحرفي .

٢ - الإدغام :

---

(١) تنظر القراءة في مختصر في شواذ القراءات : ١٢٥ .

(٢) ينظر : لسان العرب (زقا) : ٣٥٧/١٤ .

(٣) ينظر : معاني القرآن : ٣٧٥/٢ .

(٤) ينظر : إعراب القرآن : ٧١٧/٢ .

(٥) مجمع البيان : ٤٢١/٨ .

الإدغام في اللغة هو الإدخال ، يقال : ((ادغمت الفرس اللجام : إذا أدخلته في فيه)) [١] .

ويبدو أن تعريفه في الاصطلاح قد أُخذ من تعريفه اللغوي فقد قيل عنه : إنه وصل حرف ساكن بحرفٍ مثلِهِ من موضعه من غير حركة تفصل بينهما ، ولا وقف فيصيران بتداخلهما كحرف واحد ، فيرفع اللسان بهما رفعةً واحدةً ويوضع بهما موضعاً واحداً[٢] .

وذهب ابن جني إلى أنَّ الإدغام هو تقريب صوت من صوت وأشار إلى أنَّ الصوت الساكن الأول يُخفى في الثاني في حالة الإدغام[٣] . والإدغام من خصائص الكلام العربي[٤] .

إن الإدغام يعتمد على صفات الحروف ومخارجها ، فجعله فريقٌ من العلماء ثلاثة أنواع[٥] ، هي :

١- **إدغام المتماثلين** : ويعني اتفاق الحرفين المدغم والمدغم فيه مخرجاً وصفةً كإدغام الطاء في الطاء ، نحو : قطّعَ . إذ أصلها : قَطْطَعَ .

٢- **إدغام المتجانسين** : ويعني اتفاق الحرفين مخرجاً واختلافهما صفة مثل إدغام التاء في الطاء ، نحو : المطّوعون إذ أصلها : المتطوعون .

٣- **إدغام المتقاربين** : ويعني تقارب الحرفين في المخرج أو في الصفة كإدغام التاء في الذال نحو : المعذّرون : إذ أصلها ، المعتذرون . والإدغام إمّا أن يكون صغيراً أو كبيراً .

---

(١) العين : ٣٩٥/٤ (دغم) ، وينظر : جمهرة اللغة : ٢٨٨/٢ (دغم) ، والتحديد في الإتقان ولتجويد : ١٠٢، ولسان العرب (دغم) : ٢٠٣/١٢ .

(٢) ينظر : الأصول : ٤٠٥/٣ ، والممتع في التصريف : ٦٣١/٢ ، الشاهد القرآني في تأليف ابن دريد : ٤.

(٣) ينظر : الخصائص : ١٤١/٢ .

(٤) ينظر : الصاحبي : ٤٣ .

(٥) ينظر : النشر : ٢٧٨/١ ، والإتحاف : ١١٢/١ ، وحجة القراءات لأبي زرعة دراسة تحليلية : ٢٤ .

فالصغير هو أن يلتقي حرفان الأول ساكن والثاني متحرك فيدغمان سواء أكانا مثلين أم متجانسين أم متقاربين[١] .

والكبير : هو أن يلتقي الحرفان ويكون أولهما متحركاً فيسكن لأجل الإدغام[٢]. ويرجع سبب تسميته بالإدغام الكبير لأنه أكثر من الصغير ، ولما فيه من تصيير المتحرك ساكناً فضلاً عمّا فيه من الصعوبة[٣] .

وقد تمثلت هذه الظاهرة في مجموعة من ألفاظ الشواهد القرآنية التي استشهد بها في – لسان العرب – وطلباً للإيجاز سنذكر قسماً منها في الآتي :

أولاً : إدغام المتماثلين : والمراد بالمتماثلين الحرفان المتفقان صفةً ومخرجاً . استشهد ابن منظور بآي من القرآن الكريم تمثل فيها إدغام المتماثلين وأوردُ فيما يأتي مثالاً مختاراً منها بعد ذكر الفظة التي حصل فيها الإدغام أولاً :

- أئمة :

ذكر ابن منظور أن الإمام الذي يُقتدى به وجمعه أئمة وأصله (أَأْمِمَة) على (أَفْعِلة) مثل إناء وآنية ، فأدغمت الميم فنقلت حركتها إلى ما قبلها فلما حركوها بالكسر جعلوها ياءاً نحو قوله تعالى : ﴿ **أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ** ﴾ (التوبة–١٢) ... [٤]

ذهب الزجاج إلى أنَّ (أأمِمَة) أصل (أيمّة) لأنه جمع إمام مثل مثال وأمثلة ولكنَّ الميمين لما اجتمعتا أدغمت الأولى في الثانية وألقيت حركتها على الهمزة فصار أئِمة فأبدل النحويون من الهمزة ياءاً[٥] .

ومثله قال النحاس[١] ، والعكبري[٢] ، والطبرسي[٣] .

---

(١) ينظر : النشر : ٢٧٥/١ .

(٢) المصدر السابق : ٢٧٤/١–٢٧٥ .

(٣) ينظر : النشر : ٢٧٤/١–٢٧٥ ، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٣٩٩ ، والقراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : ٧٨ .

(٤) ينظر : لسان العرب (امم) : ٢٥/١٢ .

(٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٤٣٤/٢–٤٣٥ .

ويتضح أنّ الميمين قد أدغمتا بعد إسكان الميم المتحركة الأولى أي أنّ الإدغام قد حصل بين حرفين مثلين متفقين في الصفة والمخرج الأول ساكن والثاني متحرك .

وفي ادغامهما أصبح النطق بهما أيسر على اللسان من عدم إدغامهما .

ثانياً : إدغام المتجانسين : أي : الحرفين المتفقين في المخرج المختلفين في الصفة كإدغام التاء في الدال .

وضمن الشواهد القرآنية التي أزدان بها اللسان مجموعة من الألفاظ التي تمثل فيها هذا الضرب من الإدغام ، وأذكر في ما يأتي مثالاً مختاراً طلباً للإيجاز .

- أدارأتم :

وذكر صاحب اللسان أن الدَّرْء بمعنى الدفع ، وَتداراً القومُ تدافعوا في الخصومة ونحوها واختلفوا وأنّ (آدّارأتم) في قوله تعالى : ﴿ فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَا ﴾ (البقرة–٧٢) ، أصله تدارأتم فأدغمت التاء في الدال واجتلِبت الألف ليصح الابتداءُ بها(٤) .

يعزو الأخفش (ت ٢١٥هـ) هذا الإدغام إلى أنّ مخرج التاء من مخرج الدال فلما أدغمت فيها حولت فجعلت دالاً مثلها ، وسكنت فجعلوا ألفاً قبلها حتى يصلوا إلى الكلام بها(٥).

---

(١) ينظر : إعراب القرآن : ٧١٢/١ .

(٢) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ١٢/٢ .

(٣) ينظر : مجمع البيان : ١٠/٥ .

(٤) لسان العرب (درأ) : ٧١/١ .

(٥) ينظر : معاني القرآن : ١٠٦/١ .

إن أصل (ادّارأتم) هو (تدارأتم) كما ذكر ابن منظور أي : على وزن (تفاعلتم) وبغية التخفيف قلبت التاء دالاً كي تكون من جنس الدّال التي هي فاء الكلمة ليمكن الإدغام ثم أسكنت الدال ، إذ شرط الإدغام أن يكون أول الحرفين ساكناً ولما لم يكن الابتداء بالساكن في اللسان العربي يسيراً اجتلبت همزة الوصل التي سماها الأخفش ألفاً ، فصار وزن الكلمة (افّاعلتم) بتشديد الفاء .

ويكون وزن أصلها الأول (تفاعلتم) والثاني (اتفاعلتم) والثالث الذي آلت إليه الكلمة بعد الإبدال والإدغام (إفّاعلتم) [١] .

ثالثاً : إدغام المتقاربين :

على نحو ما في إدغام التاء في الذال والزاي والسين والصاد والظاء ، إذ إنَّ مخرج التاء قريب من مخرج هذه الحروف[٢] .

وقد وردت شواهد قرآنية تمثل فيها هذا الإدغام وفي ما يأتي مثال على ذلك طلباً للإيجاز .

تَزّاور :

ذكر ابن منظور أن الإزورار عن شيء : العدول عنه ، وقد أزوَرَّ عنه ازوراراً وازورارَّ عنه ازويراراً ، وتزاور عنه تزاوُراً ، كلُّه بمعنى : عَدَلَ عنه وآنحرفَ ، وأن قوله

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ١٥٣/١ ، إعراب القرآن للنحاس : ١٨٨/١ ، ومفردات ألفاظ القرآن : ٣١٤ (درأ) ، مجمع البيان : ١٣٧/١ ، والتبيان في إعراب القرآن : ٤٤/١ .

(٢) ينظر : الكتاب : ٤٣٣/٤ ، المقتضب : ١٩٣/١ ، سر صناعة الإعراب : ٥٣/١ .

تعالى : ﴿ طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ ﴾ (الكهف-١٧) ، قرئ (تزّاور) [١] بتشديد الزاي[٢] .

أشار الفرّاء إلى أنّ (تزّاور) بتشديد الزاي يُراد بها تتزاور فأدغمت التاء عند الزاي[٣] .

وتبعه في ذلك الزجاج[٤] والنحاس[٥] ، وذكر الزمخشري أن تزاور بمعنى تمايل وأصله (تتزاور) فخُفف بإدغام التاء في الزاي أو حذفها وقد قرئ بهما[٦] ومثله قال الطبرسي[٧] .

وقد حصل الإدغام في (تزّاور) بتشديد الزاي بعد إبدال التاء الثانية في (تتزاور) زاياً فاسكنت ثم أدغمت بالزاي فكانت (تزّاور) وقلبت التاءُ زاياً لتقارب مخرجيهما[٨] .

٣- إشباع الحركات واجتزاء أحرف المدّ بها :

أ- إشباع الحركات :

يقصد باشباع الحركات مطلُها أو مدّها أو تطويلُها وهذا المطل أو المد للحركة يؤدي إلى حرف مدّ من جنسها ، فمثلاً عند إشباع الضمة تنشأ الواو المدّية[١].

---

(١) ينظر : السبعة في القراءات : ٣٨٨ ، والنشر في القراءات العشر : ٣١٠/٢ . وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمر ، وقرأ الباقون بتخفيف الزاي .

(٢) ينظر : لسان العرب (زور) : ٣٣٥/٤ .

(٣) ينظر : معاني القرآن : ١٣٦/٢ .

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٢٧٣/٣ .

(٥) ينظر : إعراب القرآن : ٢٦٩/٢ .

(٦) ينظر : الكشاف : ٧٠٧/٢ .

(٧) ينظر : مجمع البيان : ٤٥٤/٦ .

(٨) ينظر : الكتاب : ٤٣٣/٤ ، والمقتضب : ١٩٣/١ ، وسر صناعة الإعراب : ٥٣/١ .

لقد عزا ابن جني إشباع الحركات إلى الضرورة مرة[٢] وإلى كونها لغة مرة أخرى[٣] . وذهب الدكتور حسام النعيمي إلى أن الإشباع قد ورد عن العرب في عدد من الشواهد الشعرية وفي النثر أيضاً إلا أنه قليل ، ولكنه على قلته يمثل مظهراً من مظاهر اللهجات مما خالفت فيه اللغة الأدبية المثالية[٤] .

لقد ضمت الشواهد القرآنية في لسان العرب ألفاظاً أشبعت الحركات فيها وأدى ذلك الإشباع أو المد إلى أحرف مدّ من جنسها كما يتضح ذلك في المثال الآتي:

- *يَنقَضّ* :

ذكر ابن منظور أن تقيّضَ الجدارُ والكثيبُ وأنقاضَّ : تهدّم وأنهال وأنقاضَ الجدار انقياضاً ، أي : تصدّع من غير أن يسقط فإن سقط قيل تقيّض تقيّضاً ، وأنّ (ينقضّ) في قوله تعالى : ﴿ **جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ** ﴾ (الكهف–٧٧) قرئ (ينقاض) وأنّ ينقضّ يسقط بسرعة من انقضاض الطير ، وهو من المضاعف وينقاض أي : أنشق طولاً[٥] .

وقد جاء في معاني القرآن للفرّاء : ((يقال : كيف يريد الجدارُ أن ينقضّ ؟ وذلك من كلام العرب أن يقولوا : الجدار يريد أن يسقط . ومثله قول الله : ﴿ **وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ** ﴾ (الأعراف–١٥٤) ، والغضب لا يسكت إنّما يسكت صاحبه وإنما معناه : سكت ... وقال الشاعر :

شكا إليّ جملي طولَ السُّرى صبراً جميلاً فكلانا مبتلى

---

(١) **حجة القراءات لأبي زرعة دراسة تحليلية : ٥١ .**

(٢) **ينظر : سر صناعة الإعراب : ٢٧/١ .**

(٣) **ينظر : الخصائص : ١٢٢/٣ .**

(٤) **ينظر : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : ٢٣٤ .**

(٥) **لسان العرب (قيض) : ٢٢٥/٧ . والقراءة لابن مسعود . مختصر في شواذ القراءات : ٨١ .**

والجَمَلُ لم يشكِ ، إنما تُكلّم به على أنه لو نطق لقال ذلك . وقد ذكرت (ينقاض) للجدار والانقياض : الشقُّ في طول الجدار)) [١] .

وذكر أبو عبيدة أنه ليس للحائط إرادةٌ ولا للموات ؛ ولكنه إذا كان في هذه الحال من ربّه فهو إرادته ، وهذا قول العرب في غيره قال الحارثي :

يريدُ الرمحُ صدرَ بني بَراءٍ ويرغبُ عن دماءِ بني عقيل

وأن مجاز (ينقضّ) مجاز يقع ، يقال انقضت الدار إذا انهدمت وسقطت ومجاز (ينقاض) أن ينقلع من أصله ويتصدع لمنزلة قولهم : قد انقاضت السنُّ ، أي: انصدعت وتقلعت من أصلها يقال : فِراقُ كقيض السّن ، أي : لا يجتمع أهله[٢] .

ونلحظ من كلام أبي عبيدة أن إشباع فتحة القاف في (ينقَضّ) وتحولها إلى ألف قد صحب ذلك تغير في المعنى .

وتبع أبا عبيدة فيما ذهب إليه في التفرقة بين دلالة ينقَضّ وينقاض الطبريُّ[٣].

ب- أجتزاء أحرف المد بالحركات :

عند إشباع الحركات تنشأ عن ذلك إشباع أحرف من جنسها كالذي تقدم، وفي أجتزاء أحرف المد يتحول كل حرف إلى حركة من جنسه ، فدرجة الطول في أصوات الألف تتحول إلى درجة القصر عند أجتزائها فيتحول صوت الألف إلى صوت الفتحة والحال كذلك فيما يخصُّ اجتزاء حرفي الواو والياء المديتين ؛ إذ يتحول الواو إلى ضمة ، والياء إلى كسرة . ويبدو إن هذه الظاهرة الصوتية خاصة ببعض القبائل ؛ إذ ذكر

---

(١) **معاني القرآن : ١٥٦/٢ .**

(٢) **ينظر : مجاز القرآن : ٤١٠/١-٤١١ .**

(٣) **ينظر : جامع البيان : ٢٨٨/١ .**

سيبويه أن ناساً كثيرين من قيس وأسد يحذفون الياء والواو اللتين هما علامة المضمر[١] .

وكما ذهبنا إلى أنَّ إشباع الحركات أو مطلها عادة نطقية لدى الناطقين باللغة فإن هذه الظاهرة – أعني اجتزاء أحرف المد بالحركات – هي أيضاً عادة نطقية فليس كل الناطقين يجتزئون أحرف المد . إذ من الناطقين من يُعطي كل حرف أو حركة حقه الصوتي الخاص به .

وتمثلت هذه الظاهرة في الشواهد القرآنية التي ضمها – لسان العرب – وفيما يأتي مثال على ذلك طلباً للإيجاز :

- *حاذرون :*

ذكر ابن منظور أنَّ الحِذرَ والحَذَر الخيفة والحاذر هو المتأهب المعد كأنه يحذر أن يفاجأ وأن قوله تعالى :﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾ (الشعراء–٥٦) ، قد قرئ (حذرون) [٢] أي بأجتزاء حرف الألف[٣] .

ذهب الفرّاء إلى أن (حاذرون) في القول العزيز بمعنى مُؤدُونَ في السلاح ، أي: ذوو أداة من السلام . وكأن الحاذر الذي يحذرك الآن ، وكأنّ الحَذِرَ : المخلوق حذراً لا تلقاه إلا حذراً[٤] .

وأورد أبو عبيدة القول العزيز على وفق قراءة (حذرون) وذكر أن حَذِر وحِذُر وحاذر وقوم حذرون وحاذرون ، بمعنى ذو حيلة[٥] . وأشار الزجاج إلى أن الحاذر هو المستعد ، والحذر المتيقظ[٦] .

---

(١) ينظر : الكتاب : ٢١١/٤ .

(٢) ينظر : السبعة في القراءات : ٤٧١ ، والنشر : ٢٣٥/٢ . وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو . وقرأ الباقون بالألف (حاذرون) .

(٣) ينظر : لسان العرب (حذر) : ١٧٦/٤ .

(٤) ينظر : معاني القرآن : ٢٨٠/٢ .

(٥) ينظر : مجاز القرآن : ٨٦/٢ .

(٦) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٩٢/٤ .

وذكر النحاس أن أبا عبيدة قد ذهب إلى أن معنى (حَذرين) و(حاذرين) واحد، وأنّ أكثر النحويين يفرقون بينهما ويذهبون إلى معنى (حذرٌ) في خلقته الحَذرُ أي منتبه متيقظ ، ومعنى حاذر : مستعد[١] . وتبعه في ذلك الزمخشري[٢] .

وأشار الطبرسي إلى أنّ ابن عامر وأهل الكوفة قَرؤوا (حاذرون) بالألف والباقين بغير ألف وفرّق بينهما فذكر أنّ الحاذر الفاعل للحذر ، والحَذِر المطبوع على الحَذر[٣] .

إنَّ اجتزاء حرف الألف بالفتحة في (حاذرون) قد أدى كما تقدم إلى اختلافٍ في المعنى فضلاً عن اختلاف الصيغة الصرفية فيهما .

٤- الهمـز :

تعددت المواصفات التي وضعت للهمزة ففي حين وصفها سيبويه بأنها مجهورة ومخرجها أقصى الحلق[٤] وافقه ابن جني في وصفها بالجهر غير أنَّه عدَّ مخرجها من أسفل الحلق ، فضلاً عن أنها بعيدة عن الحروف وتحصل طرفاً مما يستدعي تكلفاً في النطق[٥] .

أما موفق الدين ابن يعيش فيرى أن الهمزة حرف شديد مستثقل مخرجه أقصى الحلق[٦] .

ولست بصدد مناقشة تعريفات العلماء الثلاثة ، لعدم تعلق ذلك تعلقاً مباشراً بما سأتناوله من تحقيق الهمزة أو تخفيفها بين لهجات القبائل ، لكنْ لابدّ من الإشارة إلى أن البحث التجريبي قد وصل إلى نتيجة تخص الهمزة وهي أنها صوت صامت

---

(١) ينظر : إعراب القرآن : ٤٨٩/٢ .
(٢) ينظر : الكشاف : ٣١٥/٣ .
(٣) ينظر : مجمع البيان : ١٩٠/٧ .
(٤) ينظر : الكتاب : ٤٣٣/٤-٤٣٤ .
(٥) ينظر : سر صناعة الإعراب : ٦٩/١-٧١ .
(٦) شرح المفصل : ١٠٧/٩ .

حنجري انفجاري يحدث بانسداد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين أي عند إنطباق الوترين انطباقاً تاماً مما يمنع الهواء أن يخرج من الحنجرة إلى أن ينفرج الوتران ، عندئذٍ يخرج الهواء من بينهما فجأة ، ليحدث صوتاً شُبّه بالانفجاري[١] .

ومن هنا فإن الهمزة تعدُّ من الحروف الصعبة في النطق لاجتماع الجهر والشدة فيها ، مما ألجأ بعض القبائل إلى تخفيف النطق بها أو تحويلها إلى حرف آخر ، وهذا ما أشار إليه سيبويه فقال : ((إعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة ، وتكون بزنتها محققة غير أنك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفي لأنك تقربها من هذه الألف وذلك قولك سال في لغة أهل الحجاز إذا لم تحقق كما يحقق بنو تميم)) [٢] .

فأول ما يلفت النظر في لهجة الحجاز من الناحية الصوتية أنها لا تعرف تحقيق الهمزة[٣] فالقبائل الحضرية في شمال الجزيرة وغربيها من أهل الحجاز وهذيل ومكة والمدينة جميعهم لا ينبرون إلا إذا اضطروا[٤] .

وكان تخفيف الهمزة من الخصائص البدوية التي تميزت بها قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها وهم تميم ومن جاورهم[٥] .

لكن لا يمكن خصُّ أهل الحجاز بالتخفيف وتميم بالتحقيق وعدَّ ذلك قاعدة لا يمكن العدول عنها ، وذلك لتخفيف الهمزة وتحقيقها لدى بعض قبائل كل من الطرفين[١] .

---

(١) ينظر : علم اللغة ، د. محمود السعران : ١٥٧ .

(٢) الكتاب : ٣/٥٤١-٥٤٢ .

(٣) علم اللغة العربية ، محمود فهمي حجازي : ٢٢٥ ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، مصر ، وينظر : همع الهوامع : ٢/٢٣٣ .

(٤) كلام لأبي زيد الأنصاري ، ينظر : لسان العرب : ١/٢٢ .

(٥) ينظر : المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية ، محمد سالم محيسن : ٨٤ ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية .

فها هو سيبويه يقرر ذلك قائلاً : ((وقد بلغنا أن قوماً من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبئٌ وبريئةٌ وذلك قليل رديء))[٢] . ويتضح أيضاً خرق هذا الحكم من خلال بعض القراءات القرآنية ، فابن كثير المكي قرأ قوله تعالى : ﴿ **وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا** ﴾ (سورة النمل-٤٤) سأقيها – بالهمز – وكان وحيداً في هذه القراءة[٣] . كما أنه همز كلمة (ضيزى) [٤] من قوله تعالى : ﴿ **تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ** ﴾ (النجم – ٢٢) ، مع أن مكة من الحجاز وهم لا يهمزون .

وقد عجب صاحب كتاب ((في اللهجات العربية)) من عدم تحقيق الهمز عند أهل الحجاز فقال سائلاً : ((كيف تأتّى أن البيئة الحجازية التي عرفت بالتأني في الأداء ، ولم يشتهر عنها إدغام أو إمالة أن تعمل على التخلص من الهمزة في نطقها، إذ التخلص من الهمزة نوع من الميل إلى السهولة والبعد عن التزام التحقيق في النطق بالأصوات)) [٥] .

والجواب عن ذلك ما ذكرته آنفاً أنه وجد من أهل الحجاز من ينبر أحياناً ، بل إن هناك من يؤثر إثبات الهمزة على تسهيلها هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن التأني في الأداء الذي اشتهر به أهل الحجاز لا يناقض تسهيل الهمز ، خاصة بعد

---

(١) ينظر : من أصول اللهجات العربية في السودان ، عبد المجيد عابدين : ص٤٣ ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٨٩ .

(٢) الكتاب : ٥٥٥/٣ .

(٣) ينظر : الحجة للقراء السبعة ، الحسن بن عبد الغفار الفارسي : ٦٨/٦ . تحقيق بدر الدين قهوجي وبشر حويجاتي ، دار المأمون للتراث ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧ .

(٤) المصدر السابق : ٢٣٤/٦ .

(٥) إبراهيم أنيس : ص٦٦-٦٧ .

معرفة أنها صوت حنجري انفجاري ، لا هو بالمجهور ، ولا بالمهموس ثقيل صعب النطق[١] .

أما عن أوجه الهمز فقد قال سيبويه : ((إعلم أنّ الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء التحقيق والتخفيف والبدل)) [٢] .

وقد تمثلت أوجه الهمز هذه في مجموعة من شواهد لسان العرب القرآنية كما هو موضح في الآتي :

أولاً : التحقيق :

ويراد به إعطاء الهمزة حقها من الإشباع[٣] ، وله وجهان : همز أحرف المد، وهمز أحرف اللين .

أ- تحقيق الهمز في أحرف المد :

المراد بتحقيق الهمز هنا هو همز الألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها أي المدّيتان ، وهذا يعني : أنّ هذه الأحرف بالأصل ليست مهموزة فتبدل همزة وبذلك يتحقق الهمز فيها .

وسنقتصر هنا على مثالٍ واحد إيثاراً للإيجاز :

- إبدال الياء همزة :

واستشهد ابن منظور على إبدال الياء المدية همزة فذكر أنّ أرجأ الأمر : أخّرَه ، وترك الهمز لغةٌ وأن قوله تعالى : ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ﴾

---

(١) ينظر : علم اللغة ، د. محمود السعران : ١٥٧ .

(٢) الكتاب : ٥٤١/٣ ، وينظر : لسان العرب (حرف الهمزة) : ١٩/١ .

(٣) ينظر : لسان العرب (حرف الهمزة) .

(الأحزاب-٥١) ، قرئ (ترجئ) [١] بالهمز[٢] . وذهب الفرّاء إلى أنّ (ترجي) بهمز وغير همز ، وكلاً صواب[٣] .

وذكر الزجاج أنه قرئ بالهمز وغير الهمز وأن الهمز أجود وأكثر وأن (ترجي) مخففاً من (ترجئ) لمكان تؤوي[٤] . وما ذكره الزجاج قد أشار إليه ابن منظور في معجمه لسان العرب . وأشار النحاس إلى أن بعض النحويين قال في (ترجي) بغير همز أنها لغة وإن كانت ليست بالفصيحة[٥] .

وذكر الطبرسي أنَّ القراءة بكل واحد من الأمرين – أي : بالهمز وغير الهمز – حسنة[٦] .

وعلى ما جاء في ما ذكره الزجاج والنحاس تكون القراءة بالهمز أجود وأفصح بَيْد أنَّ الذي أراه هو أن القراءتين بالهمز وغيره جيدتان فصيحتان ومع كونهما جيدتين فصيحتين فإن القراءة بغير الهمز هي الراجحة عندنا لما في الياء المدّية من نغمة صوتية مؤثرة لا توجد في الهمزة أولاً ولأنها توافق قراءة المصحف الشريف ثانياً .

لقد تحقق الهمز بإبدال الياء المدية في (ترجي) همزة في قراءة (ترجيء) .

ب- تحقيق الهمز في أحرف اللين :

يراد بحرفي اللين الواو والياء غير المديتين ، وتحقيق الهمز فيهما يكون بإبدال كلٍّ منهما همزة . وقد وردت شواهد قرآنية في لسان العرب تمثل فيها هذا النوع من التحقيق ، وأذكر فيما يأتي مثالاً مختاراً طلباً للاختصار .

- إبدال الياء همزة :

---

(١) ينظر : السبعة في القراءات : ٥٢٣ ، والنشر : ٤٠٦/١ .

(٢) ينظر : لسان العرب (رجأ) : ٨٣/١-٨٤ .

(٣) ينظر : معاني القرآن : ٣٤٦/٢ .

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٤٣٣/٤ .

(٥) إعراب القرآن : ٦٤٣/٢ .

(٦) ينظر : مجمع البيان : ٣٦٥/٨ .

استشهد ابن منظور على تحقيق الهمز بإبدال الياء اللينة همزة فذكر أن قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ ﴾ (هود – ٢٧) ، قرأه أبو عمرو وحده : (بادئ الرأي) [١] بالهمز وسائر القراء قرؤوا باديّ بغير همز [٢].

ونقل عن الفرّاء قوله : ((لا تهمزوا باديّ الرأي لأنّ المعنى فيها يظهر لنا ويبدو ؛ ولو أراد ابتداء الرأي فهمز كان صواباً)) [٣] .

وذكر أبو عبيدة أن (بادي) إن كان مهموزاً فهو من بدأت ومعناه أول الرأي، ومن لم يهمزه جعله ظاهر الرأي من بدا يبدو [٤] .

وقال الزجاج : ((أبو عمرو يهمز بادي الرأي ، أي اتبعوا اتباعاً في ظاهر ما يُرى هذا فيمن لم يهمز ، ويكون التفسير على نوعين في هذا ، أحدهما أن يكون : اتبعوك في الظاهر ، وباطنهم على خلاف ذلك ويجوز أن يكون اتبعوك في ظاهر الرأي ولم يتدبروا ما قلت ولم يفكروا فيه وقراءة أبي عمرو على هذا التفسير الثاني أي إتبعوك ابتداء الرأي)) [٥] .

وذهب النحاس إلى أن (بادي الرأي) من بدا يبدو إذا ظهر كما في قول الراجز : **فاليومَ حينَ بدوتُ للنظَّارِ**

وذكر أنه يجوز أن يكون من بدأ ، وخففت الهمزة . وأشار إلى أن أبا عمرو حققها فقرأها (بادئ الرأي) [٦] . ويرى الراغب أن (بادئ الرأي) بهمز الياء في (بادي)

---

(١) ينظر : السبعة في القراءات : ٣٣٢ .
(٢) ينظر : لسان العرب (بدأ) : ٢٧/١ .
(٣) ينظر : معاني القرآن : ١١/٢ .
(٤) ينظر : مجاز القرآن : ٢٨٧/١ .
(٥) معاني القرآن وإعرابه : ٤٧/٣ .
(٦) ينظر : إعراب القرآن : ٨٧/٢ .

بمعنى ما يبدأ من الرأي وهو الرأي الفطير و(بادي) بغير همزة الذي يظهر من الرأي ولم يُروَّ فيه[١] .

لوحظ من خلال ما تقدم أن اللفظة وردت في المصحف الشريف (بادي) بغير همز وفي قراءة أبي عمرو التي أشار إليها ابن منظور بهمز الياء فيها قد تحقق الهمز ؛ إذ ابدلت الياء الصامتة ، أي : اللينة همزةً .

وخلاصة القول مما قاله العلماء في معنى الآية المباركة أنَّ ما ذكره الراغب هو الرأي الراجح مع أنَّ دلالة (بادئ) و(بادي) بالهمز وغيره عنده تكاد تكون واحدة، لأنَّ ما رآه يتفق مع دلالة الآية الكريمة في السياق العام التي وردت فيه . قال تعالى : ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ (هود – ٢٧) .

والمعنى أنه لم يتبعك إلا الاراذل فيما ظهر لهم من الرأي ؛ إذ لم يتعقبوه بنظرٍ فيه أو اتبعوك في أول الأمر من غير أن يتبعوا الرأي بفكر ورويّة . والله تعالى أعلم بمراده .

ثانياً : التخفيف :

ويراد به عدم اعطاء الهمزة حقها من الإعراب والإشباع[٢] . وله ثلاثة أوجه هي : تصيير الهمزة بينَ بينَ ، وإبدالها ، وحذفها[٣] . وسأكتفي بوجه واحد من الأوجه السابقة بغية الإيجاز والاختصار وهو : تخفيف الهمزة بالحذف وله وجهان :

---

(١) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ١١٣ (بدأ) .

(٢) ينظر : لسان العرب (حرف الهمزة) .

(٣) ينظر : الكتاب : ٥٤١/٣ ، ودقائق التصريف : ٥٢٩ .

الأوّل : حذفها دون حركتها ونقل حركتها إلى ما قبلها :

وقد تمثل هذا الوجه من التخفيف فيما استشهد به ابن منظور من آي القرآن الكريم فذكر أن امرأةً من عقيل وزوجها يقرآن : (كفؤاً) في قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (الإخلاص : ٣-٤) ، (كُفىً) بإلقاء الهمزة وتحويل حركتها على الفاء[١] .

إنَّ الهمزة في (كفؤاً) متحركة ومسبوقة بحرفٍ ساكن وعند تخفيفها تحذف هذه الهمزة وتلقى حركتها وهي الفتح على الحرف الساكن قبلها وهو الفاء[٢] .

وبذلك أصبحت (كُفىً) . ويبدو أنّ قراءة هذه المرأة وزوجها كان سببه ميلهم إلى التخفيف فألقوا الهمزة ونقلوا حركتها إلى الفاء .

- والثاني : حذفها هي وحركتها :

وقد تمثل هذا التخفيف فيما أورده ابن منظور من أنَّ الكسائي كان يقرأ (أرأيت) في قوله تعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾ (الماعون-١) ، (أَرَيْتَ) ، بترك الهمزة[٣] .

ذكر الأخفش أنها تقرأ بالهمز وغير الهمز وأنهما لغتان وعزا حذف الهمزة لكثرة الاستعمال[٤] . وذهب الزّجاج إلى أنَّ الاختيار هو (أرأيت) باثبات الهمز ؛ لأن الهمزة إنما طرحت للمستقبل في : ترى ويرى وأرى والأصل ترأى ويرأى . فأما رأيتُ فليس

---

(١) وهي قراءة نافع : ينظر : السبعة في القراءات : ٧٠٢ ، البحر المحيط : ٥٢٨/٨ ، ومعجم القراءات القرآنية : ٢٧٢/٨ .

(٢) ينظر : لسان العرب (رأي) .

(٣) ينظر : اللسان (رأي) : ٢٩٤/١٤ ، وتنظر القراءة في النشر في القراءات العشر : ٣٩٨/١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه : ٥٤٦/٢ .

يصح عن العرب فيها (رَيْتُ) ولكن ألف الاستفهام لما كانت في أول الكلام سهلت إلقاء الهمزة والاختيار إثباتها[١] . وإلى هذا ذهب الزمخشري أيضاً[٢] .

لقد تحقق تخفيف الهمزة في قراءة الكسائي التي أشار إليها ابن منظور بحذفها هي وحركتها . بيد أن الذي نرجحه هو ما ذهب إليه الزجاج والزمخشري بإثباتها .

وبعد الذي تقدم من أحوال الهمز تحقيقاً وتخفيفاً بأوجهه المختلفة أقول : إن مسألة الهمز من المسائل الصوتية ذات الأهمية البالغة إذ نالت اهتمام الباحثين وعنايتهم قديماً وحديثاً رسماً وصوتاً فقد عدَّ العرب الهمزة حرفاً ثقيلاً فغيرته وتصرفت فيه ما لم تتصرف في غيره من الحروف[٣] .

وفي الختام يمكن القول إنَّ القراءات القرآنية كنز تستخرج منه مكنونات اللهجات العربية ، ومادة خصبة شحذت الهمم والعقول لتحليل الموضوعات التي تدور حول اللهجات العربية ومناقشتها ، حتى كانت اللهجة الواحدة من اللهجات تسهم إسهاماً بالغاً في فهم كثير من الآيات وتفسيرها ، وقد تكون موطئ قدم ، ينطلق منها اللغوي ، والنحوي وبَلْهَ الفقيه للاستدلال بها على صحة رأيه ، الأمر الذي أدى إلى إغناء العربية وأهلها بهذا التراث الضخم ، الذي تشعبت فيه الآراء واختلفت فيه الاجتهادات تناولاً وتقريراً . وأدى استثمارها في معجم لسان العرب إلى إغناء مادته اللغوية وإضافة متّنه وبنائه من خلال إثرائه بشتى العلوم والمعارف اللغوية واللهجية ، وما نتجت عنها من مناقشات في تحقيق معاني الألفاظ العربية وتبيان معانيها والكشف عن مقاصدها ودلالاتها .

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) ينظر : الكشاف : ٨٠٤/٤ .

(٣) ينظر : الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، مكي القيسي (ت-٣٤٧هـ) تحقيق : د. أحمد حسن فرحات ، دمشق ، ١٣٩٣هـ*١٩٧٣م : ص٧٤ ، والقراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث ، د. مي الجبوري ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٠م : ص٢٢ .

الخاتمـــــة

الخاتمة

بعد هذه الرحلة العلمية بين القرآن الكريم والمعجم العربي ، خلصت هذه الأطروحة إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها بالآتي :-

- لقد منح القرآن الكريم اللغة العربية بما وهبها إياه من المعاني الفياضة والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة والأساليب العالية الرفيعة ، ثم بما أحدثه من أغراض الكلام المتنوعة وبتخليصه لها من كل الشوائب ولفظه كل ما لا يصلح للبقاء ، قوة ورقياً ما كانت لتصل إليه بغير القرآن الكريم وما تجدد فيه على اللغة العربية من صورة بلاغية تفيض بالحيوية وأساليب في استعمال الكلام ، وتلوين الخطاب لم تكن مألوفة ، فأصبحت لغته محط الأنظار والإقتباس منها والتأثر بها مناط السمّو والرفعة والفخار . ولم يكن غريباً أن يتأثر المعجميون بالقرآن الكريم ويستثمروا ألفاظه وأساليبه وتراكيبه في معجماتهم ومنها (لسان العرب) إذ برز دور القرآن الكريم بشكل واضح وبيّن في إغناء الثروة اللغوية للمعجم وتشذيب موضوعاته وتحديد دلالاته توسيعاً أو تضييقاً .
- كشف البحث عن أهمية القراءات كونها كنزاً تستخرج منه مكنونات اللهجات العربية ، لتسهمَ من ثمَّ في فهم كثير من الآيات ، وتفسير مشكلها ، لتكون بذلك موطئ قدم ينطلق منها اللغوي والنحوي للاستدلال على صحة رأيه ، وقد استثمر معجم لسان العرب هذه القراءات القرآنية في تحقيق اللفظ اللغوي وضبطه وبيان معانيه ، فكان القرآن الكريم بذلك مصدراً لتوثيق النصوص ، وتحقيق الألفاظ المختلف فيها ، وتأكيد صحتها ، وتقرير صواب معانيها واستعمالاتها في المعجم العربي ، الأمر الذي أدى إلى إغناء العربية بهذه الألفاظ الصحيحة الموثوقة وتوسيع هذا التراث الضخم .
- اعتمد ابن منظور في شرحه لدلالات الألفاظ الواردة في النص القرآني الذي استشهد به على طرائق عديدة منها التفسير بالترجمة بنوعيه : التفسير بكلمة

واحدة ، والتفسير بأكثر من كلمة واحدة ، وكان في بعض الأحيان يمزج ما بين هذين النوعين ، والتفسير بتبيان الفروق الدلالية ، والتفسير بالمغايرة ، وتفسير القرآن بالقرآن ، والقرآن الكريم نفسه مصدراً للتفسير والتأويل ، والتفسير بأسباب النزول ، والتفسير بالحديث النبوي الشريف أو الأثر ، والتفسير باعتماد المؤلفات السابقة وآراء العلماء ، والتفسير بالأحكام الفقهية ، والتفسير بالمجاز ، وتفسير القرآن الكريم بكلام العرب ، والتفسير بأكثر من معنى ، وتفسير اللفظ القرآني بالشعر الجاهلي .

- أكسب القرآن الكريم اللغة العربية ثروة هائلة من المعاني الجديدة التي جاء بها ولم يكن للعرب معرفة بها في حياتهم الجاهلية . وقد عبرّ عن هذه المعاني بالألفاظ المتداولة بينهم ، لذا فقد حملها من المعاني ما لم تكن تحتمله من قبل ، والقرآن الكريم استثمر هذا باستحداث مصطلحات جديدة المعاني لم تعرفها العرب من قبل .
- عول ابن منظور في معجمه على القرآن الكريم ليكون مصدراً سماعياً أثبت فيه الكثير من الألفاظ واستُدلّ به على أصل كثير من الألفاظ .
- كان القرآن الكريم مصدراً من مصادر معجم لسان العرب من حيث القياس على الألفاظ الواردة في متنّه ، ومصدراً لتعليل الألفاظ اللغوية الواردة فيه والكشف عن دلالاتها وسبر أغوارها وبيان سبب تسميتها .
- استثمر ابن منظور النص القرآني المتضمّن للألفاظ اللغوية التي تتكشف معانيها من خلال السياقات الواردة فيها ركيزة في بناء معجمه لسان العرب . لما له من دور في تفسير معاني الألفاظ المحتملة للمعاني المتعددة التي لا تظهر معانيها إلا من خلال السياق المتضمن لهذه الألفاظ وهذه وظيفة من أهم وظائف المعجم العربي بإظهار أكبر قدر متاح من المعاني التي تخصّ المفردات . وبهذا أظهر جلياً أهمية التراكيب اللغوية القرآنية في تطور دلالة

الألفاظ وتحميلها من المعاني ما لم تستطع مفردات التركيب منفردة إفادتها أو الدلالة عليها . الاّ من خلال انتظامها في النص القرآني المعجز .

- إن التطور اللغوي الذي أحدثه القرآن الكريم في اللغة العربية بما أضافه من ظواهر لغوية ، والانتقال من المدلولات الحقيقية اللغوية إلى المدلولات المجازية أثر في المعجم العربي استثمره ابن منظور في معجمه من خلال الإشارة إلى هذه الظواهر كالترادف ، والمشترك اللفظي والأضداد والحقيقة والمجاز من خلال إيراد الآيات القرآنية المتضمّنة لهذه الظواهر مما يجعله مصدراً من مصادر البحث اللغوي في هذا الصدد .
- استعمل الشاهد القرآني في – لسان العرب – للاستدلال على صحة قاعدة نحوية، أو تقعيد حكم نحوي وإثباته ، وكان القرآن الكريم أيضاً مصدراً لإيراد المسائل النحوية التي أُثير عليها خلاف بين النحاة محاولاً حسم الخلاف في هذه المسائل .
- كما كان للقرآن الكريم أثرٌ في بناء مادة المعجم العربي من حيث أصبح مصدراً لتناول المباحث النحوية والصرفية وما تضمّنَه هذا التناول من نقاش وحوار وجدل ونقل لآراء العلماء السابقين . وهو بهذا الأمر قد أصبح مصدراً من مصادر الدرس النحوي والصرفي والصوتي يمكن للباحثين الرجوع إليه وتتبع المسائل اللغوية في متنّه أو مراجعة المسائل المختلف فيها بين العلماء وتتبع آرائهم ومحاولة الوقوف على حقيقة هذا المسائل .

من كل ما تقدم نخلص إلى أن استثمار المعجم العربي بشكل عام ومعجم (لسان العرب) مصدر الدراسة بشكل خاص ، للقرآن الكريم كان له أثرٌ بالغ في جعله مصدراً موسوعيّاً أحتوى جميع العلوم وتضمّن جميع الفنون العربية اللغوية والنحوية والصرفية والبلاغية وهو بذلك أغنى مادته ، وشذّب موضوعاته ، من الجدة والتنوع

والقيمة العليا الكثير الكثير . ومن ههنا فإن هذه الدراسة توصي بأن يتوجّه الباحثون إلى دراسة أثر القرآن في مختلف العلوم ، فضلاً عن دراسة أثره في كل موضوع من موضوعات المعجم كلٌ على حدة كأثره في الجانب البلاغي ، أو النحوي ، أو الصرفي وغير ذلك ، إذ إنَّ القرآن الكريم أسهم بشكل جلي في بناء المعجم العربي في الموضوعات اللغوية والنحوية والبلاغية كافة .

هذا منا استطعت إليه الاهتداء إليه في دراستي ، والله المستعان وهو نعم المولى والنصير ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين .

جريدة المظان

جريدة المظان

- القرآن الكريم .

- حرف الهمزة -

- ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة ، عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي (ت ٨٠٢هـ) ، تحقيق الدكتور طارق عبد عون الجنابي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- الإبدال لأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ) ، تحقيق عز الدين التنوخي ، دمشق ، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .
- ابن يعيش النحوي ، د. عبد الإله نبهان ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٧م .
- أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، الدكتورة خديجة الحديثي ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر : الدمياطي ، أحمد بن محمد ابن أحمد (ت١١١٧هـ) ، رواه وصححه : علي محمد الضباع ، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي ، مصر ، ١٣٥٩هـ . وطبعة أحمد عبد الغني الدمياطي ، دار الندوة الجديدة ، بيروت .
- الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م .
- أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ، أحمد حسن الباقوري ، دار المعارف ، مصر .
- أدب الكاتب : ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م .

- أساس البلاغة : الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، الطبعة الثالثة ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م .
- أسباب النزول ، للواحدي ، أبو الحسن علي بن محمد ، (ت ٤١٥هـ) ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .
- أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ أو ٤٧٤هـ) ، تحقيق : السيد محمد رشيد رضا ، الطبعة الثانية ، دار المطبوعات العربية ، مصر (د.ت) .
- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم : مقاتل بن سليمان البلخي (ت١٥٠هـ) ، تحقيق : د. عبد الله محمود شحاته ، الهيأة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م .
- الأشباه والنظائر في النحو : السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن ، تحقيق : د. عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م .
- إصلاح المنطق لأبن السكّيت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، ط٢ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٦م .
- إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، للدامغاني ، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٥م .
- الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو والمصرية ، ١٩٨٠م .
- أصول التفكير النحوي ، علي أبو المكارم ، منشورات الجامعة الليبية ، ١٣٩٣هـ–١٩٧٣م .
- الأصول (دراسة أبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب) : د. تمام حسّان ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٨م .
- الأصول في النحو لأبي بكر بن السراج (ت ٣١٦هـ) ، تحقيق عبد الحسين الفتلي ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٠م .

- أصول الفقه : محمد رضا المظفر ، الطبعة الثانية ، مطابع دار النعمان ، النجف الأشرف ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
- الأضداد : السجستاني ، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان (ت ٢٤٨هـ) تحقيق أوغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩١٣م .
- الأضداد لأبي بكر بن الانباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الكويت ، ١٩٨٩م .
- الأضداد في كلام العرب : أبو الطيب اللغوي ، عبد الواحد بن علي (ت٣٥١هـ) تحقيق : عزة حسن ، دمشق ، ١٩٦٣م .
- الأضداد في اللغة : محمد حسين آل ياسين ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق (دراسة قرآنية لغوية وبيانية) : الدكتورة بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧١م.
- إعجاز القرآن للباقلاني ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة .
- إعراب القرآن : النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت٣٣٨هـ) ، تحقيق ، د. زهير غازي زاهد ، الطبعة الثانية ، عالم الكتب ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- إعراب القراءات السبع وعِللها ، لأبن خالويه ، تحقيق محمد بن صالح العثيمين، مطبعة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٠م .
- الإغراب في جدل الإعراب ، لأبي البركات بن الانباري ، تحقيق سعيد الافغاني، مطبعة الجامعة السورية ، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م .
- الإقتراح في علم الأصول النحو : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، سوريا، ١٣٥٩هـ (عن حيدر آباد) .

- الاكتفاء في القراءات السبع المشهورة ، لأبي طاهر إسماعيل بن خلف (ت٤٥٥هـ) ، تحقيق د. حاتم الضامن . بغداد – العراق ، دار نينوى ، ٢٠٠٥م .
- الآمالي الشجرية : ابن الشجري ، أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي (ت٥٤٢هـ) ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٤٩هـ .
- إيضاح الوقف والابتداء في كتب الله تعالى ، لأبي بكر بن الانباري (ت٣٢٨هـ) تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، دمشق ، ١٩٧١م .

- حرف الباء -

- البحث الدلالي في تفسير الميزان ، د. مشكور كاظم العوادي ، مؤسسة البلاغة، بيروت ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .
- البحث اللغوي عند العرب (مع دراسة لقضية التأثير والتأثر) : د. أحمد مختار عمر ، الطبعة الثانية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م .
- البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي ، أثير الدين أبو عبد الله محمد يوسف بن علي (ت ٧٤٥هـ) ، مطابع النصر الحديثة ، الرياض ، (د.ت) .
- البدور الزاهر في القراءات العشر المتواترة ، لأبي حفص سراج الدين الانصاري النشار (ت ٩٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨١م .
- البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٩١هـ – ١٩٧٢م .
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية : محمد حسنين موسى ، دار الحمامي للطباعة ، مصر ، (د.ت) .

- البيان في مباحث علوم القرآن ، عبد الوهاب عبد المجيد غزلانه ، مطبعة دار التأليف ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م .
- البيان والتبيين : الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .

- حرف التاء -

- تأريخ آداب العرب ، مصطفى الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٤م .
- تأريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان (ت ١٩٥٦م) ، الجزء الثالث ، ترجمة : د. عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٢م .
- تاريخ الأدب العربي ، السباعي بيومي ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٤٨م .
- تاريخ الأدب العربي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر .
- تاريخ اللغات السامية ، أ. ولفنسون ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٨٠م .
- تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدنيوري ، تحقيق السيد أحمد صقر ، الطبعة الثالثة ، المكتبة العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- التبيان في إعراب القرآن : أبو البقاء العكبري ، عبد الله بن الحسين (ت٦١٦هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الشام للتراث ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- التحديد في الإتقان والتجويد ، أبو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) ، تح : غانم قدوري الحمد ، ط١ ، مطبعة الخلود ، مكتبة دار الانبار ، بغداد ، ١٩٨٨م .

- التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري : د. وليد قصاب ، دار الثقافة ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
- الترادف في اللغة : حاكم مالك لعيبي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد، ١٩٨٠م .
- ترتيب العلوم ، محمد بن أبي بكر المرعشي ، تحقيق : محمد السيد أحمد ، دار البشائر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨م .
- الترجمة في العصر العباسي ، مريم سلامة ، ترجمة نجيب غزاوي ، منشورات وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، ١٩٨٨م .
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية : د. سلمان العاني ، جدة ، ١٩٨٣م .
- التصوير البياني : محمد حسنين موسى ، الطبعة الثانية ، دار التضامن ، القاهرة، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .
- التصوير الفني في القرآن : سيد قطب (ت ١٩٦٦م) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
- التضاد في ضوء اللغات السامية : د. ربحي كمال ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٥م .
- تطور البحث الدلالي (دراسة في النقد البلاغي واللغوي) : د. محمد حسين علي الصغير ، دار الكتب العلمية – بغداد ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم ، عودة خليل أبو عودة ، مكتبة المنار ، الأردن ، ١٩٨٥ .
- التطور اللغوي (مظاهره وعلله وقوانينه) : د. رمضان عبد التواب (ت٢٠٠٠م)، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م .
- التعريفات : للشريف الجرجاني ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي (ت٨١٦هـ) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

- تفسير غريب القرآن لأبن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مطبعة البابي الحلبي .
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) : محمد رشيد رضا ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ببيروت ، لبنان ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
- تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، (د.ت) .
- التفسير الكبير : فخر الدين الرازي ، محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ) ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦١م .
- تلخيص البيان في مجازات القرآن : الشريف الرضي ، أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي (ت ٤٠٦هـ) تحقيق : محمد عبد الغني حسن ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٥م .
- تهذيب اللغة ، الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
- التيسير في القراءات السبع : أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ) ، تحقيق : أوتو برتزل ، مطبعة الدولة ، استانبول ، ١٩٣٠م .

- حرف الجيم -

- الجاسوس على القاموس : أحمد فارس الشدياق ، دار صادر (نسخة مصورة عن طبعة الجوانب - ١٢٩٩هـ) ، بيروت .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) : الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

- الجامع لاحكام القرآن (تفسير القرطبي) : القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ) ، الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٥م – ١٩٦٧م .
- جمهرة اللغة : ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ) ، مكتبة المثنى ، بغداد ، (بالاوفست عن طبعة ١٣٤٦هـ) .

– حرف الحاء –

- الحجة للقرّاء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام اللذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد ، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير حويجاتي ، الطبعة الأولى ، دار المأمون للتراث ، بيروت ، ١٩٩٨م .
- الحدود في النحو لابي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤هـ) ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ويوسف يعقوب مسكومي ، طبعة المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام في الجمهورية العراقية ، بغداد ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م . (نشر في رسائل في النحو واللغة) .
- الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية ، د. محمد ضاري حمادي ، ط١ ، ١٩٨٢م ، مؤسسة المطبوعات العربية ، بيروت ، لبنان .
- الحيوان : الجاحظ ، أبو عثمان ، عمرو بن بحر ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثالثة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩ م .

– حرف الخاء –

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : البغدادي ، عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثالثة ، مصر ، ١٩٨٩م .
- الخصائص : ابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .

- حرف الدال -

- دائرة المعارف الإسلامية ، تأليف مجموعة مستشرقين ، ترجمة أحمد الشنتاوي، وإبراهيم زكي خورشيد ، وعبد الحميد يونس ، الطبعة الثانية ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٩م .
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، د. غانم قدوري الحمد ، مطبعة الخلود، بغداد ، ١٩٨٦م .
- دراسات في القرآن : د. السيد أحمد خليل ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٢م .
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، د. حسام النعيمي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠م .
- دراسة المعنى عند الأصوليين : د. طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، الأسكندرية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي ، ط١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- الدر المنثور في تفسير أسماء الله الحسنى بالمأثور ، عبد العزيز يحيى ، مطبعة التقدم العلمية ، ١٣١٩هـ .

- دقائق التصريف ، أبو القاسم محمد سعيد المؤدب (ت في القرن الرابع الهجري) تحقيق : أحمد ناجي القيسي وتورال والضامن ، الطبعة الأولى ، مطبعة المجمع العلمي العراق ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٧م .
- دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .
- دلالة الألفاظ : د. إبراهيم أنيس ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣م .
- دلالة الألفاظ العربية وتطورها ، د. مراد كامل ، دار نهضة مصر ، ١٩٦٣م .
- دور الكلمة في اللغة : ستيفن أولمان ، ترجمه وقدم له : د. كمال محمد بشير ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .
- ديوان امرئ القيس (امرؤ القيس بن حجر الكندي) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٤م .
- ديوان طرفة بن العبد البكري ، شرح الأديب يوسف الأعلم الشنتمري ، تحقيق برطرند سلخسن ، شالون ، ١٩٠٠م .
- ديوان النابغة الذبياني (زياد بن معاوية) ، تحقيق : كرم البستاني ، دار صادر، بيروت ، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .
- ديوان الهذليين ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م .

- حرف الراء -

- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) تحقيق : أحمد حسن فرحان ، دمشق ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : الآلوسي ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

- حرف الزاي -

- الزاهر في معاني كلمات الناس : أبو بكر بن الأنباري ، محمد بن القاسم بن بشار ، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- الزينة في الكلمات الإسلامية : أبو حاتم الرازي (أحمد بن حمدان) (ت٣٢٢هـ)، تحقيق حسين الهمداني ، مطابع دار الكتاب بمصر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٥٧ - ١٩٥٨م .

- حرف السين -

- سؤالات نافع بن الأزرق (ت٦٥هـ) ، إلى عبد الله بن عباس (ت٦٨هـ) ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٨م .
- السبعة في القراءات : ابن مجاهد ، أبو بكر أحمد بن موسى (ت ٣٢٤هـ) ، تحقيق : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٢م .
- سر صناعة الإعراب : أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : مصطفى السقا ، ومحمد الزفزاف وإبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٤م .

- حرف الشين -

- الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه : د. خديجة الحديثي ، مطبوعات جامعة الكويت ، ١٩٧٤م .
- شرح أدب الكاتب للجواليقي ، تقديم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، (د.ت) .
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعت أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م .
- شرح الشافية لرضي الدين الاستراباذي ، محمد بن الحسن (ت٦٨٦هـ) ، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، ١٩٣٩م .
- شرح المفصل : ابن يعيش النحوي ، يعيش بن علي (ت ٦٤٣هـ) ، عالم الكتب، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، (د.ت) .
- شواذ القراءات لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني ، تحقيق سركال شمران العجلي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، مؤسسة البلاغ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

- حرف الصاد -

- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، ١٣٢٨هـ-١٩١٠م .
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) : الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٨هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الرابعة ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

- صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، تحقيق د. مصطفى الديب البغا ، الطبعة الثالثة ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ) ، بشرح النووي : النووي ، يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ) ، القاهرة ، ١٣٤٩هـ .
- صفاء الكلمة : د. عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ ، الرياض ، ١٩٨٣م .
- صفحات في علوم القراءات : عبد القيوم السندي ، دار البشائر الإسلامية ، مكة المكرمة ، ط٢ ، ٢٠٠١ .
- الصناعتين ، أبو هلال العسكري (ت بعد ٤٠٦هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، عيسى البابي الحلبي ، ١٩٧١م .

- حرف الضاد -

- ضحى الإسلام ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، الطبعة العاشرة ، (د.ت) .

- حرف الطاء -

- طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمعي (ت ٢٣١هـ) ، شرحه : محمود محمد شاكر ، دار المعارف للطباعة والنشر .
- طبقات النحويين واللغويين : أبو بكر الزبيدي ، محمد بن الحسن (ت٣٧٩هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٤م .

- حرف الظاء -

- الظاهرة القرآنية : مالك بن نبي : ترجمة عبد الصبور شاهين ، الطبعة الثالثة، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٦٨م .

- حرف العين -

- العربية لغة العلوم والتقنية ، د. عبد الصبور شاهين ، دار الاعتصام ، القاهرة ، (د.ت) .
- علم الدلالة : أحمد مختار عمر ، مكتبة العروبة ، الكويت ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- علم الدلالة ، غيرو ، ترجمة أنطوان أبو زيد ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ١٩٨٦م .
- علم الدلالة : لاينز ، ترجمة : مجيد الماشطة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٦م (سلسلة الموسوعة الصغيرة) .
- علم الدلالة دراسة وتطبيقاً ، نور الهدى لوشن ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، ١٩٩٥م .
- علم الدلالة العربي ، النظرية والتطبيق : د. فايز الداية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٧٣م .
- علم اللغة : د. علي عبد الواحد وافي ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م .
- علم اللغة بين التراث والمعاصرة ، د. عاطف مدكور ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٧م .
- علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) : د. محمود السعران ، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٦٢م .
- علم اللغة العربية : محمود فهمي حجازي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، مصر.

- عوامل التطور اللغوي ، د. أحمد عبد الرحمن حماد ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٨٣م .
- العين : الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) ، تحقيق : د. مهدي المخزومي (ت ١٩٩٣م) ، د. إبراهيم السامرائي (ت ٢٠٠١م) ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨٠– ١٩٨٥م .

– حرف الغين –

- غاية النهاية في طبقات القراء : ابن الجزري ، محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ) ، تحقيق : برجستراسر ، مصر ، ١٩٣٣م .

– حرف الفاء –

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراسة من علم التفسير ، الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) ، تحقيق عبد الرحمن عميرة ، الطبعة الأولى ، دار الوفاء للطباعة ، منصورة ، مصر ، ١٩٩٤م .
- الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري ، الحسن بن سهل ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ .
- فصول في فقه العربية : د. رمضان عبد التواب (ت ٢٠٠٠م) ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .
- فقه اللغات السامية (كارل بروكلمان) ، ترجمة : رمضان عبد التواب ، الرياض، ١٩٧٧م .
- فقه اللغة : د. علي عبد الواحد وافي ، الطبعة السادسة ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م .

- فقه اللغة العربية : د. كاصد ياسر الزيدي ، وزارة التعليم العالي ، جامعة الموصل ، ١٩٨٧م .
- فقه اللغة في الكتب العربية : د. عبده الراجحي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٨م .
- فقه اللغة وخصائص العربية : محمد المبارك ، الطبعة الثانية ، دار الفكر الحديث ، لبنان ، ١٩٦٤م .
- فقه اللغة وسر العربية ، للثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة .
- فنون التصوير البياني : د. توفيق الفيل ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٧م .
- فواتح الرحموت بشرح مسلّم الثبوت ، عبد العلي الأنصاري ، مطبوع بحاشية كتاب المستصفى في علم الأصول للغزالي .
- في أدب الإسلام ، محمد عثمان علي ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٤م .
- فيض القدير ، شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، ضبط أحمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤م .
- في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٧ ، ١٩٧١م .
- في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح المفضليات ، د. عبد الكريم أحمد حسن جبل ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٧م .
- في اللهجات العربية : د. إبراهيم أنيس ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

- حرف القاف -

- القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث ، د. مي الجبوري ، الطبعة الأولى ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ٢٠٠٠م .
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث : د. عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
- القراءات القرآنية ، عبد الحليم بن محمد الهادي قابة ، مراجعة مصطفى الخن ، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٩م .
- القراءات وأثرها في علوم العربية : محمد سالم محيسن ، دار الاتحاد العربي، مصر ، ١٩٨٤م .
- القراءات وعلل النحويين فيها ، لأبي منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ) ، تحقيق نوال بنت إبراهيم الحلوة ، ط١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
- القراءات واللهجات ، عبد الوهاب حمودة ، ط١ ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٤٨م .
- القرآن الكريم وتفاعل المعاني ، د. محمد محمد أحمد داود ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .
- القلب والإبدال ، لأبن السكّيت ، ضمن الكنز اللغوي ، أوغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٠٣م .
- القياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة ، محمد عاشور السويح ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا ، ط١ ، ١٩٨٦م .

- حرف الكاف -

- الكامل : المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، والسيد شحاته ، دار نهضة مصر ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م ، وتحقيق محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٧م .
- الكتاب : سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٠هـ) ، طبعة بولاق وتحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثالثة ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- كشاف اصطلاحات الفنون : التهانوي ، محمد بن علي الفاروقي (ت في القرن الثاني عشر) ، الجزء الثاني ، تحقيق : د. لطفي عبد البديع ، مراجعة أمين الخولي ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢م .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
- كلام العرب : د. حسن ظاظا ، مكتبة الدراسات اللغوية ، مطبعة المصري ، الاسكندرية ، ١٩٧١م .
- الكلمة دراسة لغوية ومعجمية ، د. حلمي خليل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فرع الاسكندرية ، ١٩٨٠م .
- الكليات : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) ، القسم الثاني ، تحقيق : د. عدنان درويش ، ومحمد المصري ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٥م .

- حرف اللام -

- لباب النقول في أسباب النزول : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، ملحق بكتاب تفسير فاتحة الكتاب : للشيخ محمد عبد ، دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ .

- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : د. عبد العزيز مطر ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
- لسان العرب : ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت (د.ت) .
- اللغات في القرآن رواية ابن حسنون المقرئ بإسناده إلى ابن عباس : تح : د. صلاح الدين المنجد ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
- اللغة : جوزيف فندريس ، تعريب : عبد الحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٠م .
- لغة القرآن الكريم : عبد الجليل عبد الرحيم ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، ١٩٨١م .
- اللغة والمجتمع ، رأي ومنهج : د. محمود السعران ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٠ م .
- اللغة والمعنى والسياق : جون لاينز ، ترجمة : عباس صادق ، مراجعة : د. يوئيل يوسف ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٧م .
- لمع الأدلة ، أبو البركات ابن الأنباري ، مطبوع مع (الأغراب في جدل الاعراب) ، مطبعة الجامعة السورية ، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م .
- لهجات العرب ففي القرآن الكريم ، عبد الله عبد الناصر جبري ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٧م .

- حرف الميم -

- ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد : المبرد ، محمد بن يزيد ، تحقيق: عبد العزيز الميمني ، المطبعة السلفية ، مصر ، ١٣٥٠هـ .

- المثلث : ابن السيد البطليوسي ، أبو محمد عبد الله بن محمد (ت ٥٢١هـ) ، تحقيق ودراسة ، د. صلاح مهدي علي الفرطوسي ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) ، قدم له وحققه : د. أحمد حوفي ، ود. بدوي طبانة ، الطبعة الثانية ، منشورات دار الرفاعي ، الرياض ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
- مجاز القرآن : أبو عبيدة ، معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٩٥٤ – ١٩٦٢م .
- مجالس ثعلب : ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٢٩١هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط٢ ، دار المعارف ، مصر ، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م .
- مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ) ، تحقيق : هاشم الرسولي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .
- مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، (د.ت) .
- مجمل اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس ، دراسة تحقيق : زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٤م .
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها : ابن جني ، تحقيق : علي النجدي ناصف ، ود. عبد الحليم النجار ، ود. عبد الفتاح شلبي ، لجنة إحياء التراث العربي ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ .
- المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها ، محمد الانطاكي ، دار الشرق العربي ، بيروت ، (د.ت) .

- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع : ابن خالويه ، تحقيق : برجستراسر (ت ١٩٣٣م) ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، ١٩٣٤م .
- المدارس النحوية ، شوقي ضيف ، مطابع دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨م .
- المدخل إلى تفسير القرآن وعلومه ، د. عدنان محمد زرزور ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، ٢٠٠٧م .
- المدخل إلى دراسة البلاغة العربية : د. السيد أحمد خليل ، دار النهضة العربية، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦م .
- المدخل إلى علم اللغة : د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٠م .
- المذكر والمؤنث لابن الانباري ، تحقيق د. طارق عبد عون الجنابي ، منشورات وزارة الأوقاف العراقية ، بغداد ، ١٩٧٨م .
- مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها : السيوطي ، تحقيق : محمد جاد المولى ، وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، ودار الفكر ، بيروت – لبنان ، (د.ت) .
- المستدرك على الصحيحين : لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .
- المستصفى من علم الأصول : الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ)، المطبعة الأميرية ، بولاق ، مصر ، ١٣٢٢هـ – ١٩٢٤م .
- المشترك اللغوي : د. توفيق محمد شاهين ، مطبعة الدعوة الإسلامية ، القاهرة، ١٩٨٠م .

- مصادر البحث اللغوي ، د. محمد حسن عبد العزيز ، دار الكتاب الجامعي ، ط١ ، الكويت ، ١٩٩٧م .
- المصباح المنير للفيومي ، صححهُ مصطفى السقا ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٦٩هـ – ١٩٥٠م .
- المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، شركة الطباعة السعودية ، الرياض ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .
- المعاجم اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث : د. محمد أحمد أبو الفرج ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
- المعاني الثانية في الأسلوب القرآني : د. فتحي أحمد عامر ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٧٦م .
- معاني القرآن : الأخفش الأوسط ، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي (ت٢١٥هـ) ، حققه : د. فائز فارس ، المطبعة العصرية ، الكويت ، ١٩٧٩م .
- معاني القرآن : الفرّاء ، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ) ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار ، وعبد الفتاح شلبي ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٥٥ – ١٩٧٢م .
- معاني القرآن وإعرابه : الزجاج ، أبو أسحق إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ)، شرح وتحقيق : د. عبد الجليل عبده شلبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م .
- معترك الأقران في إعجاز القرآن : السيوطي ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، دار الكتب الملكية ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٨م .
- معجم الأدباء : ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) .

- المعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق ، د. رياض زكي قاسم ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م .
- معجم القراءات القرآنية : د. عبد العال سالم مكرم ، ود. أحمد مختار عمر ، مطبوعات جامع الكويت ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .
- معجم لغة دواوين شعراء المعلقات العشر تأصيلاً ودلالةً وصرفاً ، د. ندى الشايع ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٣م .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصاري ، تحقيق : د. مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، دمشق ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م .
- مفتاح العلوم ، السكاكي ، (ت ٦٢٦هـ) ، تحقيق : أكرم عثمان يوسف ، مطبعة دار الرسالة ، بغداد ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨١م .
- مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني (ت في حدود ٤٢٥هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٨هـ .
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، ج٨ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٦م .
- المفصل في علم العربية ، للزمخشري ، تحقيق ، سعيد محمود عقيل ، دار الجيل ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٣م .
- المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية ، محمد سالم محيسن ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٦م .
- المقتضب : المبرد أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م .
- المقدمة : ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) منشورات مكتبة المثنى بالأوفسيت ، بغداد ، (د.ت) .
- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، أبو حامد الغزالي (د.م) (د.ت) .

- الممتع في التصريف ، ابن عصفور الاشبيلي ، تحقيق د. فخر الدين قباوى ، ط٣ ، دار الآفاق الجديد ، بيروت ، ١٣٨٩هـ – ١٩٧٨م .
- من أصول اللهجات العربية في السودان ، عبد المجيد عابدين ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٩م .
- مناهج البحث في اللغة : د. تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب، ١٩٧٩م .
- مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ، أمين الخولي ، دار المعرفة، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦١م .
- مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، تحقيق أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨م .
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، ابن الجزري ، تحقيق محمد الشنقيطي ، أحمد شاكر ، دار زاهد القدسي .
- المنصف شرح أبي الفتح عثمان بن جني لكتاب تصريف لأبي عثمان بكر بن محمد المازني ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، الجزءان الأول والثاني، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م ، والجزء الثالث ، مطبعة البابي الحلبي .
- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث : د. علي زوين ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦م .
- الموضح في وجوه القراءات وعللها ، لابن أبي مريم (ت بعد ٥٦٥هـ) ، تحقيق ودراسة عمر حمدان الكبيسي ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .
- موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف ، د. خديجة الحديثي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، ١٩٨١م .
- الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي ، العلامة السيد محمد حسين ، الطبعة الثانية ، منشورات مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧١ – ١٩٧٤م .

- حرف النون -

- نحو وعي لغوي : د. مازن المبارك : ، مكتبة الفارابي ، دمشق ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
- النشر في القراءات العشر : ابن الجزري ، محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ) ، صححه وراجعه علي محمد الضباع ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، (د.ت).
- النظرية اللغوية العربية الحديثة : د. جعفر دك الباب ، مطبعة اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٦م .
- النهاية في غريب الحديث والأثر : أبو السعادات بن الأثير (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق : محمود الطناجي ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٦٣م - ١٩٦٥م.

- حرف الهاء -

- همع الهوامع شرح جمع الجوامع : السيوطي ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ود. عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٣٩٤هـ-١٤٠٠هـ - ١٩٧٥م - ١٩٨٠م .

- الرسائل الجامعية .

- الأزهري ففي كتابه تهذيب اللغة ، د. رشيد العبيدي ، أطروحة دكتوراه – كلية الآداب – جامعة القاهرة ، ١٩٧٣م .
- إعجاز القرآن في ضوء اللسان العربي المبين ، حمزة فاضل يوسف ، أطروحة دكتوراه – كلية الآداب – جامعة بغداد ، ١٩٩٨م .
- البحث الدلالي في تهذيب اللغة للأزهري ، د. لطيفة عبد الرسول عبد الضايفي، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، الجامع المستنصرية ، ١٩٩٨م .
- البحث اللغوي عند فخر الدين الرازي ، رسالة دكتوراه ، عبد الرسول سلمان إبراهيم الزّيدي ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٠م .
- التأويل النحوي عند أبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) ، رسالة ماجستير ، حسين كاظم حسين خليل البنا ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٩م.
- حجة القراءات لأبي زرعة دراسة تحليلية ، هشام سعيد النعيمي ، أطروحة دكتوراه – كلية الآداب – جامعة بغداد ، ١٩٩٠م .
- الدراسات النحوية في معجم لسان العرب ، رسالة دكتوراه ، عبد الاله إبراهيم عبد الله ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٢م .
- الدلالة السياقية عند اللغويين ، عواطف كنوش ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب–جامعة البصرة ، ١٩٩٢م .
- الشواهد القرآنية في النحو عند المبرّد ، علي محمد يوسف ، رسالة ماجستير ، كلية التربية – ابن رشد – جامعة بغداد ، ١٩٨٨م .
- القراءات القرآنية في المعجمات اللغوية حتى نهاية القرن السابع الهجري ، عبد الرحمن مطلك الجبوري ، أطروحة دكتوراه جامعة بغداد ، ١٩٩٠م .
- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم تاريخٌ وتطور ، عبد الرحمن مطلك الجبوري، رسالة ماجستير – جامعة بغداد .

- البحوث والمقالات .

- الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والحالي ، د. كاصد الزيدي ، مجلة آداب الرافدين ، جامعة الموصل ، عدد (٢٦) ، لسنة ١٩٩٤م .
- اللغة والنقد الأدبي : د. تمام حسان ، مجلة الفصول ، مطبعة الهيأة المصرية العامة للكتاب ، المجلد الرابع ، عدد (١) ، لسنة ١٩٨٣م .
- معجمات دلالية لألفاظ القرآن ، د. حاتم الضامن ، بحث منشور ضمن أبحاث المعجمية العربية .
- المعجم العربي من التهذيب إلى لسان العرب ، د. رشيد العبيدي ، بحث منشور في ضمن المعجمية العربية .
- المعنى اللغوي وعناصر تحديده في ضوء الدرس اللغوي الحديث ، د. فارس عيسى ، مجلة البلقاء ، جامعة عمان الأهلية ، المجلد الأول ، العدد (٢) ، لسنة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .
- مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني ، قراءة في ضوء الأسلوبية ، نصر حامد أبو زيد ، مجلة فصول ، العدد (٥) ، الهيئة العامة المصرية للكتاب .
- منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين : د. أحمد نصيف الجنابي، المعجمية العربية ، أبحاث الندوة التي عقدها المجمع العلمي العراقي، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .
- نظرة جديدة في دلالة الكلمة القرآنية : د. عبد الصبور شاهين ، بحث في كتاب: بحوث في اللغة والأدب ، اشراف : د. سهام الفريح ، مكتبة العلاء ، الكويت، ١٩٧٨م .
- الميْت والمائت في لغة القرآن ، د. حسام سعيد النعيمي ، مجلة مكتبة الدراسات الإسلامية ، العدد (٦) ، بغداد ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م .